التاريخ الدبلوماسي للمغرب

من أقدم العصور إلى اليوم



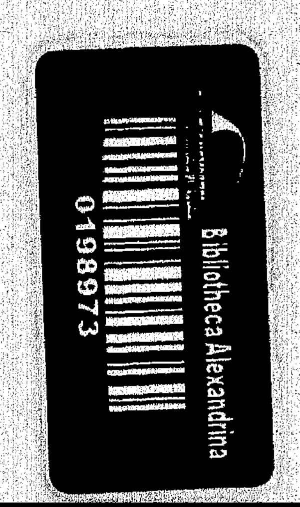
المجلد العاشر

عهد العلويين

2

تأليف

عبد الهادي التازي



التاريخ الدبلوماسي للمغرب

من أقدم العصور إلى اليوم



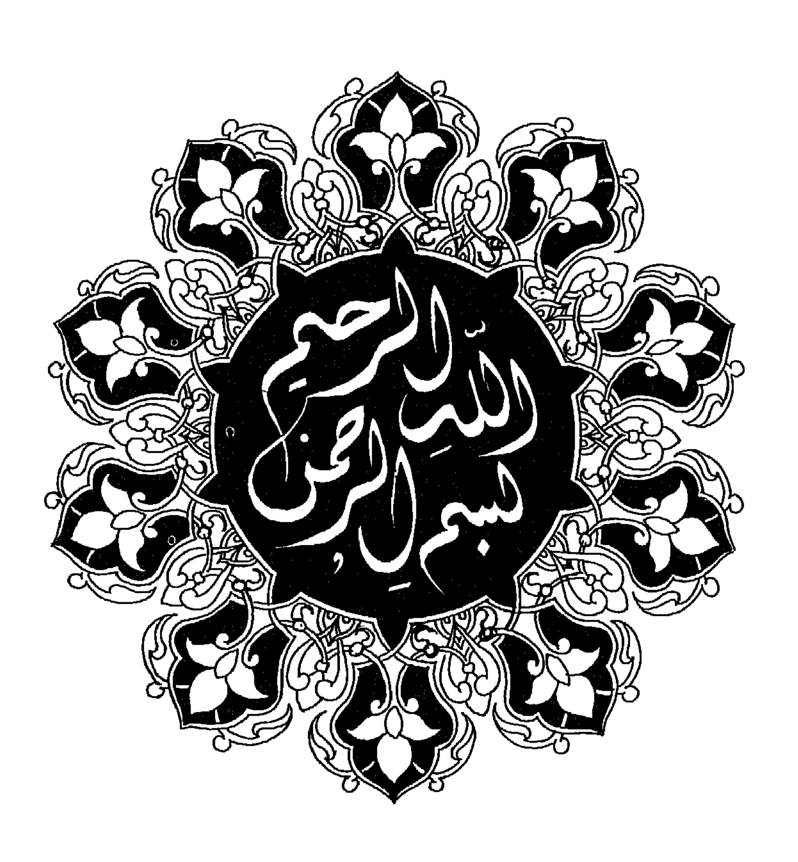
المجلد العاشر
عهد العلويين
2

تأليف
عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

1409 - 1989

الرجلان :

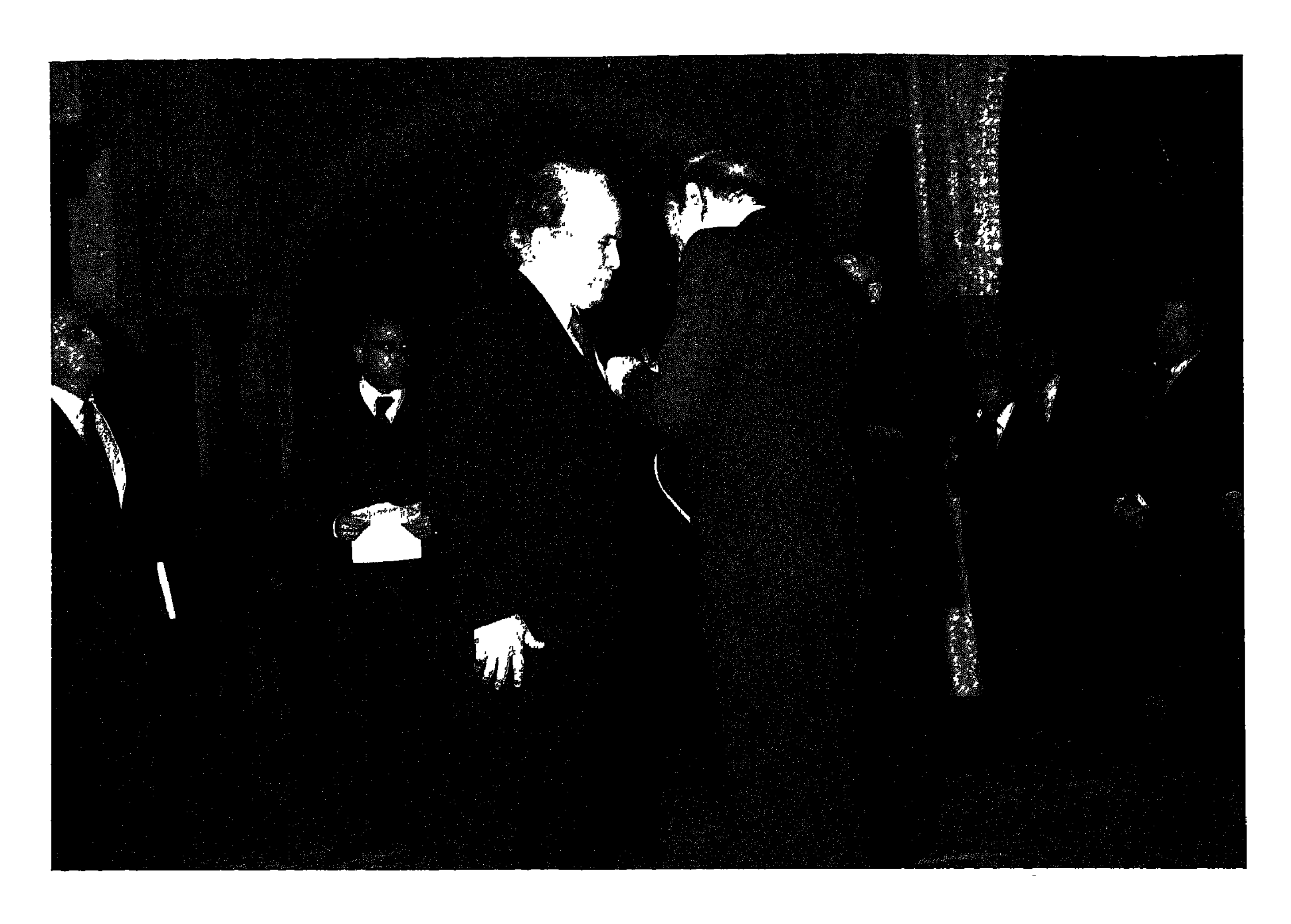
سيظل التاريخ الحديث للمملكة المغربية مديناً لرجلين اثنين بتحرير المغرب وبناء استقلاله واستكمال وحدته الترابية : جلالة الملك محمد الخامس، وجلالة الملك الحسن الثاني، فلا يمكن أن نتصور عمل أحدهما دون الآخر، وهي الحقيقة التي عرفتْها جيداً جهتان اثنتان : الجهة الأُولى تتمثل في أولئك الذين كانوا يحتلون البلاد شمالاً وجنوباً وكانوا يدركون خطر ذلك الالتحام ـ بين الوالد والولد ـ على كيانهم..! وكانت الجهة الثانية طبعاً : الشعب المغربي الذي كان يقف صفاً واحداً إلى جنب الرجلين في نضالهما الذكي من أجل استرجاع الاستقلال...


بسم الله الرحمن الرحيم

عظمة الميثاق

وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر
إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق

صدق الله العظيم
سورة الأنفال - الآية 72



ونظرا لمزاياك الإنسانية والمهنية العديدة، ولما يتوفر بك من شروط
الأهلية والكفاية في حقل نشاطك مما يتطابق مع مقتضيات ظهيرنا الشريف،
وخصوصا مؤلفاتك القيمة وتحقيقاتك الدقيقة في التاريخ، إلى جانب اهتمامك
المتواصل بالتصنيف المحكم في شتى حقول المعرفة،

فقد قررنا تعيينك عضوا مقيما بأكاديمية المملكة المغربية، تشريفا
لشخصك، ورعيا لخدماتك، وتقديرا لتعلقك بالقيم الروحية والثقافية والحضارية،
وتنويها بجدارتك في الميدان الذي تكرس له عملك.

من الظهير الشريف الذي أنعم به العاهل الكريم على د. عبد الهادي التازي بمناسبة تعيينه عضواً في أكاديمية المملكة المغربية، أبريل 1980، وقد تم توشيح المؤلّف بالميدالية الذهبية لأكاديمية المملكة يوم الجمعة 10 صفر 1403 هـ الموافق 26 نونبر 1982 م. قصر الرياض ـ الرباط.

العلاقات بين المغرب وفرنسا

- □ **وقع الاحتلال الفرنسي للجزائر في المملكة المغربية.**
- □ **موقف فرنسا من عون المغرب للجزائر.**
- □ **تدهور العلاقات مع فرنسا وقصف السواحل المغربية.**
- □ موقعة إيسلي التي قصمت ظهر المغرب !
- □ **إبرام الصلح وإبرام اتفاقيات الحدود...**
- □ **آثر هذه الأَحداث في تطاول الإسبان على تطوان !**
- □ **معضل منح الحمايات القنصلية للمغاربة !**
- □ **التجاوزات الفرنسية للحدود المغربية...**
- □ **المؤامرات والصفقات ضد المغرب !!**
- □ الانتفاضات المغربية وبسط الحماية الفرنسية على المغرب.

العلاقات بين المغرب وفرنسا بعد أخذ الجزائر من الأتراك..(1)

حوالي الساعة الرابعة مساء من يوم 13 يونيه 1830 = 21 محرم 1245 وصل خبر نزول فرنسا بالجزائر، ولم تلبث الأنباء أن تناقلت إمضاء شروط التسليم من طرف الوالي العثماني الداي حسين ودخول الجيش الفرنسي إلى الجزائر العاصمة صباح يوم الإثنين 5 يوليه = 14 محرم 1246..

ولقد صعق المغرب لهول النبأ حيث نرى المملكة المغربية تدشن نشاطاً دبلوماسياً مكثفاً ابتداء من هذه السنة تجلّى في مراسلاته وبعثاته وتدخلاته، وهذه رسالة معبرة عن شعور المغرب إزاء هذا الحدث الخطير.

لقد كتب العاهل المغربي بتاريخ 10 صفر 1246 = 31 يوليه 1830 إلى عامله بتطوان القائد محمد أشعاش الذي كان قد رفع إلى السلطان تقريراً مفصلاً وارداً عن القنصل المغربي بجبل طارق ابن عليل :

وبعد وصلنا كتابك صحبة كتاب ابن عليل على شأن الواقعة التي ساءت الإسلام والمسلمين وأدمت عيون أهل التقوى والدّين من استيلاء عدو الله الفرنصيص على ثغر الجزائر واحتوائه على ما وجد فيه من الأموال والذخائر بعد ما شرط

---

(1) Philippe de Cossé Brissac: Les Rapports de la France et du Maroc Pendant la Conquête de L'Algérie 1830-1947. Hesp. T.8 – 1931. Fasc. 1, p. 35-115 – Face p. 133-226.
J. Caillé : au Lendemain de la bataille d'Asly, Hesp. 1984, p. 383-401

عليهم رئيسها ما شرط، ورضاه بالدّنية التي ما مثلها سلف ولا فرط، إن للّه وإنا إليه راجعون، اللّهم أجر المسلمين في هذه المصيبة العظمى واجعل ردّ هذا الثغر لهم قضاءً سابقاً وحكماً، وامضّ العدوّ الكافر بريقه، وعجل بهلاك فريقه، وجبّر صدع الإسلام بجاه النبي عليه السلام...

وهنا نظر أهل تلمسان لأنفسهم فوقع اختيارهم على الشيخ محيي الدين الذي اعتذر لهم مشيراً عليهم بولده عبد القادر، وقد كانت أول مبادرة قام بها أن أمر خطباء الجمعة بذكر اسم السلطان المولى عبد الرحمن على المنابر معبراً بذلك عن أنه يشاطر رغبة أهل تلمسان التي طالما أعربوا عنها لعاهل المغرب... وقد شفع هذا بإرسال بيعته للسلطان المولى عبد الرحمن، وقد رأت فرنسا أن لامناص لها من الرجوع إلى ملك المغرب لتضعه أمام مسؤولياته إزاء مناصرته للثورة !!

وفي هذا الإطار كانت مهمة الكونت دُومُورني (De Mornay) الذي كان مصحوباً بترجمان الملك ديسكرانج (A.G. Desgrange) وبالرسام المعروف أُوجين دولاكروا (E. Delacroix) وقد عهد إلى السفير باستعمال اللغة الدبلوماسية واللغة العسكرية في آنٍ واحد..!!

وقد تمّ استقبال السفير الفرنسي يوم فاتح ذي القعدة 1248 = 22 مارس 1832 بمكناس التي كانت تحتضن في الوقت ذاته وفداً هامّاً من تلمسان !

وقد بدأت في أعقاب هذا اللقاء المحادثات السياسية بين الجانبين وقد تجلّى أن أهداف السفير الفرنسي تتجلّى في تخلّي المغرب عن تلمسان ورفض استقبال الوفد الجزائري الموجود بمكناس... والتزام المغرب للحياد إزاء الاحتلال الفرنسي وعدم تعيين المغرب لأيّ دبلوماسي يتولى رعاية مصالح المغرب بالجزائر وإرجاع البواخر الثلاثة الملتجئة إلى السواحل المغربية أيام الاشتباكات وأخيراً تسهيل العلاقات التجارية.[2]

---

2) JEAN-LUIS MIÈGE : COTON ET COTONNADES AU MAROC AU XIXE Siècle. Hespe. 1959, p. 219-238.

وفي هذه الأثناء استبدل القنصل الفرنسي بالمغرب حيث عين لهذه المهمة ميشان (Méchain) الذي نرى السلطان المولى عبد الرحمن يرحب به في رسالة بتاريخ 6 ذي القعدة 1248 = 27 مارس 1833...[3]

وفي هذه الأثناء شرعت أفواج اللاّجئين الجزائريين تصل إلى المغرب برّاً وبحراً مهاجرة فارّه وتحتفظ (مديرية الوثائق الملكية) بعدد من الرسائل حول الموضوع كانت منها رسالة تحمل تاريخ 12 ربيع الأول 1246 = 31 غشت 1830 بعثها السلطان المولى عبد الرحمن إلى عامله بتطوان القائد محمد أشعاش جواباً على رسالةٍ يخبره القائد فيها بوصول سفينتين تحملان المهاجرين من الجزائر، ويوصي الجواب الملكي بحسن معاملتهم..

وقد استمر الحال على هذا المنوال إلى أن تعكّر الجوّ بسبب الخلاف على الزّعامة بين شيعة ابن محيي الدّين من جهةٍ وبين القائد بن اسماعيل من جهةٍ أخرى...

وقد تأثر السلطان المولى عبد الرحمن لهذا التصدُّع أيما تأثر سيما وقد كان يتوصل من كلّ الطرفين برسائل تعبر عن الولاء والحب، ولابدّ أن نشير هنا للجواب الذي بعث به العاهل إلى القائد ابن اسماعيل وهو بتاريخ أول المحرّم 1250 = 20 مايه 1834، وفيه يحُضُّ العاهل المغربي القائد المذكور على الاتحاد وجمع الكلمة أمام الخطر الداهم والجيش المهاجم ونظراً لأهمية هذه الرسالة نثبتها في «الملاحق»...

وإذا ما عدنا إلى ساحة المعركة بين الجيوش الفرنسية وجيش الأمير عبد القادر فسنجد إن المعركة دائماً في تصاعدٍ، والجيوش الفرنسية الآن تقتحم ضواحي مدينة تلمسان حيث نشهد تبادل احتلالها بين الطرفين الأمر الذي نكب عدداً من الأسر وضعضع مكانة الأمير عبد القادر، وأثّر طبعاً على استقرار المغرب الذي صمّم على الوقوف إلى جانب الثورة بكل ما يملكه من وسائل....

---

3) الإتحاف 5، 159.

ولقد ازداد شعور الأمير عبد القادر بأن أنصاره ينفضّون من حواليه وأنهم «يداخلون» العدوّ المحتلّ حيث وجدنا استفتاءه لعلماء فاس حول «أولئك المتخاذلين»، وكان ذلك بتاريخ 19 ذي الحجة 1252 = 6 أبريل 1836 كما وقفنا على الجواب الذي حرره الشيخ علي التّسولي بإيعازٍ من العاهل المغربي...[4]

وأمام المناصرة المتوالية وغض الطرف من قبل المولى عبد الرحمن على تحذيرات فرنسا المتكررة تقرر إرسال البارون فريديريك دولاري (F. De La Rue) كسفيرٍ لدى السلطان المولى عبد الرحمن من أجل تقديم احتجاج فرنسا الصارخ وتهديد المغرب بعواقب تشجيعه للأمير عبد القادر !!

وقد وقفت على رسالةٍ صادرةٍ من تلمسان إلى العاهل المغربي بتاريخ 21 ربيع الثاني 1253 = 25 يوليه 1837 تحكي عن غارة جديدة على المحتلين بتلمسان، الذين اضطروا لمغادرتها بعد عقد هدنة بين الطرفين حيث نرى أنّ المغرب يقيم احتفالاتٍ لمدة ثلاثة أيام بمناسبة دخول الأمير إلى تلمسان ![5]

☆ ☆ ☆

وبتوالي تلك الاشتباكات التي كانت ترهق ميزانية الجيش الفرنسي وبتوالي الموقف المغربي المناصر دوماً لابن محيي الدّين تقرر إيفاد بعثة فرنسية جديدة إلى البلاط المغربي وهكذا .نجد قنصلاً آخر بالمغرب هو أنطوان دونيون (A. De Nion) الذي نرى العاهل المغربي يرحّب بمقدمه في رسالةٍ بتاريخ 19 ذي القعدة 1255 = 24 يناير 1840.

ويتنفس الأمير عبد القادر الصعداء عندما يصرع خصمه القائد ابن اسماعيل في منتصف سنة 1256 = (صيف 1840) فيكتب للعاهل المغربي مبشراً، على ما جرت به عادته... وهنا نسجل جواب السلطان المولى عبد الرحمن الذي نقتطف منه هذه الفقرات :

---

4) الناصري : الاستقصا 9 ر 45 - 46.

5) PH. de Cossé Brisac : La France et le Maroc Pendant la Conquête de L'Algérie, Hesp. 1931 p. 88.

«محل الولد البار الأحظى المجاهد الأرضى السيد عبد القادر بن محيي الدّين، أمدّك الله بالعون واليقين... إن عادة الله في هذا العدوّ الأصفر أن يوبقه ببَغيه كما وقع له بمصر وغيرها وأذكرك غزوة وادي المخازن على عهد السعديين فإن أعداء الله خرجوا في مائة ألف فارس وخمسة وعشرين ألفا... فهزم الله الكافرين وقتلوا وسبوا وغرقوا ولم يفلت إلا النزر اليسير ومات محمد المسلوخ الذي أتى بهم وطاغيتُهم دون سباستيان...»[6]

وهنا أخذت فرنسا ـ وقد تأكدت ـ أكثر من أي وقتٍ مضى ـ من الموقف المغربي ـ تستعدّ لمهاجمة المغرب وخاصة بعد إجهازها الأخير على تلمسان حيث تناهت الأخبار إلى العاهل بتخطيط الجيش الفرنسي لاقتحام المملكة ! وهنا نجده يطيّر مكاتيبه إلى ابنه الأمير سيدي محمد بتاريخ 4 ربيع الثاني 1258 = 15 مايه 1842 ويستنهضه لشرق المغرب...

وقد زاد في متاعب المغرب في هذه الأثناء تهافت المهاجرين الجزائريين على المغرب برّاً وبحراً حيث نجد العاهل يتوصل برسالةٍ من ابن محيي الدّين حول هؤلاء «المهاجرة» وفيها يؤكد عن انحيازه وانحياشه وهي بتاريخ 1 ربيع الثاني 1260 = 20 أبريل 1844.

وتدهورت العلاقات بين فرنسا والمغرب بسرعة... ورأينا قطعةً من الأسطول الحربي الفرنسي تتألف من 28 بارجة حربية تدخل خليج طنجة في فاتح غشت 1844، = 5 رجب 1259 وقد استقبل جوانفيل (Joinville) من طرف القائد بوسلهام بن علي أزطوط يوم 4 غشت حول الموضوع...

وقد تم قصف المدينة يوم الأحد سادس غشت = 10 رجب على مرأى ومسمع من البواخر البريطانية والسويدية والدانماركية والإسبانية، وذلك بعد إجلاء الفرنسيين مسبقاً عن الأهداف المقصودة.

---

6) مخطوطة الابتسام عن دولة ابن هشام ص 220 ـ مجلة المناهل 1987.

وقد واكب هذه الأَحداث الرهيبة تخطي الجيش الفرنسي فعلاً (وادي تـافنـة) وهو الحـد الفـاصل بين الجزائر والمغرب وبنى تحصينـاتٍ في قريـة (الغـزوات) على شـاطئ البحر لتزويـد الجنـد الـذي كـان هنـاك بقيـادة المـاريشـال بوجـود (Bugeaud)، إن الطريق اليوم نحو احتلال مدينـة وجـدة كخطوة أولى للتقـدم نحو تازة وفاس!!!

وقـد بعث السلطـان على التوّ بـابن عمـه المولى المـأمـون صحبـة القـائـد ابن الجنّاوي، ولم يلبث أن أردفه بابنـه الأَمير سيـدي محمـد على رأس جيش مغربي لتحرير المدينة في الوقت الذي اشتدّ فيه هياج المواطنين حيث وجـدنـا الوزير الشـاعر ابن ادريس يلهب حمـاس النـاس في قصيـدةٍ يقـول فيهـا من جملـة مـا يقول :

يـــأهـلَ مغربنـــا حـقٌّ النّفيرُ لكم	إلى الجهـاد فمـا في الحقّ من غلـط !
من جـــاور الشرّ لم يعـــدم بـــوائقـــه	كيف الحياة مع الحيَّـات في سَفَـط ؟

ولم يشعر الجنـد المغربي إلا وهـو أَمـام جيش جرار غـداة يـوم 15 شعبـان 1260 = 14 غشت 1844 وهو واقعه وراء وادي يسلي حيث تجشّم ةً نكراء قصمت ظهر المغرب على يـد الجيـوش الفرنسيـة المجهـزة بـأحـدث جهـزة ![7] وفي هـذا الوقت بالذات كانت القوات البحرية الفرنسية تتجهو مينـاء ويرة لقصفهـا أيضاً يوم خامس عشر غشت بينما كان المغرب يعيش مشـاكل رى لا تقل خطورةً عن هـذه مع اسبانيا على الحدود !

---

7) أثناء حديث صاحب مخطوطة «الابتسام» عن موقعة إيسلي ذكر «أن بعض التجار أخبره أنه رأى في كَـوازط النصـارى أن عـدد عسكر الروم النصـارى كـانـوا ألفين ومـائتين... المخطـوط ص 226 ـ الاستقصا 9، ص 53.
أبـو عبـد اللـه السليمـاني : اللسـان المعرب عن تهـافت الأَجنبيّ حـول المغرب ـ مطبعـة الأُمنيـة ـ الرباط 1391 = 1971.

معركة إيسلي

كتب المؤرخون بكل لسانٍ عن هذه الوقعة التي كانت الحد الفاصل بين مغرب قويّ مهاب الجانب، وبين مغرب أخذت أركانه تنهار من كل جانب.

وينبغي أن نذكر هنا أن الكونت هنري دوكاستري في **موسوعته** المعروفة بعنوان «المصادر التي لم تنشر من تاريخ المغرب (S I.H.M) كان خطط أن تكون الموسوعة على ثلاث سلسلات : الأُولى للسعديين، والثانية للعلويين من 1660 إلى 1757 والسلسلة الثالثة للعلويين أيضاً لكنه جعلها فقط إلى **سنة 1945** أي إلى التاريخ الذي تمت فيه موقعة إيسلي، وكان ذلك يعني أن المغرب انتهى منذ ذلك التاريخ في رأيه..!

ومن الحِكَم الإنجليزية الصادقة أن الانتصار له أقارب يبرّرون أسبابه، وأن الفشل على العكس من ذلك ليس له قريب ولا صديق !! فالكل يتنصل منه والكل يتنكّر له..!

ومع ذلك فإن قراءة ما كتب عن هذه الوقعة ابتداء من الرسالة التي وجهها المريشال بوجود (16 يونيه 1844) للقائد الكَناوي إلى الرسائل الموجهة إلى الماريشال، والتقارير العسكرية التي تقف على عين المكان إلى الكُتّاب الذين علقوا من بعد على الحادث. . كلّ ذلك كان شاهداً على أن المغرب كان عظيماً سواء أيام انتصاراته أو أيام انتكاساته...

عن تدخل ألقي في الندوة التلفزيونية التي عقدت على مقربةٍ من عجرود (السعيدية) - (وجدة) 16/15 غشت 1981 - الأنباء المغربية 16/15 شوال 1401 = 17/16 غشت 1981.

وهنا فوض العاهل لنائبه وعامله بطنجة بوسلهام ابن علي في عقد المهادنة والصلح المقترحة عليه من لدن فرنسا الأمر الذي نقرأه في الرسالة التي بعث بها العاهل إلى باشا مكناس القائد الجيلالي بن بوعزة **بتاريخ 28 شعبان 1260 = 12 شتنبر 1844.**

وقد أبرم العقد المشار إليه في الرسالة الملكية بواسطة قنصل ملك الصقليتين السنيور مارتينو، وكان على نحو ما تكون عليه سائر العقود التي تبرم في ظروف هذه الظروف ![8].

---

8) عقد الصلح هذا هو الذي ورد نصه في الإتحاف 5،165/162، وهو يحمل تاريخ 26 شعبان 1260 = 10 شتنبر 1844... كناش رقم د. 1694 بالخزانة الحسنية بالرباط.

عبد الهادي التازي : الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي، مجلة البحث العلمي، العدد 26 رجب ذي الحجة 1396 = يوليو - دجنبر 1976، الحلقة الثالثة ص 19.

PH. DE COSSE BRISCAL : LA FRANCE ET LE MAROC, Hesp 1931 p. 133 ets...

وقد تبعت معاهدة طنجة اتفاقية لتعيين الحدود بين الطرفين في قرية لالة مغنية عرفت باسم معاهدة مغنية وكانت تنطلق أساساً من احترام الحدود التي كانت بين المغرب وتركيا على ماينص عليه الفصل الخامس من اتفاقية طنجة وقد وقعت يوم 9 ربيع الأول 1261 = 18 مارس 1845...

لقد قسمت الحدود إلى ثلاثة أقسام كان الغُنم فيها جميعها لفرنسا بينما كان الغرم على المغرب..!

فالقسم الأول : حدد بتدقيق من مصب وادي كيس في البحر المتوسط إلى ثنية الساسي الواقعة على بعد 150 كلم إلى الجنوب.

والقسم الثاني : يمتد من ثنية الساسي إلى فجيج جنوباً وهذا القسم لم تعين حدوده بدقة وإنما نص فيه على القبائل والقرى التي ذكرت على أنها من إيالة الفرنسيس بالجزائر...

والقسم الثالث : يقع جنوبي فجيج وقد أصر المفاوضون - بناء على برقية وصلت من (الكي دوروصى) على أن لا تعيَّن حدوده ولا قبائله بحجة أنه صحراء ومرعىً لرعايا الدولتين !

☆ ☆ ☆

وقد أثارت اتفاقية مغنية سخط السلطان المولى عبد الرحمن الذي قام بفضح المؤامرات الفرنسية سيا وقد كانت رسالة التفويض الملكية تحرص على أن تبقى الحدود بين المملكة المغربية والإيالة الجزائرية على ما أقرته الاتفاقية التركية المغربية عام 959 = 1552.

وتحتفظ مديرية الوثائق بعدد من الرسائل التي شجب فيها السلطان المولى عبد الرحمن التغرير بالمفاوضين المغربيين حميدة الشجعي وأحمد الخضر، تلك الرسائل التي أعلن فيها عدم رضاه على الاتفاقية المضاة وعزمه على عدم المصادقة عليها...

ولما اشتد ضغط فرنسا على السلطان مولاي عبد الرحمن حول المصادقة على الاتفاقية وإرسال سفير عنه إلى فرنسا... وأخذت تهدد بإرسال الأسطول الحربي مرة أخرى لقنبلة المراسي المغربية وإرسال الجيش لاحتلال وجدة من جديد عمد

العاهل إلى طريقة أخرى وهي إعلانه قبول المصادقة على الفصول التي لا ضرر فيها على المغرب...

سفارة أَشعاش لفرنسا...

وقد عاد الإلحاح على إرسال سفير مغربي إلى فرنسا إظهاراً لعودة العلاقات بين المغرب وفرنسا إلى حالتها السابقة وخاصة أمام الرأي العام الدولي، وتشتغل الدبلوماسية الفرنسية ويتقرر أخيراً إرسال السفير بعد دراسةٍ طويلة للصفات التي ينبغي أن تتوفر في الشخصية المرشحة لهذا المنصب بعد كلّ تلك الأحداث الجسام.

وهكذا وقع الاختيار أخيراً على عامل تطوان الشاب الحاج عبد القادر أشعاش رئيساً للبعثة التي كانت تتكون من الأمين محمد بن الحاج محمد اللبادي والأمين الحاج العربي بن الحاج عبد الكريم العطار والفقيه العدل السيد محمد بن عبد الله الصفّار وقد حملت السفارة معها طائفةً من الهدايا فيها الخيل والحيوانات الوحشية علاوة على التحف والطرائف، وكان خطاب الاعتماد يحمل تاريخ 17 شوال 1261 - 9 اكتوبر 1845.

ومن الطريف أن نجد رسالة للسفير القائد أشعاش يصف فيها الحفاوة التي قوبل بها من طرف المسؤولين الفرنسيين حيث يتحدث عن باريس على أنها أعظم مدن الدنيا وأبهجها كما يتحدث عن البروتوكول الذي يقتضي إلقاء خطاب بين يدي العاهل الفرنسي يتضمن عواطف الودّ إلى غير ذلك من «الزخاريف» على حدّ تعبير



السفير أشعاش

السفير، وهو التقليد الذي قام به من غير «أن يخل بواحدةٍ من الملتين»، وقد أجاب عنه ملك فرنسا بما يشابه، وتناول لويس فيليب خطاب العاهل المغربي بكلّ إجلال واحترام، حيث نزل درجةً عن كرسيّه عند تسلمه ووضعه على رأسه... وقد تحدث السفير عن مأدبة العشاء التي أُقيمت له من طرف العاهل حيث حكى عن الجو الودّي الذي كان يسود الاحتفال والذي كان يشارك في إنعاشه الحاضرون من رجالٍ ونساءٍ من علية القوم، ولم تفته إشادة ملك فرنسا بالنجدة التي قدمها المغاربة للمركب الفرنسي الذي حرّث بناحية الجديدة...[9]

وأطرف من هذا أن نرى أحد المرافقين للسفير وهو الفقيه العدل الصفّار يقوم بتدوين رحلة عن مقام السفارة بفرنسا طوال خمسين يوماً ! وهي تقع في نحو مائة وأربعين صفحة تناول فيها عدة نواح مادية وأدبية عن فرنسا وخصوصاً عاصمتها باريس...

وإن الشيء الوحيد الذي لم يتحدث عنه الكاتب هو العلاقات آنذاك بين فرنسا والمغرب والمهمة الدقيقة التي سافرت من أجلها البعثة وإن مردّ ذلك لما كان وما يزال معهوداً من الاحتفاظ بأسرار الدولة..!

وبعد السفارة المغربية بباريز تقرر إرسال سفارةٍ فرنسيةٍ إلى مراكش برئاسة دوشاسطو (De Chasteau) وعضوية ليون روش حيث أنزلت في «المامونية» على ما يذكره مخطوط الابتسام[10] وتمّ الاستقبال الأول يوم عيد الأضحى = 12 جنبر 1846.

وقد تمت مقابلتان أخريان واحدة يوم 17 دجنبر = 28 ذي الحجة والثانية قبل العودة يوم 23 دجنبر = 4 محرم 1263 حيث تسلمت السفارة من العاهل

9) الإتحاف 5، 177 ـ تاريخ تطوان 3، ص 296 ـ 297.

10) الإبتسام عن دولة ابن هشام مخطوطةٌ خاصة قدّم لها في مجلة «المناهل» 1987 د. عبد الهادي التازي، وهي تذكر في صفحة 235 أن السلطان أنزل السفير الفرنسي بالمامونية ورتّب له المؤنة الوافية وتلاقى معه في قبة الصويرة حيث ناوله كتاب سلطانهم، وقال له السلطان : «نكون معكم كما كان أسلافنا معكم...».

رسالةً جوابية إلى الملك لويس فيليب باعتماد القنصل وكانت تحمل تاريخ ما قبل هذا اليوم وهو 3 محرم 1263 = 22 دجنبر 1846.[11]

☆ ☆ ☆

وتتجدّد الاتصالات بين فرنسا والمغرب بعد اضطرار ملك فرنسا لويس فيليب لترك عرشه وإعلان الأمبراطورية الثانية في 25 يناير 1848.

وقد وجدنا نابليون الثالث يرفع رسالةً إلى العاهل المغربي يؤكد له استمرار سياسة الودّ بين الدولتين ويقدم له ممثله الجديد بالمغرب شارل ياجيرشميد (Yagersmidt).[12]

وقد صادفت طلائع أيام السلطان سيدي محمد الذي خلّف والده المولى عبد الرحمن على العرش في مطلع ربيع الأول 1276 = 26 دجنبر 1859، صادفت وجود المملكة المغربية في حالة إنذار موجه إليها من طرف الجيش الإسباني بقيادة الجنرال أودونيل (O. Donnell) الذي لم يلبث أن احتلّ مدينة تطوان وفرض على المغرب أتاواته المعروفة !

وهكذا اتجهت سفارة مغربية إلى باريز سنة 1226 = 1860 ـ وهي التي جلس فيها العاهل على العرش ـ في أعقاب اتفاقية تطوان 26 أبريل 1860 التي تقضي بأداء عشرين مليون ريال لتحرير تطوان !!

كانت السفارة برئاسة السفير ادريس بن محمد بن ادريس العمراوي وعضوية السيد الحاج عبد الكريم بن جلول البرنوصي، والقائد عبد القادر البخاري، حيث قصدت باريز يوم 13 من ذي القعدة من السنة = 2 يونيه.

ومما يذكر في هذا الصدد أن السفير ابن ادريس كان من السفراء الذي سجلوا مذكراتهم في رحلة أسماها (تحفة الملك العزيز بمملكة باريز) تناول فيها بعض الموضوعات التي كان لها أثرها في إلفات نظر الحكومة المغربية إلى بعض الإصلاحات التي ينبغي إدخالها على جهاز الحكم...[13]

---

11) ابن زيدان : الإتحاف 5 ص 179 ـ 180.

12) الإتحاف 5 ر 181 ـ 182

13) طبعت الرحلة بفاس، وقدمت من طرف الأستاذ السيد زكي مبارك سنة 1970 لنيل درجة علمية بكلية الآداب من جامعة إيكس مارسيليا (Aix-Marseille).

ويظهر أن صفات ابن ادريس نالت إعجاب نابليون الثالث الذي بعث برسالة للملك محمد الرابع بتاريخ 30 يوليه 1860 يشيد فيها به بعد أن يعزيه في موت والده السلطان المولى عبد الرحمان :[14]

☆ ☆ ☆

ولما انتهت مهمة القنصل دوكاستيون وأرسل نابليون بالقنصل الجديد ليون فيليب بِكْلاَر (Beclard)رغبةً منه على ما قال في إعطاء العلاقات الفرنسية المغربية نفساً جديداً... بعث برسالة إلى السلطان سيدي محمد، وهي بتاريخ 22 أبريل 1863 وفيها يعطي نبذةً عن حياة الدبلوماسي الجديد.

وقد تجلّى قصد نابليون من رسالته التي يعتمد فيها بيكلار (Beclard) والتي يقول فيها إنه يريد «أن يعطي المندوبية الفرنسية بالإيالة المغربية أهمية أعظم مما كان لها»، تجلّى ذلك في الاتفاق الذي أبرم يوم 3 ربيع الأول 1280 = 19 غشت 1863 والذي وقّعه عن الجانب الفرنسي بيكلار ومن الجانب المغربي النائب السيد محمد بركاش والوزير ادريس ابن ادريس العمراوي...

وفي ضمن التدخُّلات المتوالية حول الحدود نجد سفارة تتوجه برئاسة الحاج عبد الرحمن العاجي وذلك لمقابلة الأمبراطور نابوليون الذي كان مقيماً آنذاك بالجزائر حيث استقبلت في وهران من طرف الأمبراطور يوم 18 مايه 1865 وقدمت إليه خطاباً ملكياً، وقد تلقى السفير جواب ملك فرنسا على ما تدل عليه الرسالة التي وجهها العاهل إلى نائبه بطنجة بتاريخ 15 صفر 1282 = 10 يوليه 1865[15].

وفي نفس السنة 1282 = 1865 ـ 1866 أوفد العاهل سفارة أخرى إلى باريز... وتفيد الوثائق المغربية أن السفارة كانت لهدف طلب تعديل اتفاقية 3 ربيع الأول 1280 = 19 غشت 1863.

---

14) ابن زيدان : الإتحاف 3، 526/525.

15) الإتحاف 3، 530 J. Caillé : Ambassades et Missions Marocaines en France, Hesp. Tamuda 1960 P. 68 – Not 2.

وهكذا عين السلطان كسفير خاله القائد محمد بن عبد الكريم الشركَي معززاً بباشا سلا الحاج محمد بن سعيد... والكاتب أبي عبد الله محمد السدراتي...

وقد قدم السفير أوراق اعتماده إلى نابليون يوم ثالث يناير 1866 في قصر (ثويلوري) (Tuilerie) حيث كان الأمبراطور محفوفاً بالأمبراطورة والأمير الصغير، وفي خطابه أمام نابليون أشاد السفير الشركَي بالصداقة التي يكنها العاهل للأمبراطور الذي أجاب بدوره بكلمات الترحيب.

وقد نقل صاحب الاستقصا عن القائد ابن سعيد حكايته عن هذا المقام قائلاً : «كانت الدولة تستدعينا كل يوم للفرجة بمحلّ يسمى (التياترو) فيه مواعظ وحكم لمن تبصر، ومتعة للنفس لمن كان له حظ من النظر... وقد طلب منا نابليون أن نبحث له في كتب التاريخ بالمغرب هل نعثر على تاريخ بناء رومة وفي أي وقت بنيت واسم بانيها ونبعث به إليه».[16]

وقد اجتمعت السفارة هناك بباي تونس حيث كانت تتبادل أطراف الحديث معه أحياناً الأمر الذي تدل عليه رسالة الباي إلى القائد ابن سعيد...

وقد وجه الأمبراطور نابليون دعوةً للمملكة المغربية للمشاركة في المعرض الدولي الذي أُقيم بباريز (1283 = 1867) حيث نجد العاهل يبعث بالتاجر الحاج محمد بن العربي القباج الفاسي الملقب بالفرنساوي لأنه كان يعرف «اللسان الفرنجي وعوائدَ ذلك الجيل» على حد تعبير صاحب الاستقصا...

وقد ذكر صاحب الاستقصا أن في جملة الملوك الذين لبّوا دعوة نابليون لحضور المعرض المذكور السلطان العثماني عبد العزيز ملاحظاً أن تعدد لغات المشاركين في المعرض يذكّر في قول المتنبي :

تجمَّع فيه كلُّ لسن وأُمةٍ ... فما تفهم الحُدّاثَ إلا التراجِمُ !

16) نعيد إلى الذاكرة تعرض شراح الحديث الشريف من أمثال العيني لتاريخ روما ووصفها - نقلا عن الشريف الإدريسي في نزهة المشتاق ؟ وذلك بمناسبة سفارة النبي ﷺ إلى هرقل...
نزهة المشتاق، طبعة المعهد الجامعي للدراسات الشرقية نابولي ص 756/754/752... لعل هذا ما كان يقصده نابوليون بهذا السؤال ؟

الحاسّة المعمارية عند السلطان
محمد بن عبد الرحمان

كان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان مهندساً... وهو الذي عدّل في مراكش صهريج المنارة والمنزه الذي كان ينزل فيه كبار ضيوف المغرب، وصمّم لداره الكبرى بالرباط وجلب إليها الماء عام 1283 = 1866 م. وهذا هو النقش الذي كان موزعاً على جانبي باب المشور، هذا إلى نقيشةٍ ثالثة بيضية الشكل وسط الباب.

الحمد لله وحده بني هذا الباب المبارك
بأمر أمير المؤمنين السلطان
الأمجد مولانا محمد نصره الله

وأدام ملكه ابن أمير المؤمنين
السلطان الأمجد عبد الرحمان
رحمه الله عام 1283

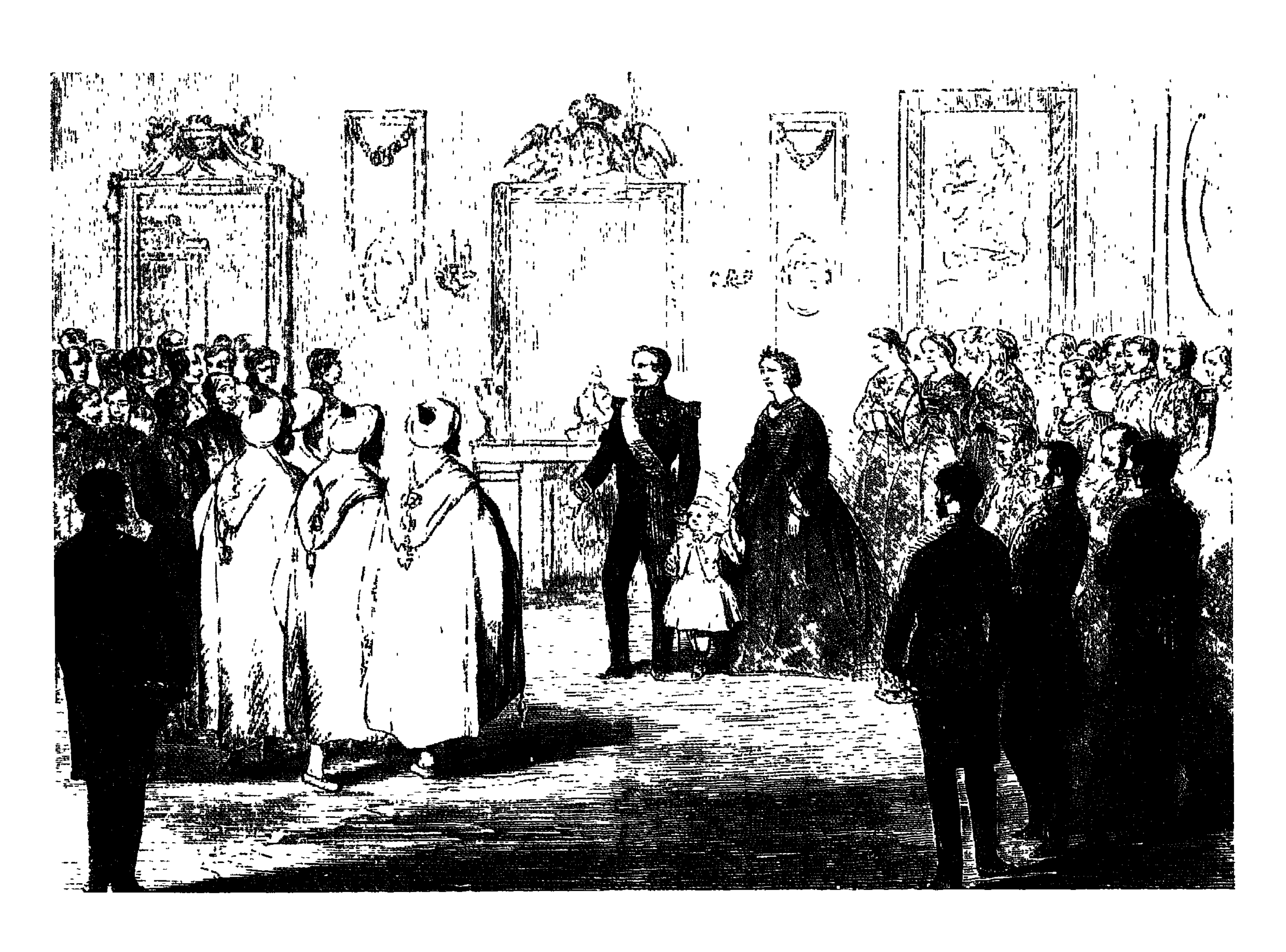
الحمد لله وحده
بني هذا الباب المبارك بأمر أمير المؤمنين
مولانا محمد ابن مولانا عبد الرحمان رحمه الله
عام 1283

وفي إطار المحاولة المغربية للحدّ من الحمايات القنصلية وردت فكرة القيام بحملةٍ ديبلوماسية في عددٍ من الدّول الأوروبية، انتهت إلى عقد المؤتمر الدولي بمدريد على ما سنرى.

وهكذا تم تعيين الحاج محمد بن أحمد الزبدي على رأس السفارة المغربية إلى فرنسا، بلجيكا، أنجلترا، إيطاليا... وقد صحبه في هذه المهمة بناصر غنّام كامينٍ للصائر وادريس الجعايدي كسكرتير للسفارة وعدد من الموظفين الأعوان والمساعدين...



استقبال سفراء مغاربة ويابانيين في قصر الصناعة من قبل م.لوبلى 1866 الاقتصادي الفرنسي الشهير الذي دافع عن سياسة الإصلاح الاجتماعي. سفارة الشركَي وابن سعيد 15 غشت 1865.



السفير ابن إدريس في بلاط نابليون الثالث الذي تصحبه زوجته وابنه (1276 = 1860)



كان من بين المبعوثين الدبلوماسيين الذين سجلوا مذكراتهم عن سفرهم (المجلد 1، ص 274/265) ادريس الجعايدي الذي قام بتدوين مخطوطته «إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار».(1)

وهكذا تتبع مسيرة الرحلة من يوم خروجها من طنجة يوم 7 جمادى الأولى 1293 = 31 مايه 1877 إلى وصولها لمرسيليا عبر «فرقاطة» خاصة ثم اتجاهها نحو باريز على متن القطار حيث استقبلت من كبار الشخصيات الفرنسية وفي مقدمتها وزير الأمور «البرانية» ورئيس الدولة.

وإلى جانب هذا حضرت السفارة المسابقات والفرجات وزارت بعض المتاحف ودار السكة وحديقة الحيوانات والمطبعة والخزانة العامة...

ثم اتجهت بعد أن انتهت مهمتها نحو بروكسيل عبر القطار حيث استقبلت من لدن وزير الخارجية قبل أن تقوم بزيارة بعض «الفابريكات» وعدد من مرافق الدولة... وفي مدينة لييج (LIEGE) استقبلت السفارة من لدن العاهل البلجيكي... ثم قصدوا مدينة شارل لُورَوا للوقوف على مصانع الزجاج والنسيج وغيرهما...

وبعد هذا ركبت السفارة متن البحر إلى (دوفر DOVER) التي توجهوا منها إلى لندن وهناك أعد للسفارة برنامج حافل تصدرته زيارة وزير الشؤون الخارجية علاوة على حضور المشاهد المسرحية، وزيارة بعض الأبناك ودور السكة قبل أن يلتحقوا بالجزيرة الخضراء التي كانت تقيم فيها العاهلة البريطانية آنذاك...

وبعد زيارة السفارة لمدينة (ولت أسطيبل WHITSTABLE) غادرت إلى التراب الفرنسي حيث قامت بأنشطة جديدة كان منها زيارة مصانع الأسلحة والمدرسة العسكرية... ومن باريز اتجهت عبر مدينة ليون نحو مدينة تورين ومن هذه المدينة قامت السفارة بجولة في إيطاليا، فاتجهت نحو فلورانسا حيث استقبلت من لدن ممثل عن وزير الشؤون الخارجية، وبعد أن قامت بزيارة (دار الفلكيين والمهندسين) قصدت رومة حيث إستقبلها وزير الشؤون الخارجية والوزير الأول... وبعد أن قامت بزيارة بعض المستشفيات وحضرت بعض المسلّيات عادت من رومة إلى فلورانسا... ثم رجعت إلى تورين حيث تم استقبالها من رئيس الدولة الذي استدعى السفارة للمشاركة في رحلة صيد مع ولده... ومن تورين قصدوا ميلانو حيث قاموا بزيارة مصانع الخزف والرخام قبل أن يتجهوا نحو المدينة الإيطالية الشهيرة (جنوة) ويزوروا مدينة بيكّلي PEGLI التي توجد جوارها.

وقد عادرت السفارة المغربية جنْوة في سفينة خاصّة أيضاً نحو طنجة التي وصلوها يوم الإثنين 21 شعبان 1293 = 1 شتنبر 1877.

---

1) ينكبّ الطالب عزّ المغرب ابن الأُستاذ الزميل الحاج أحمد معنينو على تحقيق هذه الرحلة لنيل درجة علمية من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس ـ الرباط، وبهذه المناسبة نشكر عناية مدير آرشيف الدولة في جنوة الأُستاذ الدكتور ألدو أكَوسْطو Aldo Agosto....

وفي السنة الموالية 1877 وجدنا بعثة فرنسية بمدينة فاس بقيادة الدبلوماسي دوفير نُويي (De Vernouillet) وعضوية شارل فيرو (Charles Féraud) وذلك خلال شهري مارس وأبريل من السنة.[17]

وبمناسبة انتخاب رئيس الجمهورية الفرنسية السيد جيل كريفي (Jules Grévy)، فكّر جلالة الملك في إرسال وفد تهنئةٍ للرئيس الجديد.

وقد ترأس هذه السفارة أحد العلماء المبرزين علي المسفيوي الذي وصل إلى مرسيليا يوم 10 دجنبر 1879 = 25 ذي الحجة 1296 ثم وصلت السفارة إلى باريز بعد ثلاثة أيام...

وبعد ذلك استقبل من طرف رئيس الجمهورية يوم 24 دجنبر 1879 في احتفالٍ كبير حيث قدّم أوراق اعتماده وقام بإلقاء خطاب أمام الرئيس الفرنسي

☆ ☆ ☆

وبعد أن ذُكِرَ عن بعثةٍ فرنسية بمراكش في مارس وأبريل 1882 برئاسة أورديكَا[18](Ordega)، قرأنا رسالة بتاريخ 7 رجب 1301 = 3 مايه 1884 موجهة من السلطان المولى الحسن إلى الرئيس الفرنسي كَريفي (Grèvy) تتحدث عن السفير القائد بوشتى ابن البغدادي...[19]

وقد تحدثت المصادر المغربية والفرنسية عن بعثة الوزير شارل فيرو (Charles Féraud) إلى فاس (مايه 1885)، ومن المعروف عن هذا الوزير أنه كان يتوفر على اللسان العربي وأنه شغل مهمة قنصل في طرابلس،[20] من ذي قبل...

وقد ثمت ثلاث لقاءات خاصة رأساً لرأس بين العاهل المغربي وبين السفير الفرنسي دامت كل واحدة منها ساعتين تقريباً وبإشارةٍ من السلطان...

---

17) F. Charles – Roux : Missions Diplomatiques Françaises à Fès, Hesp 1948 p.225

18) Eugène Fumey : Correspondances Marocaines. p. 59-69

19) F. Ch. Roux Missions. Hesp. 1948 p. 243

20) Or. Mohamed A. El Wafi : Charles Feraud et la libye (1876-1884) TRIPOLI 1977
FRANCOIS CHARLES – roux et Jacques Caillé : Missions Diplomatiques Françaises à Fés, Paris 1955 p.55.

وقد غادر فيرو مدينة فاس يوم 27 مايه 1885 عبر مكناس حيث وصل طنجة يوم ثامن يونيه يحمل معه رسالتين إلى الرئيس الفرنسي (جيل كريفي Jules Grévey) : الأولى كانت جواباً عن أوراق الاعتماد، والثانية تخبر بإرسال سفير مغربي إلى فرنسا...

ولم يكن هذا السفير غير عامل وجدة عبد الملك بن علي السعيدي الذي اتجه إلى فرنسا صحبة فيرو يوم 24 يونيه 1885 على متن السفينة الحربية الفرنسية أريثوز (Aréthuse)...

وقد ضمّت السفارة عدداً من المساعدين والأعوان، وكان يعزز السفير قاضي فاس عبد الواحد ابن المواز وأربعة قواد وكاتب على نحو ما يوخذ من رسالة الاعتماد المؤرخة في 20 شعبان عام 1302 = 4 يونيه 1885.[21]

وفي رسالة الاعتماد التي حملها السفير السعيدي وجدنا أن السلطان المولى الحسن إذ يعرب عن تعليقه الآمال على مهمة السفير فإنه يؤكد حسن نيته في التعامل، وقد تجلّى أن عامل وجدة عهد إليه بتسوية الخلافات المتعلقة بالحدود بين المغرب والجزائر...

وقد غادر السفير السعيدي باريز صحبة السفير الفرنسي فيرو يوم 19 يوليه للذهاب إلى مونبوليي (Montpellier) حيث قضو نحو ثلاثة أيام على مقربة من الطلبة المغاربة المتدربين الذين تحدث إليهم السفير طويلاً، كما تحدث إلى الأساتذة الذين يقومون بتعليمهم بل وحضر بعض التمارين العملية...

وبمناسبة تجديد انتخاب الرئيس الفرنسي جيل كَريفي (J. GREVY) بعث رئيس الجمهورية يخبر العاهل المغربي بالموضوع فأجابه السلطان المولى الحسن برسالة بتاريخ 10 جمادى الأولى 1303 = 14 يبراير 1886 وتتضمن التهنئة والمتمنيات.[22]

☆ ☆ ☆

21) الإتحاف 2 ر 315 ـ 317.

22) الإتحاف 2 325.

وقد وجدنا المغرب يوافق على الدعوة التي كانت وجهت إليه للمشاركة مرة ثانية في المعرض الدولي بباريز حسبما تنبيء عنه رسالة مخزنية بتاريخ 2 ربيع الأول 1304 = 29 نونبر 1886 موجهة من الحكومة المغربية إلى السفير فيرو وكان الذي مثل المغرب هذه المرة هو الحاج العربي بريشة...

ولما كان فيرو قد أدركه أجله سنة 1888 فقد عيّن الرئيس الفرنسي كارنو (Carnot) خلفاً لفيرو، كان هو باطانوطر (Patenôtre) الذي قصد مدينة فاس في شهري يبراير ومارس 1889 لتقديم أوراق الاعتماد...

وقد كان في أبرز الهدايا «LE Clou» التي استرعت الانتباه والتي تقرر تقديمها للعاهل بمناسبة ظهور الكهرباء آنذاك... مركب مائي يسير بجهاز كهربائي يستعمله العاهل في أحد الصهاريج الملكية مع أحد المتخصصين في تسيير المركب حتى لا يستعان بأحد الطّلاينة الذين يعملون في «الماكينة»...[23]

وقد كان مما راج من حديث بين العاهل المغربي والسفير الجديد الإعراب عن النية في إرسال سفارة مغربية إلى باريز أثناء إقامة المعرض الدولي.

وهكذا عهد بالمهمة إلى صهر السلطان مولاي الحسن وعامله على الشاوية الحاج المعطي بن عبد الكبير المزامزي صحبة موظفين سامين هما أحمد الكردودي والحاج محمد بن المدني بنيس، هذا إلى مرافقين آخرين... وقد أورد ابن زيدان نص رسالة اعتماد السفير المغربي لدى الرئيس الفرنسي وكانت بتاريخ 27 ذي القعدة 1306 = 25 يوليه 1889.[24]



الحاج المعطي بن عبد الكبير المزامزي

---

23) كنت في مقالة بمجلة (المناهل) المغربية مِلْتُ إلى القول بأن «المركب» الذي تفجر في عرصة النيل بأكدال مراكش هو من هدايا فرنسا عام 1883/1882... ولكنني اليوم أميل إلى تاريخ 1889. مستدركاً على ما قاله شارل رو بأنه من الممكن أن يكون المركب نقل من فاس إلى مراكش، المناهل عدد 28، دجنبر 1983 ص 112 ـ Charles – Roux : Missions... Hesp 1948, p. 244

24) الإتحاف 2 ر ص317 ـ 318.

وبعد بضعة أيام من وصول السفارة المغربية قدّم الحاج المعطي أوراق اعتماده للرئيس الفرنسي كارنو حيث تبودلت الخطب....

وقد غادرت البعثة باريز يوم 10 اكتوبر 1889 في اتجاه المغرب عبر مدريد، وفي هذه الأثناء قامت فرنسا بتعيين سفير جديد لها بالمغرب كان هو الكونط أوبيني (Aubigny) الذي وصل إلى مدينة فاس يوم 27 شتنبر 1892 حيث قدم السفير أوراق اعتماده يوم 5 اكتوبر بعد أن استقبله وزير الشؤون الخارجية.

وكان مما أثير أثناء هذه المهمة إضافة «تعديلات»[25] على شروط الف في التجارة المنعقدة بين البلدين في أعقاب موقعة إيسلي 26 شعبان 1260 = 10 شتنبر 1844.

وفي هذه الظروف أرادت الأقدار أن تستأثر بروح السلطان المولى الحسن الذي خلّفه ابنه السلطان المولى عبد العزيز 2 حجة 1311 = 7 يونيه 1894...

وقد علمتنا التجربة أن انتقال الحكم من شخصية إلى أخرى يكون فرصة جديدة - بالنسبة للمتربّصين - للتقدم خطوة أخرى نحو تحقيق الأهداف، ومن ثمة لم يكن غريباً علينا أن نشهد مطالبة السفير الفرنسي بطنجة بإعداد مكانٍ لإقامة قنصلها بفاس دومارسيي (Marcilly)...

وفي هذه الأثناء عين سفير فرنسي جديد بطنجة هو الوزير دومونبيل (De Monbel) ووصل إلى فاس يوم 27 مايه 1895 = 2 ذي الحجة 1312.

لقد كان خطابه أمام العاهل جد مختصر، ختمه بالدعاء لجلالة السلطان المولى عبد العزيز الذي أجابه بكلماتٍ جد حكيمة وهادفة مذكراً بالعلاقات الفرنسية المغربية وبالصلات التي كانت لوالده مع فرنسا...

---

25) وقفت في الخزانة الحسنية على كناش يحمل رقم د. 1694 يتضمن رسالة ملكية هامة وجهت إلى أمناء المراسي يذكر فيها أن «باشدور الفرانسيس طلب «تبديلات» في شروطهم التجارية المنعقدة بين الدولتين بتاريخ 26 شعبان 1260 = 10 شتنبر 1844... وقد أرخت هذه الرسالة في ثاني ربيع الثاني 1310 = 24 اكتوبر 1892. - الإتحاف 5، ص 162...165.



الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يعلم من هذا المسطور الكريم، المقابل أمره بالإجلال والتعظيم، أبقاه الله في إكليل
المعالي درة، وفي جبين الدهر غرة، أننا بحول من لم يزل مسدلا جلباب [illegible]
[illegible] مسبغا أياديه على التوالي، [illegible] على ما سلف من خدمتنا وخدمة سيدنا
قدسه الله [illegible] الطالب عبد السلام بن الحاج محمد
التازي الرباطي [illegible] التوقير الظاهرة، وأوردناه من معين التعظيم [illegible]
المناهل الصافية، وأحطناه بعز [illegible]، وأدخلناه في [illegible]
والتقريب في سائر أطواره، وأجرينا أولاده أصلحهم الله وأخويه الحاج محمد
والحاج امحمد وابن أخيه الحاج محمد بن أحمد وأصهاره مجراه في جميع ذلك حتى سلكنا
بجميعهم تلك المسالك، وأسقطنا عنه وعنهم سائر الكلف المخزنية والوظائف
السلطانية، فلا يطالبون منها بجليل ولا حقير ولا نقير ولا قطمير، وزدناهم من التعظيم
والتقريب ما يدل على علو مكانتهم، وسمو منزلتهم، [illegible]
العالي بالله، وانقطاعهم لخدمتنا [illegible]، [illegible] من مزيد الحظوة ما
تكون لهم به [illegible] على مر الدهور تنويها وتحسينا، فلا يروع لهم سرب، ولا يكدر لهم شرب
ومن حام حماهم بما [illegible] ما [illegible] لخدمتهم وصدقهم في أمانتهم
وانقطاعهم إلى علي جنابنا بكليتهم [illegible]
أن يعمل بذلك [illegible] صدر به أمرنا المعتز
بالله تعالى في 4 ربيع النبوي عام 1312

ظهير توقير سلّمه السلطان مولاي عبد العزيز في بداية أيامه إلى وزير المالية عبد السلام التازي (4 ربيع النبوي 1312 = 5 شتنبر 1894) عندما أقره العاهل على ما كان عليه أيام والده السلطان المنعم مولاي الحسن، وقد شمل هذا التنويه ذرية الأمين وأخويه الحاج مُحمد والحاج امحمد المقيمين بالرباط، **وابن أخيه** الذي بقي مقيماً بفاس وهو الجد الحاج محمد بن أحمد، وكذلك سائر الأصهار، ويلاحظ أن هذا الظهير كتبت منه عدة نسخ سلمت لمن يعنيه الأمر كحجة على «إسقاط سائر الكلف المخزنية والوظائف السلطانية... فلا يطالبون منها بجليل ولا حقير ولا نقير ولا قطمير... ولا يروع لهم سرب، ولا يكدر لهم شرب... لخدمتهم وصدقهم وانقطاعهم إلى عليّ جنابنا بكلّيتهم..».
عن رسائل مخزنية، للمؤلف ـ مطبعة أكدال ـ الرباط 1979.

وقد رأت الحكومة المغربية وهي تبعث بسفارة إلى لندن لحضور العيد الفضي للملكة فكتوريا، أن تبعث بسفارة أيضاً إلى باريز الأمر الذي رحب به وزير الخارجية الفرنسية هانوطو (Hanotaux)، وهكذا تعيَّن محمد بن موسى أحد إخوة باحماد للقيام بالمهمة.

وفي خطابه أمام الرئيس الفرنسي يوم 29 مايه 1897 قال ابن موسى : إن مهمته تهدف لدعم صلات الصداقة الموجودة بين فرنسا والمغرب، وإن السلطان المولى عبد العزيز مصمم العزم على مواصلة الخطة التي سار عليها والده وأجداده للعمل من أجل تنمية العلاقات الطيبة بين البلدين...

وفي جوابه عن الخطاب المغربي قال الرئيس الفرنسي : إنه مستعد للتثنية على جهود العاهل في هذا الصدد لصالح تقوية التفاهم الذي سيكون مفيداً جداً للدولة الشريفة...».

وقد كان على السفارة أن تتابع مهمتها في فرنسا لولا ما اعترى السفير من أزمة حادة في أعقاب عودته من استعراض للخيول في لونكشان (Longchamp)، وباقتراح من مستشاره ابن سليمان نقل السفير إلى ميناء الجديدة...

وكما حصل أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ونجله السلطان المولى الحسن فقد رأينا أن السلطان المولى عبد العزيز يستجيب للدعوة التي توصل بها المغرب للمشاركة في معرض باريز حسبما تنبيء عن رسالة منه إلى رئيس الجمهورية الفرنسية تحمل تاريخ 9 ذي القعدة 1316 = 21 مارس 1899. وقد عهد بالمهمة إلى الحاج محمد بن جلون التطواني.[26]

وبما أن هذه المظاهرة الاقتصادية صادفت انتخاب رئيسٍ جديد للجمهورية الفرنسية هو المسيو إيميل لوبي (Emile Loubet) فقد توجه السلطان المولى عبد العزيز برسالةٍ رقيقةٍ بتاريخ 19ذي القعدة 1316 إلى الرئيس الفرنسي يقدم له التهاني بهذه المناسبة «حيث أعطى القوس باريها وأسكن الدار بانيها»...

26) وثائق تطوان مح 106/26 رسالة بتاريخ 28 شوال 1317 = 28 يبراير 1900 - مح 146/18 رسالة بتاريخ 12 ذي القعدة 1318 = 12 مارس 1901.

ولقد كان تحرك الجنود الفرنسيين في الحدود المغربية حوالي عام 1900 موضوع احتجاجات وانتفاضات وهذه رسالة تحمل تاريخ 25 جمادى الأولى 1318 = 21 شتنبر 1900 موجهة من النائب الطريس إلى سفير بريطانيا يطلب إليها إخطار الملكة فيكتوريا بالتجاوزات الفرنسية،(27) على الحدود المغربية ويطلب إليها أن تقنع فرنسا بوجوب تعيين الحدود بين المغرب والجزائر، ولا شك أن مثل هذا الاسترعاء راح إلى مختلف الممثليات الأجنبية في طنجة...

لقد كانت فرنسا أبرمت بالفعل مع اسبانيا اتفاقية سرية تحدّد بمقتضاها «الممتلكات» الإسبانية والفرنسية في افريقيا الغربية وذلك بتاريخ 28 صفر 1318 = 27 يونيه 1900...(28)

وقد أبرمت أيضاً اتفاقية سرية مع إيطاليا بتاريخ 14 دجنبر 1900 حول التنازل لهذه الأخيرة عن مطامعها في طرابلس مقابل وعدها بحرية نشاط فرنسا في المغرب الأقصى على ما نراه في العلاقات المغربية الإيطالية...(29)

وبالرغم من الظروف التي كان يعيش عليها المغرب فقد قام السلطان المولى عبد العزيز بتقديم احتجاج شديد إلى فرنسا ضد مخططاتها في الصحراء واقتحامها لبعض المراكز بالقوة، وكان ذلك في رسالة بعثها العاهل بتاريخ 5 صفر 1318 = 4 يونيه 1900 إلى القائد عبد الله بن سعيد النائب المساعد في طنجة...(30)

إن الجيش الفرنسي ومعه بعض الدول الأوربية المعنية هو الذي كان يعرف عن المذبحة التي قام بها الجند في إقليم توات عام 1900 تلك المذبحة التي

---

27) وثائق تطوان مح 165/44 - روم لاندو : تاريخ المغرب في القرن العشرين (ترجمة نقولا زيادة) ص 71.

28) عبد الهادي التازي : الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي، مجلة البحث العلمي، السنة الرابعة عشر العدد 27، محرم - جمادى الثانية 1397 = يناير - يوليه 1977 الحلقة الرابعة والأخيرة ص 23.

29) المسألة التونسة ص 234، IBN AZZUZ : Pactos Internationales de Marruecos 1957, p. 57-58

30) Hassan II : le defi 1976 p. 12, 207 le Matin 10 - 1 - 1975

كانت فوق حاجة الثعالب والعقبان لأن كثرة الجثث كانت بحيث تتعدى الحد على ما يقول كَوتيي.(31)

وبعد أن أعطت فرنسا موافقتها على إرسال سفارةٍ مغربية لباريز تألفت البعثة من السفير عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية صحبة الأمين بناصر غنام والفقيه محمد الكَبّاص الكاتب.

وقد وصلت السفارة إلى باريز يوم 18 يونيه 1901... وبعد يومين استقبلت في احتفال رسمي من طرف رئيس الجمهورية لوبي (Loubet) الذي كان محاطاً بعدد كبير من وزرائه...

وقد كانت مهمة السفارة تهدف إلى تسوية الحالة في القسم الشرقي الجنوبي من الحدود المغربية الجزائرية حسبما تقتضيه اتفاقية 4 ربيع الأول 1261 = 18 مارس 1845، ولقد كان يدير المفاوضات في الجانب الفرنسي روفوال (Revoil)...

وفي 20 يوليه 1901 وقع ابن سليمان وديلكاسي (Delcassé) على بروتوكول حول تطبيق معاهدة لالة مغنية 1845 في القسم الجنوبي الغربي للجزائر...(32)

وقد نص البروتوكول المذكور على إنشاء لجنة فرنسية مغربية يعهد إليها بتسوية المشاكل التي قد تنشأ على الحدود المغربية الجزائرية. وقد أدت هذه الخطوات إلى إبرام «وفق» إضافي يوم 20 أبريل 1902 وآخر يوم 7 مايه من نفس السنة ينصّان على فصولٍ تكميلية...

---

31) هذا تعبير كَوتيي :

M. Je ne Crois Pas qu'il y' eu de Massacre Comparable à Ceux de 1901... Les Chacals et Les Vautours Seuls Chargés de la Voirie ont été débordés par L'immensité dela Besogne. Toutes Les Populations ont été decimées et leurs chefs Supprimés. Mohammed Maazouzi, L'Algérie et les étapes de L'Ampritation du Territoire Marocains 1976 la Marocanité du Sahara Centrale 1978 p. 50-51

32) يوجد النص الكامل لهذا الاتفاق في وثائق تطوان مح 13/65 وهو يحمل تاريخ 3 ربيع الثاني 1319 = 20 يوليه 1901 ـ J. Caillé : Ambassades.. Hesp 1960 p. 79 تراجع الملاحق...

وقد وقعا معاً بالجزائر من طرف الجنرال كوشميز (Cauchemez) ومحمد الكَباص،[33] كما أنه ألحقت بعض «التغييرات» ببروتوكول 20 يوليه 1901 ونظم التعاون بين الحكومتين في منطقة الحدود فيما يتعلق بالشرطة والتجارة والديوانة...

ولم تلبث فرنسا أن اعتمدت سان روني طايلاّندي (S-R. Taillandier) مبعوثاً جديداً لها في المغرب.

ولقد قدر لهذا المبعوث الجديد ـ الذي صادف هنري كَايار[34] قنصلاً لفرنسا بفاس ـ أن يقدم أوراق اعتماده للسلطان المولى عبد العزيز في مدينة الرباط، وبالذات في قصره المشرف على المحيط الأطلسي المعروف بقصر (القبيبات)[35] والعاهل في طريقه من مراكش إلى فاس...

وهكذا فعلاوةً على تسلم أوراق اعتماد سفير النمسا وهنغاريا واستقبال سفير ألمانيا وأنجلترا كانت الحصة المهمة للسفير طايلاندي الذي مثَّل بين يدي العاهل في (القبيبات) صباح يوم الأربعاء 26 شوال 1319 = 5 يبراير 1902.

- وقد لمح السفير إلى «المصالح المشتركة» التي خلقها الجوار بين المغرب والجزائر والتي من شأنها أن تجعل من الصداقة المغربية الفرنسية الشرط الأساسي للازدهار والتقدم...

وقد كان الجواب يتلخص في التّرحيب بالسفارة التي بعثها رئيس الجمهورية الفرنسية مؤكداً أن حسن الجوار هو الهدف المنشود... وبعد أيام

---

33) يؤكد صاحب «الإتحاف» أن الكَباص هو الذي رشح للوقوف على تصفية أمر الحدود بصفته رئيساً، وقد كان مرفوقاً بالسادة أحمد السعيدي باشا مكناس مساعد أول ومحمد بن محمد الكباص مساعداً ثانياً ومحمد بن عبد الواحد المندوب المخزني بوجدة وباشا الدار البيضاء سابقاً كاتباً أول والفقيه محمد الهواري قاضي طنجة والمهندس الزبير سكيرج... وأنهم مكثوا في هذه المأمورية من آخر سنة 1318 = 1901 إلى آخر 1321 = 1904.
- الإتحاف 1، 398 ـ وثائق تطوان مج 15/14/65.

34) ظل كَايار بفاس طوال اثنتي عشرة سنة دون فيها ودونت عنه أخبار مثيرة ومطرفة.
H. Gaillard : le Commerce de Fes en 1902, rens. col. déc. 1904.

35) J. Caillé : Ambassades, Hesp. 1960, p. 78-79

مرت في الاتصالات والزيارات تم لقاء جديد مع العاهل يوم 23 يبراير في قصر القبيبات أيضاً وحضر مع السفير هنري كَايار في غرفةٍ تنفتح على المحيط...

وبعد حينٍ من الزمن بعث هذا الوزير المعتمد من طنجة إلى فاس بمستشاره هنري ديسكوس (Descos)[36] ليقدم إلى العاهل الرئيس الجديد للبعثة العسكرية الفرنسية الكولونيل سان جوليان..!

وتحكي المصادر في هذه الأثناء عن (تمرّد بوحمارة) في الشمال الشرقي منذ 1902 وتصدي المخزن له وهو الأمر الذي دفع بالسلطان المولى عبد العزيز إلى الاقتراض من بعض البنوك الأجنبية التي كان في صدرها فرنسا..!

ومن جهة أخرى فإلى جانب إسكات فرنسا لاسبانيا... وإرضائها لإيطاليا... نجدها تصل بعد مفاوضاتٍ طويلة في لندن إلى اتفاق معروف بينها وبين بريطانيا 8 أبريل 1904. تتخلى فيه فرنسا لأنجلترا عن مصر على أن تترك أنجلترا اليد لفرنسا في المغرب !

ولعل من الطريف أن نسمع أنه عندما كانت المفاوضات الثنائية سنة 1903 بين فرنسا وأنجلترا في طريق التحضير كانت الحكومة الفرنسية تجد صعوبة في إقناع اليسار الفرنسي بضرورة التدخل الفرنسي في المغرب، وقد ورد في خطاب ألقاه أوجين إيتيان (Eugène Etienne) إثر مأدبة العشاء التي أقامها... الإغراء بمادة الفوسفاط التي لم يكن يعرف أحد عن وجودها في الجنوب المغربي !

وكدليل على اهتمام المغرب الزائد بمثل تلك الصفقات وجدنا الدولة المغربية تقوم آنذاك بترجمة كاملة لفصول المعاهدة الإنجليزية الفرنسية المعقودة أواخر عام 1321 = أواسط مارس 1904 وذلك بقلم وتعريب المهندس المغربي الزبير السكيرج.[37]

وقد وجدنا بعثةً فرنسيةً برئاسة سانت أولير (Saint-Aulaire) الكاتب الأول في الممثلية الفرنسية بطنجة تتحرك من طنجة يوم 18 أبريل 1904 لتصل

---

36) Taillandier. les Origines du Maroc Français p. 32-33 etc...

37) وثائق الطريس بتطوان تحت رقم مح 16/65.

إلى فاس، لقد كان الهدف مزدوجاً فهو من ناحية مفاتحة المخزن في شأن القروض... وهو من ناحيةٍ أخرى محاولة لتلطيف وقع التصريح الإنجليزي الفرنسية.(38)

وهكذا تمّ الاستقبال الرسمي يوم 29 يناير 1905.(39) وابتدأت سلسلة المحادثات يوم 31 يناير = 25 ذي القعدة 1322 واستمرت طوال التسعة أشهر التي قضاها المبعوث الفرنسي في فاس...

☆ ☆ ☆

وكأن كل تلك الدّواهي لم تكن كافية فقد قام طبيب فرنسي في مراكش يحمل اسم موشان (Mauchant) برفع علم بلاده على محله يوم الثلاثاء 5 صفر 1325 = 20 مارس 1907 فثارت العامة ضد هذا الصنيع وأجهزوا على الطبيب...

وكان هذا الحدث مبرراً، بالنسبة للجيوش الفرنسية، لاحتلال مدينةٍ وجدة أخذاً بالثأر !(40)

وفي خضم هذه الظروف المشحونة بالتوتر ثارت العامة في الدار البيضاء وأجهزت على عدد من الأجانب الفرنسيين والإسبانيين والإيطاليين... وكان ذلك يوم الثلاثاء 19 جمادى الثانية 1325 = 30 يوليه 1907...

وقد عُزِزت القوات الفرنسية ببارجة حربية ثانية في الوقت الذي كانت فيه الحُكومة تسعى جادة في شرح الموقف للشعب ولعمال المملكة على ما نرى في الرسالة التاريخية التي تحمل نفس التاريخ 25 جمادى الثانية 1325 = 5 غشت 1907 والتي كانت موجهةً إلى القائد عبد الرحمن بن بركاش...(41)

---

38) F. Charles – Roux et Jacques Caille : Mission Diplomatiques, Paris, 1955 p. 115-121-126

39) G. Saint – René Taillandier. Les Origines du Maroc Français, Paris 1930 p. 228-229 R. Le Tourneau : Fez. p. 167
F. Charles – Roux et Jacques Caillé : Missions Diplomatiques Françcaises à Fez Paris 1955 p. 151-189.

40) الإتحاف 1، 416 ـ 417.

41) المختار السوسي : المعسول 6 ر 109 ـ 115 دالية الإيفراني :

وجاش على هذي السواحل كلّها   ببحر سفين بالقوارب مزبد !

ابن زيدان : الإتحاف 1 ر 416 ـ أحمد زيادي : انتفاضة الشاوية، دار قرطبة للطباعة ـ الدار البيضاء.

وفي نفس اليوم وردت بارجة إسبانية من جزر كنارية تحمل فرقةً عسكرية بحجة حماية قنصليتها أيضاً !! وتبع هذا نزول الجنرال دريد (Drud) بالمدينة حيث أحكم القبضة على المدينة ولم يلبث أن أتبعها بإقليم الشاوية...

ولم يكن غريباً أن نسمع في هذه الأثناء عن قيام عددٍ من القواد والأعيان بمبايعة السلطان المولى عبد الحفيظ عوضاً عن أخيه السلطان مولاي عبد العزيز (رجب 1325 = غشت 1907).

لقد كان مما ورد في نص بيعة أهل فاس بتاريخ 22 ذي القعدة 1325 = 27 دجنبر 1907.

«...ولا غرو أن مولانا أمير المومنين... يسعى جهده في رفع ما أضربهم من الشروط الحادثة في الخزيرات[42] حيث لم توافق الأمة عليها ولا سلمتها ولا رضيت بأمانة من كان يباشرها ولا علم لها بتسليم شيء منها، وأن يعمل وسعه في استرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية وأن يباشر إخراج الجنس المحتل من المدينتين اللتين احتل بهما (وجدة - البيضاء)... وأن يستخير الله في تطهير رعيته من دنس الحمايات والتنزيه من أتباع إشارة الأجانب في أمور الأمة... وإن دعت الضرورة إلى اتحاد أو تعاضد فليكن مع إخواننا المسلمين كآل عثمان وأمثالهم من بقية الممالك الإسلامية المستقلة، وإذا عرض ما يوجب مفاوضةً مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية فلا يبرم أمر منها إلا بعد الصدع به للأمة كما كان يفعله سيدنا المقدس الحافظ للذمة حتى يقع الرضى منها بما لا يقدح في دينها ولا في عوائدها ولا في استقلال سلطانها وأن يوجه وجهته الشريفة لاتخاذ وسائل الاستعداد للمدافعة عن البلاد والعباد... وأن يُقر العيون والنفوس برفع ضرر المكوس..».

☆ ☆ ☆

وفي أثناء هذه الظروف العصيبة قام الأجانب يطالبون الحكومة المغربية بالتعويضات عن الخسائر التي حلت بممتلكاتهم وأشخاصهم دون أن يعيروا

42) الإشارة إلى معاهدة الجزيرة الخضراء التي سنتحدّث عنها في فصل الاتّفاقيات المتعددة الأطراف.

انتباهاً لما يلحقونه هم بالمواطنين[43] الأمر الذي استدعى تكوين «لجنة التعويضات»...

ثم تشكلت (لجنة تنفيذية) لأداء التّعويضات برئاسة الخليفة السلطاني سيدي محمد الامراني الذي عوض مولاي الأمين... ومشاركة النائب الإيطالي والإنجليزي والفرنسي والإسباني.

ولابد أن نعيد إلى الذاكرة أن السلك الديبلوماسي الأجنبي لاذ بالصمت إزاء الاعتراف بالعاهل الجديد الذي كان قد رفع منذ جلوسه على العرش احتجاجاً صارخاً إلى الدول الموقعة على عقد الجزيرة الخضراء يذكرهم فيه «بأننا لم نستشر فيما اتخذ من قرارات، إن المغرب، يقول السلطان مولاي حفيظ، يمثل دولة، وليس من الممكن أن نبت في مصير أبناء هذه الدولة دون أن تأخذ بعين الاعتبار مشاعرهم، إنني أمثل هنا أمة لم تجرؤ دولة مّا على احتلالها أو تركيعها عبر التاريخ، إنها أمبراطورية ظلت طوال القرون والأجيال مستقلة».[44]

وقد كان تأخر الاعتراف بالسلطان مولاي حفيظ باعثاً له على إرسال مذكرة من الحكومة المغربية إلى عميد السلك بتاريخ 7 شتنبر 1908، وجواباً على ذلك بعثت فرنسا وإسبانيا بتاريخ 14 شتنبر إلى سائر الدول الموقعة على عقد الجزيرة بمذكرةٍ تساند فيها الاعتراف بالسلطان المولى عبد الحفيظ شريطة التعهد بقبول سائر الاتفاقيات المعقودة سابقا بين المغرب وبين الدول المذكورة وخاصة «شروط الخزيرات..!!».

---

43) تعترف المصادر الفرنسية بأنّ الجنرال داماد (D'Amade) هاجم يوم 8 مارس 1908 (المذاكرة) بالمكان المسمّى مقارطو (M'Quarto) حيث طوّقت القبيلة بعد مطاردة دامت 12 ساعة وتكبدت خسائر فادحة !! وقد عاد يوم 29 مارس 8000 جندي إلى سوق خميس المذاكرة الواقع بقرية الكَارة حيث جرت معركة طاحنة بين هذا العدد من الجنود وبين المذاكرة استغرقت المعركة 14 ساعة سقط خلالها الضابط الفرنسي دو بوشرون (Du Bouchron) التي حملت الكَارة اسمه ..!!

Medecin Capitaine Jean Vial : Le Maroc Heroique, Hachette, 1973 p. 30

44) تلا هذا الاحتجاج أمام البرلمان الفرنسي جان جوريس، Hassan II Le Défi p. 15.

ولم يسع السلطان المولى عبد الحفيظ إلا أن يعطي وفاقه فعلاً على الشروط..!!

ولم تلبث البعثة الفرنسية برئاسة الوزير رونيو (Regnault) أن قدمت على فاس للاتصال بالسلطان المولى عبد الحفيظ حيث أقامت بالعاصمة ابتداءً من 9 محرم 1327 موافق 31 يناير 1909.

وفي أعقاب سفارة رونيو بعث العاهل بسفارةٍ إلى باريز برئاسة الحاج محمد المقري وعضوية عبد الله القاسي...

وقد كانت المهمة التي عهد بها إلى السفارة تتلخص في إنهاء المفاوضات حول الإجلاء عن الشاوية، وحول منطقة الحدود المغربية الفرنسية...

ونتيجةً لذلك فقد أمضى الحاج محمد المقري وصطيفان بيشون يوم 4 مارس 1910 «أوفاقاً فرنسيةً مغربية» تتعلق بالشاوية وبمنطقة الحدود....

وهنا لم تبق أية عرقلة على الصعيد الدولي أمام فرنسا باستثناء ألمانيا التي لم تلبث أن توصلت معها إلى اتفاقيةٍ يوم 4 نونبر 1911 حصلت فرنسا بمقتضاها على ضمانات بأنها أي ألمانيا لا تعارض فرنسا في بسط حمايتها على المغرب وذلك مقابلة أن تترك فرنسا لألمانيا حق الدخول إلى الكونكَو !!(45)

لقد أمسى السلطان مولاي عبد الحفيظ يواجه المجموعة الدولية التي كانت تعرف جيداً عن الموقع الاستراتيجي للمغرب... ولم يكن غريباً أن نسمع عن تفكير الوزير الفرنسي المعتمد رونيو في القيام بزيارة لفاس العاصمة...

وقد استقبل السفير من طرف السلطان بالقصر الملكي صباح يوم 26 مارس 1930 وهو يحمل معه من باريز مشروع وثيقة الحماية ليعرضها على العاهل المغربي...

وفي اليوم الموالي : 30 مارس تم اجتماع جديد... انتهى ـ على ما تقول المصادر الفرنسية ـ بوضع السلطان خاتمه على الاتفاقية في الساعة الثانية عشرة

---

45) Hassan II Le Défi p. 13

ظهراً... بعد أن تلقى رسالتين من الوزير الفرنسي، أحداهما تتعلق بما يضمن تسيير القصور الملكية والثانية تتعلق بحماية السلطان وأسرته... وهذا نصٌّ اتفاقية الحماية الذي ننقله عن المصادر الفرنسية نظراً لأننا لم نعثر لحد الآن على النص الذي وضع عليه السلطان المولى عبد الحفيظ خاتمه.. ويتعلق الأمر بالترجمة التي اعتمدها ابن زيدان والتي ننقلها عن مخطوطةٍ بالخزنة الحسنية تحمل رقم 3986/ج تقول المخطوطة :

إن دولة جلالة السلطان الشريفة ودولة الجمهورية الفرنسوية بناء على ما لهما من الاهتمام بتأسيس نظام مضبوط مبني على السكينة الداخلية والراحة العمومية ليسوغ به إدخال الإصلاحات وإثبات النشر الاقتصادي بالمغرب قد اتفقتا على ما يذكر :

الفصل الأول

إن جلالة السلطان ودولة الجمهورية الفرنسوية قد اتفقا على تأسيس نظام جديد بالمغرب مشتمل على الإصلاحات الإدارية والعدلية والتعلمية والاقتصادية والمالية والعسكرية التي ترى الدولة الفرنسوية إدخالها نافعاً بالإيالة المغربية وهذا النظام يكون يحترم حرمة جلالة السلطان وشرفه العادي وكذلك الحالة الدينية وتأسيساتها للشعائر الإسلامية وخصوصاً تأسيسات الأحباس، كما يكون هذا النظام محتوياً على تنظيم مخزن شريف مضبوط.

دولة الجمهورية تتفاوض مع الدولة الاصبنيولية في شأن المصالح الناشئة لهذه الدولة من حالتها الجغرافية ومستعمراتها الأرضية الكائنة بالساحل المغربي كما أن مدينة طنجة تبقى على حالتها الخصوصية المعترف لها بها والتي من مقتضاها يتأسس نظامها البلدي.

الفصل الثاني

جلالة السلطان يساعد من الآن على الاحتلالات العسكرية بالإيالة المغربية التي تراها الدولة واجبة لاستتباب السكينة والتأمين على المعاملات التجارية

وذلك بعد تقديم الإعلام للمخزن الشريف كما يساعد على أن الدولة الفرنسوية تقوم بعمل الحراسة برّاً وكذلك بحراً بالمياه المغربية.

الفصل الثالث

دولة الجمهورية تتعهد بإعطائها لجلالة السلطان الإعانة المستمرة ضد كل خطر يمس بذاته الشريفة أو بكرسي مملكته أو ينشأ عنه إضطراب بإيالته، وهذه الإعانة تعطى أيضاً لولي عهده أو لمن يخلفه.

الفصل الرابع

إن الوسائل التي يتوقف عليها نظام الحماية الجديد تبرز على يد جلالة السلطان وعلى يد الولاة الذين لهم التفويض من الجانب الشريف، وذلك للمعروض من الدولة الفرنسوية، وهذا العمل يكون جارياً في الضوابط الجديدة والتغييرات في الضوابط الموجودة.

الفصل الخامس

تعين الدولة الفرنسوية مندوباً مقيماً عاماً يكون نائباً عنها لدى جلالة السلطان ومستودعا لتفويضاتها بالمغرب كما يكون يسهر على القيام بإنجاز هذا الوفق.

يكون المندوب المقيم العام هو الواسطة الوحيد بين جلالة السلطان ونواب الأجانب كما يكون الواسطة أيضا في المصارفة التي لهؤلاء النواب مع الدولة المغربية.

المندوب المقيم العام يكون مكلفاً بسائر المسائل المتعلقة بالأجانب في الإيالة الشريفة ويكون له التفويض بالمصادقة والإبرام باسم الدولة الفرنسوية بجميع القوانين الصادرة من جلالة السلطان.

الفصل السادس

نواب فرنسا السياسيون والقنصليون هم النائبون عن المخزن والمكلفون بحماية رعاياه ومصالح المغرب بالأقطار الأجنبية...

جلالة السلطان يتعهد بعدم عقد أيّ وفق كان له معنى دولية من غير موافقة دولة الجمهورية الفرنسوية.

الفصل السابع

الدولة الشريفة ودولة فرنسا يتأملا (كذا) فيما بعد باتفاق معاً في تأسيس أصول شاملة لنصب نظام مالي يسوغ به ضمانة ما يتعهد به بيت المال الشريف وقبض محصولات الإيالة على وجه منظم وذلك مع احترام الحقوق المخولة لحملة سهام السلفات المغربية العمومية.

الفصل الثامن

يتعهد جلالة السلطان بأن لا يعقد في المستقبل إما رأساً وإما بواسطة أي سلف كان عمومياً أو خصوصياً أو يمنح بأي صفة كانت باختصاص من الاختصاصات من غير موافقة الدولة الفرنسوية.

الفصل التاسع

هذا الوفق يقدم لمصادقة دولة الجمهورية الفرنسوية ونصّ المصادقة يدفع لجلالة السلطان في أقرب وقت ممكن، وبمقتضى ما سطر أعلاه حرر الفريقان هذا الوفق وختما عليه بختمها بعاصمة فاس يوم الثلاثين مارس 1912 الموافق حادي عشر ربيع الثاني عام 1330. تم. تحته الطابع الشريف، وتحته أيضاً : (عبد الحفيظ كان الله له) تم خط عجمي... وتحته :

يشهد الواضعان خط يدهما أسفله بصحة التعريف أعلاه ومطابقته للنص الفرنسوي حرفاً حرفاً كما يشهدا (كذا) بإصلاح التاريخ، خط عجمي وتحته فلان ثم خط عجمي وتحته، عبد القادر بن غبريط لطف الله به....

قال مؤرخ الدولة زيدان :

وقد أورد هذا الوفق لوسيان فليكس الدكتور الحقوقي في مؤلفه (نظام المغرب الدولي) المستخرج من المعاهدات المطبوع بباريز سنة 1928.

☆ ☆ ☆

العلاقات بين المغرب
واسبانيا والبرتغال

- بين اسبانيا والمغرب بعد احتلال فرنسا للجزائر...
- موقف المغرب من احتلال اسبانيا للجزر الجعفرية !
- احتلال الجيش الإسباني لتطوان !!
- فتوى العلماء حول افتداء تطوان بالمال !
- مطالبة اسبانيا بمركز للصيد في الجنوب !!
- تبادل المساعي الدبلوماسية لتجنب الحروب !
- التنسيق بين اسبانيا وفرنسا للإجهاز على المغرب !
- بسط الحماية الإسبانية على شمال المغرب...
- العلاقات الودية بين المغرب والبرتغال...

العلاقات المغربية الإسبانية

لقد لاحظنا أن العلاقات تتدهور بين اسبانيا والمغرب في أعقاب النزول الفرنسي بالجزائر حيث كنّا في حاجةٍ ماسةٍ، ونحن في مواجهة هذا الطارئ الجديد، إلى تجميد ملف مشاكل حدودنا في المناطق التي تستعمرها اسبانيا على البحر المتوسط...

وهكذا، ونحن في شغلٍ شاغلٍ مع الجيش الفرنسي في الواجهة الشرقية، وبينما المغرب يئن من جراحه في أعقاب موقعة إيسلي (1844)، إذا بالأطماع الإسبانية تجد الفرصة في نفس عام 1844 لتتقدم بمطالبها السبعة وهي المطالب التي تحمل تاريخ 5 رجب 1260 = 23 يوليه 1844.

ولم تكمل ثلاثة شهور حتى فوتحت الحكومة المغربية من جديدٍ في شأن حدود سبتة أيضاً حيث نجد الوثيقة التي تحمل تاريخ 23 رمضان 1260 = 7 اكتوبر 1844.[1]

وقد جاءت بعد كلّ هذا «التسوية النهائية» التي وقعت بمدينة العرائش بتاريخ 28 ربيع الثاني عام 1261 = 6 مايه 1845 وهي تحمل توقيع قنصلى بريطانيا واسبانيا وطابع العامل بوسلهام...

فهل اكتفت اسبانيا بمكاسب اتفاقية سادس مايه 1845 ونحن نعاني من متاعب حدودنا مع فرنسا ؟

1) الإتحاف 3 ر 202.

لقد أقدمت يوم 6 يناير 1848 على عملٍ جديد، ذلك أنها، منافسةً لفرنسا وخوفاً من أن تسبقها، قامت بالتاريخ المذكور باحتلال الجزر الجعفرية الثلاثة[2] المعروفة بجزر كبدانة أو جزر ملوية شرقي مدينة مليلية.

وبالرغم من أن المغرب لم يكن يستغل هذه الصخرات على هذا العهد فإن السلطان مولاي عبد الرحمن قام برفع شكواه الصارخة إلى الملكة فيكتوريا (بريطانيا) ضد هذا الاحتلال، وقد كانت الشكوى إلى بريطانيا تشبه الشكوى اليوم إلى مجلس الأمن نظراً لمركزها واتصالها بسائر الأطراف...[3]

وفي أعقاب اشتباك على الحدود وجد الجيش الإسباني الفرصة للتوغل داخل التراب المغربي محرم 1276 = غشت 1859 في وقتٍ كان فيه السلطان مولاي عبد الرحمن يجود بأنفاسه الأخيرة !!

وهكذا كانت اتفاقية تطوان 24 محرم 1276 = 24 غشت 1859 التي وقعها عن الملكة إزابيل الثانية دون خوان بلانكوديل فال (Blancodil Fall) ووقعها عن الملك المحتضر نائبه محمد الخطيب.[4]

ولقد علمتنا التجربة في جيراننا سواء في شرق المغرب أو شماله أنهم يختارون لتنفيذ مخططاتهم مثل هذه الظروف، وهكذا فعلى إثر وفاة السلطان مولاي عبد الرحمن رحمه الله بعث القنصل المذكور إلى النائب السلطاني محمد الخطيب بمطالبه الجديدة في أعقاب المعارك التي شبت بين قبيلة أنجره وبين حامية سبتة بتاريخ 5 شتنبر 1859 = 6 صفر 1276) تلك «المطالب» التي تراها دولته كفيلة برد الاعتبار للشرف الإسباني.

---

2) الجعفرية نسبة إلى قبيلة بني جعفر أو الجعافرة كما يسميهم الناصري في الاستقصا 7 ر 21.

Comisión Histórica : Geografía de Marruecos, T. II Madrid 1936 P. 306

د. التازي : الثغور المغربية المحتلة، البحث العلمي، عدد 26، 1396 = 1976.

3) مجلة الوثائق المغربية 2 ص 136.

4) محمد داود : تاريخ تطوان 4، 301 ـ 303.

وتعطي اسبانيا أجلَ عشرة أيام لتنفيذ المطالب وإلا فإن اسبانيا ستصبح في حالة حرب ضد المملكة المغربية !!

وقد ظهر للعاهل أن يفوض في إنهاء الخلاف المغربي الإسباني للحاج محمد الزيدي وهكذا نجد ظهيراً بتاريخ 14 ربيع النبوي 1276 = 12 اكتوبر 1859 يفوض له في الكلام مع النائب الإسباني في قضية «المطالب المصحوبة بالإنذار المحدود الأجل». كما يأذن له ـ وهذا مهم ـ بأخذ رأي القنصل البريطاني في الموضوع وبتوسيط من يراه صالحاً لحل الخلاف المغربي الإسباني...

وهنا نرجع إلى الجواب التأريخي للعاهل بتاريخ 24 ربيع الأول 1276 = 12 اكتوبر 1859 على رسالة سابقة من الزيدي «...أما ما طلبه (نائب الصبنيول) من قتل أهل أنجرة فلا يحل في شرعنا قتل مسلم بدون موجب شرعي... وأما ما طلب من الجبل فلا نعطيهم بلاد المسلمين من غير قانون... وأما ما أشرت به من توجيه محلة فأننا نوجهها إن شاء الله كما نوجه الطبجية لذلك الثغر المحروس بعناية الله وقد كتبنا لسائر المراسي بأخذ الأهبة والاستعداد»...

لقد جُرّت المملكة المغربية المتهالكة إلى الحرب في الشمال مع دولة أوروبية أخرى ولما تستجمع أنفاسها من نكستها في وقعة إيسلي !!

وقد نقل الشيخ داود عن المصادر الإسبانية أن الجيش كان يتألف من 163 رئيس و1599 ضابط و33.228 من الجنود المحاربين و2947 من الخيل والبغال و74 مدفعا...[5]

---

5) خصص الأستاذ الشيخ محمد داود (المجلد الرابع والخامس) من موسوعته عن تاريخ تطوان لهذه الحرب وقد نشر بمساهمة المركز الجامعي للبحث العلمي (الرباط) وتحت إشراف معهد مولاي الحسن للأبحاث 1964 ـ 1384 تطوان، وقد تحدّث عن هذه المأساة أيضا صاحب الإتحاف في المجلد الثالث وخصصت لها مجلة (الوثائق) المغربية جانباً مهماً من عددها الثاني، وقد كانت موضوع دراسات عميقة من لدن عدد من المؤرخين وقد نشرت هيأة أركان الحرب الإسبانية لمدريد سنة 1861 مجلداً ضخماً تحت عنوان : أطلس تاريخي طوبُوغرافي عن حرب إفريقيا سنة 1859 ـ 1860 ـ داود تاريخ تطوان 4، 129.

وهكذا تم اقتحام مدينة تطوان صباح الإثنين 13 رجب 1276 = 6 يبراير 1860 ! وانتهت هذه النكسة كما انتهت سابقتها في (يسلى) إلى معاهدة للصلح والسلام، وهي من ستة عشر بندا.[6] نقل الشيخ داود ترجمة صحيحة لها بالعربية عن الأستاذ عبد الغفور الفقاي.[7]

☆ ☆ ☆

وبناءً على ما في المادة الرابعة من معاهدة الصلح المشار إليها تكونت لجنة بين مهندسين إسبان ومغاربة مهمتها تعيين الحدود الجديدة !

وقد تمت «المهمة» حيث انتهت إلى كتابة عقد يتضمن رسماً ببيان الحدود المفروضة[8] على المغرب...

☆ ☆ ☆

لقد مكنت حرب تطوان الإسبان من تحقيق رغباتهم، ولم تكن جلجلة العشرين مليوناً بكافية، ولا كذلك (توسعة) الحدود على كل من مليلية وسبتة فإن المادة الثانية عشرة من الصلح تنص على إبرام اتفاقيةٍ تجارية بين البلدين «المتصالحين»، ولهذا فقد أصرت إسبانيا على أن تتوجه سفارة إلى مدريد ليس فقط للتعبير عن (ضرب الصفح عن الماضي) أمام الرأي العالمي، ولكن لإبرام إتفاقية جديدة تتناول ما سمي «بالمسائل التجارية» !!

ولم ينسهم الاهتمام بإرسال السفارة المغربية إلى مدريد الحرص الزائد على تسلم المبالغ الثقيلة التي كانت فعلاً فوق طاقة الحكومة التي أخذت تفكر في استخلاص بعض المال من المواطنين... وبما أن عملية كهذه كانت تتطلب تزكية رجال الدين على ما جرى به العرف المغربي، فقد أوعز العاهل إلى الوزير بوعشرين أن يستمزج رأي علماء فاس....

وهكذا فإلى جانب فتاوي المشايخ أحمد المرنيسي والمهدي بن سودة وأخيه عمر ومحمد الدويري، والحمادي المكناسي والفيلالي التي كانت لا ترى مانعاً في

---

6) تاريخ تطوان 4، ص 286، مجلة «الوثائق» المغربية 1977 عدد 4، ص 151.

7) تاريخ تطوان 4 ص 286 مجلة «الوثائق» المغربية 1977 عدد 4 ص 51.

8) تاريخ تطوان 4، 298/297/296.

فرض الأداء على الرعية... إلى جانب ذلك نجد فتوى مولاي أحمد العراقي التي كانت ضد أداء تلك المبالغ للإسبان حتى لا يتمكن المعتدي من جني ثمار عدوانه !!

كانت الفتوى، في نظري، من أروع الرسائل التي عرفها ذلك العصر، وقد علّل مولاي أحمد العراقي عدم جواز عقد الصلح على هذا المبلغ من المال ووجوب نقضه بقوله : «لما فيه من توهين الإسلام وإذهاب قوته بنزع ما بأيدي الرعية من المال، ونفرتهم عن الإمام بثقل المغرم، فإن العدو إذا علم إفلاسنا من المال انتهز فرصته فينا وبادر إلى أخذ جميع القطر... وقضاياه بالأندلس ـ يقول العراقي ـ مشهورة ! وبعد أن يذكّر العراقي، بما حصل للحاج عبد القدر في تلمسان يسأل أولئك الذين أفتوا لصالح الاكتتاب : أي مصلحة في إنقاذ ثغر بإهلاك قطر فلا يبقى ثغر ولا قطر ؟ وهو يعلق على «وفاء» الإسبان بالالتزامات التي أخذوها على عاتقهم بمثل هذه الآيات الشريفة : ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله ؟﴾ كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبون فيكم إلا ولا ذمة...[9]

☆ ☆ ☆

ولقد كان على العاهل ـ زاد الله في عونه ! ـ أن يجتاز مؤامرةً جديدةً من نوع خطير، فإن (معاهدة الصلح) تجاوزت منطقة الشمال إلى الجنوب لتنص المادة الثامنة منها على الوعد بالتنازل عن بقعةٍ كافيةٍ لإنشاء مركزٍ للصيد على المحيط الأطلسي، وعلى تكوين لجنة مزدوجة لتحديد المكان الذي تذكر اسبانيا أنها كانت تستحوذ عليه منذ القرن الخامس عشر أثناء انتقال الحكم من الوطاسيين إلى السعديين... لم تنتظر اسبانيا إنشاء اللجنة، ولم تكتف بالمراسلات ولكنها أخذت تجري اتصالاتٍ مشبوهة في هذه الظروف المظلمة مع أهالي (تكنة)....

وقد تقرر إرسال سفارة الأمير مولاي العباس إلى مدريد في أواخر ربيع الأول 1278 = أواخر اكتوبر 1861 حيث تم إبرام عددٍ من الاتفاقيات منها

---

9) داود : تاريخ تطوان 5، 102 ـ 387/386.

اتفاقية الجلاء التي تضمنت طريقة الأداء، ولكنها أيضاً اشتملت على عدد من النقاط التي أملتها الظروف وقد وقعت بمدريد بتاريخ 30 اكتوبر 1861 = 25 ربيع الثاني 1278.

ويوجد نص رسمي باللغة العربية لهذا الاتفاق الذي يحتوي على مواد ثمانية.(10)

وقد تم أيضاً بمدريد ـ وتطوان ما تزال محتلّة ـ عقد اتفاق طويل مسهب يتألف من 64 فصلاً، نعت بالتجاري ولو أنه تناول عدداً من النقاط الدقيقة التي رأى المفاوض الإسباني إملاءها على المندوب المغربي الذي كان يهمه الإفراج عن المدينة قبل كل شيء، وقد حرر النص أصلاً باللغة الإسبانية وترجم إلى عربية ركيكة، وكان بتاريخ 20 نونبر 1861 = 17 جمادى الأُولى 1278.(11)

وقد تم الجلاء فعلاً عن تطوان حيث نجد رسالة من العاهل سيدي محمد بتاريخ 14 شوال 1278 = 14 أبريل 1862 يعين فيها القائد الحاج عبد القادر أشعاش والياً جديداً الأمر الذي تبعته مغادرة الجيش يوم السبت 11 ذي القعدة = 10 مايه...

وحسب رسالةٍ ملكيةٍ موجهة للنائب السلطاني الجديد بطنجة السيد محمد بركاش بتاريخ 28 ربيع الأول 1279 = 23 شتنبر 1862 نجد سفارةً تتوجه من العاهل سيدي محمد إلى ملك اسبانيا تتألف من السيد ادريس بن ادريس العمراوي رئيساً وقد كشفت رسالة ملكية لاحقة بتاريخ 19 رمضان 1279 = 10 مارس 1863 عن أن هدف السفارة كان «قضية مليلية...»(12)

وجواباً عن هذه السفارة بعثت الملكة سفارة أخرى حسبما تدل عليه رسالة بعث بها سيدي محمد إلى نائبه بطنجة بتاريخ 6 ذي القعدة 1279 = 25 أبريل

---

10) داود : تاريخ تطوان 5، 146.

11) المصدر السابق، 166/165 ـ الإتحاف 3، 489.

12) نشكر بهذه المناسبة الزميل السيد عز الدّين كَسوس سفير المغرب في اسبانيا...

1863، وكانت البعثة الإسبانية تتألف علاوة على السفير من ستة أعضاء من أعيان اسبانيا واثني عشر مساعداً بقصد تجديد الصلات...(13)

☆ ☆ ☆

وعندما اعتلى السلطان المولى الحسن الأول العرش (18 رجب 1290 = 11 شتنبر 1873) استيقظت اسبانيا للمطالبة بمضمون ما ورد في (البند الثامن)، وقد كان مما زاد في إلحاحها تنافس الدول الأخرى على كسب موقع قدم في بعض الأقاليم النائية من الجنوبي المغربي..!

ولابدّ أن لسفارة أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد لإسبانيا في ربيع الأول 1294 = مارس 1877 علاقةً بموضوع المطمع الإسباني على نحو السفارة الإسبانية التي وردت على العاهل المغربي في نفس المدة برئاسة السنيور ميري (Merry)...

وبالرغم مما قيل من أن سفارة عامل رباط الفتح عبد السلام السويسي أواخر نفس السنة شوال 1294 = نونبر 1877، كانت جواباً لاسبانيا على مجيء باشدور للمغرب فإنها أي السفارة كانت تهدف لشراء (الفصل الثامن) من الاتفاقية المغربية الإسبانية...



13) د. التازي : الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي (البحث العلمي) يوليو - دجنبر 1976 العدد 26.

ومعلوم أن السفارة المذكورة كانت تضم أيضاً الحاج عبد الكريم بريشة التطواني والحاج محمد بن عبد الرزاق ابن شقرون الفاسي.

وقد وردت بعثة اسبانية على الديار المغربية سنة 1879 = 1296 ـ 1297 كانت بقيادة رينالدي (Rinaldy) لم تكن بعيدة عن موضوع الفصل الثامن..

وقد اقترنت الرحلة الملكية نحو الجنوب 1299 = 1882 بمسعى دبلوماسي جديد هو إرسال السفير الحاج عبد الكريم بريشة مرة أخرى لاسبانيا يحمل رسالة شفوية، وقد عاد السفير مزوداً بجواب شفوي بعد أن قابل ملك اسبانيا واجتمع بوزير الخارجية الإسبانية...[14]

وجوابا على وفادة من اسبانيا برئاسة دْيُوصْطَادو (DIOSTADO) في صيف 1882 رشح العاهل المغربي ـ عام 1883 سفارةً لمتابعة الحديث حول الموضوع كانت مؤلفةً من القائد بوشتى بن البغدادي، ومن الكاتب مولاي أحمد بن العربي البلغيثي والحاج مُحمد بركاش بن النائب السلطاني بطنجة...[15]

ثم صدرت بتاريخ 18 ذي الحجة 1300 = 20 اكتوبر 1883 التعليمات إلى النائب بطنجة تذكر أنه نظراً لاتصال الدولتين ومحبتهما من قديم فإن لاسبانيا أن تبني محلاً بإيفني على وجه الخير والإحسان لا على وجه الشَّرط «لأَن محالّنا محالُّها ومحالُّها محالنا...».

وفي الوقت الذي كانت الحكومة المغربية تنتظر من الحكومة الإسبانية تقدير النية الحسنة التي عبرت عنها أقدمت الجيوش الإسبانية على مبادرةٍ طائشة عندما قامت كتيبة عسكرية باحتلال رأس بوجدور ومتابعة سيرها فارضةً حمايتها على رؤساء القبائل... ولم تلبث أن بعثت اسبانيا بتاريخ 26 دجنبر 1884 = 27 ربيع الأَول 1301 بمنشور إلى الدول الأَجنبية تعلن فيه أنها بسطت حمايتها على الشاطئ الغربي الإفريقي فيما بين خطَّيْ عرض 20 و72 أي فيما

14) يلاحظ أنه في هذه الأَثناء بعث السفير الإسباني إلى النائب السلطاني رسالة احتجاج حول عرقلة التجارة بين سبتة والمغرب مطالباً بعزل قائد أنجرة حالا ! وكانت الرسالة تحمل تاريخ 22 نونبر 1875 = 13 شوال 1292.

15) الاستقصا 9، ص 164 ـ الإتحاف 2، 330.

بين رأس بـوجـدور إلى الرأس الأبيض متخـذةً من تمكّن شركـة مَكينـزي (Mackenzie)) البريطانية ذريعةً لإنشاء مركزها جنوباً.!!

وفي هذه الأثناء ـ وحفاظاً على رباط الود ـ تقرر إرسال سفارةٍ مغربية أخرى أبحرت يوم السبت 13 صفر 1303 = 41 نونبر 1885 للاجتماع بالملك الفونسو الثاني عشر الذي لم يقدّر له أن يجتمع بالبعثة الدبلوماسية المغربية لأن المنية اخترمته في نفس اليوم الذي وصلت فيه إلى مدريد... وكانت السفارة برئاسة عبد الصادق بن أحمد الريفي الذي كان مصحوباً بأمين سر السفارة أحمد الكردودي الذي دوّن هذه الرحلة...[16]

وقد حدد يوم الأحد 6 ربيع الأول 1303 = 13 دجنبر 1885 (Dona Maria Cristina) حيث ألقى السفير أمامها لاستقبال السلطانة دونا مارية كريستنا خطاباً مناسباً للظروف التي يعيش عليه البلاط، تُرجم بعد إلى العربية ونشر في الصحف...

وقد أجابت الملكة عن خطاب السفير المغربي وأطرت فيها على شخصية الملك الحسن الأول «وإخلاص المحبة في جانبه الشريف وقيامهم أتم قيام بما يوافق عظيم قدْره المنيف...»

وقد عادت السفارة إلى الوطن حيث وصلت طنجة يوم الأربعاء 23 ربيع الأول 1303 = 30 دجنبر 1885 ولم يلبثوا أن التحقوا بمجلس العاهل ليحيطوه علماً «بقضاء الأغراض والمآرب ونجاح ما حملوه من المطالب !».

وقد تبعت سفارة عبد الصادق وفادة أخرى للسيد عبد الكريم بريشة حيث وجدتُ له أوائل مارس 1886 أصداء في أرشيف إسطانبول ! ويتعلق الأمر بتقريرٍ رفعه سفير تركيا بمدريد إلى الباب العالي يخبره عن اتصالات السفير بريشة بالبلاط الإسباني..!

16) حملت الرحلة عنوان «التحفة السنية للحضرة الحسنية بالمملكة الاصبنيولية لأبي العباس أحمد بن محمد الكردودي (1383 = 1963) المطبعة الملكية ـ التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 273.

ومن المهم أن نشير هنا للخطاب الذي بعث به السلطان المولى الحسن بتاريخ 4 رمضان 1303 = 6 يونيه 1886 إلى النائب الطريس حول الحدود الجنوبية للمغرب بعد عودة السفير عبد الصادق وهذه صورته :

والجدير بالذّكر هنا أن القصد بمصر إلى الصحراء الممتدة جنوب الجزائر وتونس وطرابلس. كما أن القصد بالسودان إلى مالي والنيجر والسنيغال.[17]

وتوالت زياراتُ المبعوثين الإسبان إلى البلاط المغربي، فشاهدنا هنا مرة أخرى وبالضبط في غشت عام 1887 = أواخر سنة 1304 وفادةً برئاسة ديوسضادو (Diosdado)...

وقد تبعت تلك الوفادة الإسبانية بعثة أُخرى بقيادة فيكيرا[18] (FIGUERA) زارت مدينة فاس بتاريخ جمادى الأُولى 1307 = دجنبر 1889 وتمت هذه الزيارة بُعَيْد قيام بعثةٍ مغربية برئاسة السفير القائد الحاج المعطي المزامري وعضوية الكاتب أحمد الكردودي والأَمين محمد ابن المدني بنيس زارت مدريد يوم 10 اكتوبر 1889 في طريق عودتها من مهمتها بباريز...

وإن مما يصور لنا سهر المغرب الزائد إزاء مشاكل الحدود التي تقضٌ مضاجعه أن نجد بعثة مغربية تروح إلى اسبانيا في 20 ذي الحجة 1308 = 27 يوليه 1891، وكانت بقيادة القائد عبد الحميد الرحماني يصحبه الكاتب العباس الفاسي والمستشار الحاج العربي بريشة... وقد عرفنا الكثير عن تفاصيل هذه السفارة وما راج فيها من اقتراحات، ومقترحات مضادة...[19]

وقد كانت هذه الأَحداث وراء إرسال مبعوث اسباني إلى المغرب في رمضان 1311 = مارس 1894 كان هو الماريشال مارتينيز دي كامبوس (MARTINEZ de CAMPOS).[20]

17) تراجع الخريطة رقم 4 بعنوان (المغرب كما يراه المغاربة) في القرن التاسع عشر.
ABDELLAH Laroui : Les origines Sociales et Culturelles du Nationalisme Marocain 1830, 1912 Froncois Maspero, Paris – 1977. p. 63

18) الاستقصا 9، 162.

19) الإتحاف 2، ص 337.

20) وثائق الطريس بتطوان مح 39/35.



سفارة بريشة إلى اسبانيا 29 رجب 1312 = 26 يناير 1895

وقد أدت هذه الزيارة التي اجتمع فيها العاهل بالماريشال إلى توقيع اتفاقية من سبعة فصول في مدينة مراكش بتاريخ 5 مارس 1894 حيث وقّعها عن اسبانيا ذي كامبوس المذكور وعن المغرب المفضل بن محمد غرنيط وزير الخارجية آنذاك...

ولكن المشاكل مع المحتل لم تنته، فقد تجددت الاحتكاكات مما دعا إلى إرسال السفير الحاج عبد الكريم بريشة إلى مدريد بتاريخ 29 رجب 1312 = 26 يناير 1895 من أجل إدخال تعديلات على اتفاقية 1894...

وهذه هي المرةُ التي تعرض السفير المغرب بريشة لاعتداء عليه من طرف أحد الجنرالات المتقاعدين وصف بأنه «مجنون» !!

ومما يذكر أن محل إقامة السفير أمسى مزارةً للوزراء والكبراء والخواص الذي كانوا يواسون ويعتذرون مؤكدين إحالة الجانب على المارستان !

وقد أجملت الملكة دونا استقبال السفير... فنزلت عن كرسيها وصافحته قائلة : «ياسعادة السفير ! أتأسف من صميم فؤادي على التعدي الذي وقع عليك، وأنا أشعر بألم ذلك العدوان في أعماق قلبي !!

وقد ذكر المؤرخون الإسبان أن سفارة بريشة نجحت نجاحاً لم يسبق له مثيل...

والجدير بالذكر أن سفير المغرب حمل إلى المغرب على متن بارجة خاصة طلباً لتكرمته وإرضاءً خاطره وبعد أن أنزلته بطنجة وأخذت في العودة تعرضت لعاصفة بحرية أغرقتها ! الأمر الذي رأينا معه العاهل المغربي مولاي عبد العزيز يبعث إلى العاهل الإسباني الفونسو الثالث عشر برسالة تعزية بتاريخ 19 شوال 1312 = 15 أبريل 1895 حول «هلاك هذه البارجة، ذات الإتقان والرونق والبهجة...»[21]



---

21) الإتحاف 2، 351. PIERE GUILLEN : L'ALLEMAGNE ET LE MAROC P. 279/288

ولم تلبث الأحوال أن تطورت في المملكة المغربية فقد توالى العدوان عليها من كل جانب، بل إن العدوان اتخذ طابعاً جديداً، ذلك أنه «تنسّق» بعد أن كان مبدّداً، وهكذا تمت إتفاقية 27 يونيه 1900 في باريز بين ديلكاسي والسفير الإسباني كاستيو حددت بمقتضاها الممتلكات الفرنسية والإسبانية في افريقيا الغربية على ما أسلفناه في العلاقات المغربية الفرنسية.

☆ ☆ ☆

وفي هذه الأثناء بعث المغرب سفارة هامة إلى مدريد برسم حضور حفلات تتويج الملك الفونسو الثالث عشر.

ويذكر الكاتب أراغون أن السفارة المغربية أقلعت من ميناء طنجة صباح الأحد 2 صفر 1320 = 11 مايه 1902 في احتفالٍ بهيج إلى قادس حيث أخذت القطار الذي أوصلها إلى مدريد في اليوم الموالي وقد قاموا بمقابلة العاهل بمحضر والدته...[22]

وتحتفظ مكتبة تطوان الوطنية بنص جواب دون ألفونسو الثالث عشر إلى سلطان مراكش وفاس وسوس ومكناس يشكر العاهل على سفارته وهي بتاريخ 16 يونيه 1902.

وقد وجدنا اسبانيا تقوم بعقد اتفاقية سرية في باريز مع فرنسا بتاريخ 3 اكتوبر 1904 تتضمن ستة عشر فصلاً حدد فصلها الرابع - وفي غيبة عن المغرب - منطقة صانطا كروزدي ماربيكينيا المسلّمة لاسبانيا على حد قول الاتفاقية بمقتضى عقد 26 ابريل 1860...[23]

ويبدو أن آخر سفارة مغربية راحت لاسبانيا هي التي تقرر إرسالها من لدن السلطان مولاي حفيظ بتاريخ 9 جمادى الثانية 1396 = 3 يوليه 1909، ويتعلق الأمر بالبعثة التي ترأسها الحاج محمد المقري الذي كان مصحوباً بابنه الطبيب والمندوب المخزني لبنك المغرب، وادريس البوكيلي كاتب الدولة في الشؤون الخارجية ثم علي زكي باي المكلف بمهمة...

---

22) مجلة الأنوار (التطوانية) عدد مارس أبريل 1951 - عدد مايه يونيه 1952 - يناير - يبراير 1954.

23) روم لاندو : تاريخ المغرب في القرن العشرين ص 294 - 305.



سفارة المغرب إلى مدريد : المقري والبوكيلي.

دولة المغرب والبرتغال

وقد استمرت العلاقات مع البرتغال جيدة أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن... وهكذا نجد رسالة من القنصل البرتغالي جورجي كولاصو بتاريخ 30 ذي القعدة 1275 الموافق لفاتح يوليوز 1859 رفعها إلى النائب محمد الخطيب حول مركبٍ برتغالي تعرض لبعض المصاعب ويطلب مساعدة الحكومة المغربية.[1]

وقد عرفنا من أسماء القناصل البرتغاليين (فروستا ؟) وقرأنا عن القنصل البرتغالي ميشيل دوكاسترو (Michel de Castro) الذي أسلم ودخل في خدمة السلطان[2] مولاي الحسن وهو الذي صحب طلبة المغرب إلى مونبوليي 1885 ـ 1888.

---

1) الإتحاف 3 ص 542، الدليرو ـ الرويفي : فهرس الوثائق التاريخية تطوان 1970 ص 138، ابن زيدان : العز والصولة 1961 ص ج 1 ص 310 ـ 363 لوائح المحميين البرتغال.

2) المنوني : مظاهر يقظة المغرب الحديث ص 131.

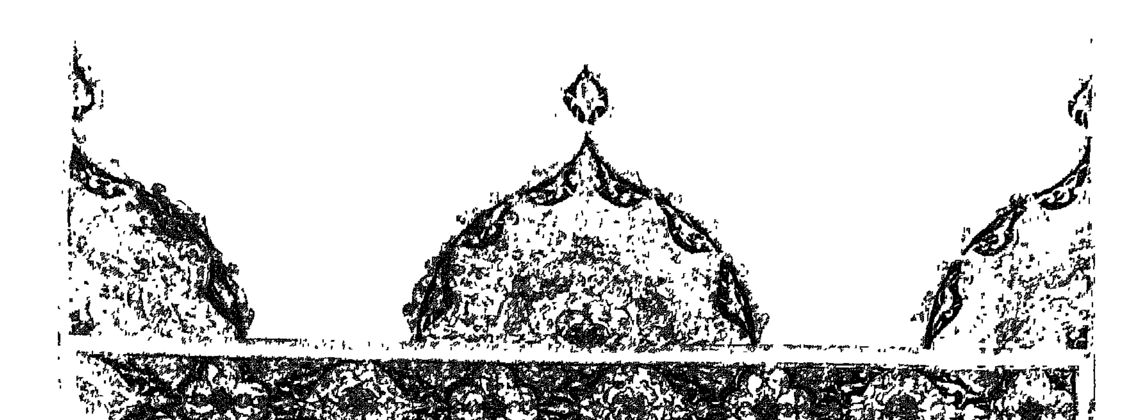
ويوجد عدد من الرسائل والتقارير المتعلقة بالبرتغال في مكتبة تطوان الوطنية علاوة على ما تحتضنه الوثائق الملكية، ومن هذه الرسالة خطاب من عبد السلام التازي إلى الطريس تحت رقم مح 59، 31/30 بتاريخ أول رجب 26 مارس 1887 حول مادار بين قنصل البرتغال في شأن ابن عاشر العوفير مما هو غير جارٍ على قانون..!

وتحتفظ الوثائق المغربية بنص رسالة كان بعث بها عميد السلك الدبلوماسي في طنجة الذي كان بالصدفة هو القنصل البرتغالي كولاصو Colaço يخبر فيها أعضاء السلك بموعد مغادرة جلالة الملك الحسن الأول لطنجة التي كان دخلها يوم الأحد 26 محرم 1307 = 22 شتنبر 1889، بعد أن أقام بها حوالي عشرين يوماً، وذلك بقصد إشعار السلك القنصلي لتوديع العاهل بظاهر المدينة...

ولما مات الملك المذكور وجّه العاهل المغربي سفارة يرأسها القائد محمد بن أحمد المؤذن السرغيني ويعززه الأمين محمد بن عبد الرحمان بريشة والكاتب العربي المنيعي لتهنئة ملكها الجديد كارلوس الأول بتبوإ العرش وكان خطاب السلطان يحمل تاريخ 22 ربيع الثاني 1307 = 16 دجنبر 1889.

وقد وقفت في البرتغال وبالذات في مدينة VILLAVICOSA بقصرٍ بناه أحد قادة البرتغال على تصميم بيتٍ دكالي وأصبح اليوم متحفاً عمومياً يحتضن عدداً من الآثار التاريخية من كل جهة، وقفت على رسائل تعزية مرفوعة للعاهل البرتغالي كانت مثلاً في الإبداع والزخرف وهي تتعلق أيضاً باعتماد السفير المغربي القائد السرغيني ومن معه...

وقد كان من بين الوثائق المتعلقة بالبرتغال وثيقة تحمل تاريخ 20 ربيع الأول 1316 = 8 غشت 1898 حول التعويضات المطلوبة من المغرب في أعقاب دعاوي مرفوعة ضد مواطنين مغاربة.



بسم الله الرحمن الرحيم

صورة رسالة الملك الحسن الأول للعاهل البرتغالي كارلوس الأول.

علاقات المغرب بأنجلترا وألمانيا

- □ وساطات بريطانيا لتجنّب الصدام مع فرنسا واسبانيا...
- □ الاتفاقية المغربية الإنجليزية 1273 = 1856.
- □ السفارات المتبادلة بين البلدين.
- □ جوهن هاي في حضرة السلطان مولاي الحسن.
- □ تصفية شركة ماكينزي في الجنوب !
- □ الاتفاق البريطاني الفرنسي حول الحماية !
- □ الاتفاقية التجارية بين المغرب وألمانيا 1307 = 1890.
- □ زيارة الأمبراطور كَيوم الثاني للمغرب.
- □ الاتفاق الألماني الفرنسي وبسط الحماية !

العلاقات المغربية البريطانية

كان لاحتلال فرنسا إيالة الجزائر أثرٌ على دعم العلاقات المغربية البريطانية.

وهكذا فكّر المغرب في أن يتّخذ من بريطانيا ناصحاً ومستشاراً له خاصةً وقد وضعت قضية الحدود بين المغرب وفرنسا ! وحتّى بين المغرب وإسبانيا...

وقد ظل القنصل البريطاني السير إدوارد ويليام أوريول دريمون هاي (E.W.Au. Drumman-Hay)[1] ينصح بتجنّب الصدام مع فرنسا - ما أمكن - لما في الصّدام من ضررٍ محقق بالمغرب....

وقد جدّ حادث في باب العلاقات المغربية الأنجليزية أدّى إلى ذيول كلّفت الجانبين سلسلةً من المتاعب...

فقد ورد على دريمون هاي الذي يتمتع - كما عرفنا - لدى البلاط المغربي بانطباعٍ طيب، ورد عليه بتاريخ 13 نونبر 1835 السير جوهن دافيدصن (J. Davidson) مع رسالةٍ تقديم الملك ويليام الرابع إلى السلطان المولى عبد الرحمن...

إن دافيدصن يريد أن يقوم بجولةٍ «سياحية» عبر الصحراء المغربية إلى تنبكتو، وكانت الرسالة تطلب توصية العاهل به لدى عمال جلالة الملك في تلك الأقاليم الصحراوية...

1) عوض دريمون هاي سلفه دوكلاص بتاريخ 25 غشت 1829 وظلّ في القنصلية إلى أن توفي بتاريخ 28 أبريل 1845 فعوضه ولده جوهن هاي على ما سنرى...

ويأذن العاهل، عن حسن نيةٍ بزيارة «السائح» الذي وصل إلى وادي نون فكانت له «محادثة خاصة» مع الشيخ بيروك، ومن هنا وردت الفكرة بإنشاء مركزٍ إنجليزي هناك يمارس التجارة المباشرة مع بريطانيا وجبل طارق !!

ولقد وقفت في الوثائق البريطانية على الرسالة الهامة التي بعثها من مدينة الصويرة بتاريخ 28 - 29 نونبر 1836 نائب القنصل البريطاني بالمدينة ويلشاير (WILSHIRE) إلى القنصل العام دريمون هاي يعبر له عن مخاوفه من هذا الموضوع : «إن هذه المحاولة لا تخدم مصالح حكومة صاحب الجلالة وان الشخصية التي يتقمصها الشيخ بيروك بعيدة كل البعد عن النفوذ الذي يجب أن يتحلّى بها حاكم...»[2]

وعندما توفي دريمون هاي (D. Hay) عوض بابنه جوهن الذي دشن نشاطه السياسي بالعناية بأمر التجارة الإنجليزية المغربية...

وفي هذه الأثناء غادر (جوهن هي) طنجة يوم 3 مارس 1846 إلى مراكش حيث استقبله السلطان يوم 8 أبريل 11 ربيع الثاني 1262 في رواق من أروقة القصر بمحضر الوزيرين محمد بن ادريس العمراوي والعربي بن المختار،[3] وقد نقل (جوهن هي) إلى علم العاهل مايتناهى إلى علم القنصليات الأجنبية من أخبار...

---

2) تقع هذه الوثيقة في ثمان ورقات من الحجم الكبير، وهي تحمل رقم 52/41 XC/A 59199-57896 = FO

ROJERS : ANGLO-MOROCCAN RELATIONS P. 145

3) ينبغي أن نشير هنا للقصيدة الميمية التي نظمها الوزير محمد بن ادريس في مدح السلطان مولاي عبد الرحمن، وقد ضمنها استقبال العاهل للسفير البريطاني المذكور، ومطالبة الدانمارك والسويد بإعفائهم من الإتاوات :

هـــذا رســول الإنجليــز ببــابكم ... متمســكــاً منكم بحسن ذمــام
يرجــو النجـــاة بصفحكم ويروم أن ... تحظى عقـــود عهـــوده بـــدوام
وافى لحضرة ملككم متـــذلـــلاً ... ممـــا رأى من عـــزة الإســلام

التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 262 (EUGEINE : DOCUMENT XXI P. 147)

ومن المواضيع الغير العادية التي عرضت لجوهن هي : قضية تهريب العَلَق الطبي (Sangsue) من المغرب إلى أنجلترا، وهكذا نجد رسالة له بتاريخ 9 دجنبر 1849 إلى الخارجية البريطانية يخبر فيها بأنه تلقى شكاية من النائب السلطاني بوسلهام بن علي، ومن التاجر المغربي المكي القباج الذي كان له حقّ احتكار التجارة في العلق الطبي :[4] لقد ضبط رجال الديوانية في طنجة أحد الرعايا البريطانيين وهو يخفي حقيبة مليئةً بالعلق... إن المال الذي بيع به حق ذلك الاحتكار هذا العام وصل إلى مائة ألف ريال وقد تمّ تصدير نحو 20 مليوناً من هذا العلق !!

وقد تلقى المغرب دعوةً للمشاركة في معرض بريطانيا لعام 1850 حيث خصصت للمغرب مساحة مناسبة لعرض منتوجاته، وقد عهد (جوهن هاي) لأخيه فرانك (FRANK) الذي كان مساعده بطنجة بتسليم دعوة الملكة فيكتوريا وهداياها لكونه يحسن اللغة العربية حيث استقبل بفاس يوم 4 دجنبر 1850...

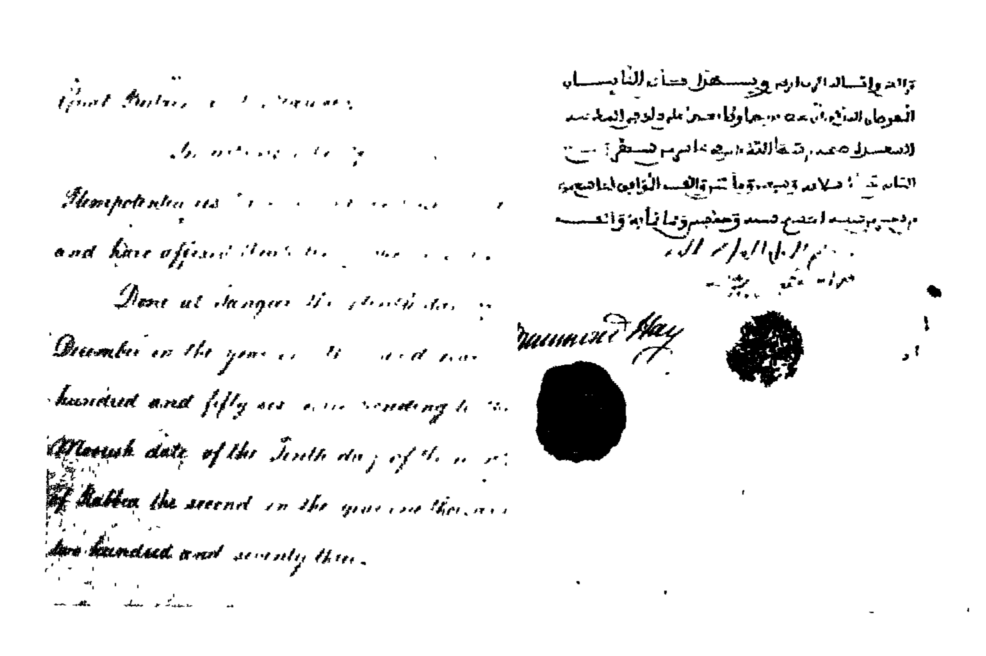
وقد رفع القنصل الإنجليزي (جوهن هاي) إلى العاهل في مراكش يوم 24 مارس 1855 ملتمساً بإبرام اتفاقية جديدة مع المغرب «تتناسب والظروف التي أصبح عليها المغرب...»

وهكذا وبعد محادثات طويلة أبرم اتفاق مغربي إنجليزي وقعه عن المملكة المغربية بتاريخ 10 ربيع الثاني 1273 = 9 دجنبر 1856 محمد الخطيب كما وقعه عن أنجلترا جوهن هاي وكان في الواقع اتفاقيتين أولاهما سياسة تتعلق بالرعايا من كلا الجانبين من 38 فصلاً وثانيتهما تجارية وهي من 25 فصلاً على ما نذكره في «الملاحق» إن شاء الله...[5]

---

4) من المعروف أن المخزن كان يبيع احتكار بعض المواد لكبار التجار على نحو ما رأينا من احتكار بنّيس لبيع الغاسول واحتكار التازي لبيع القهوة اليمنية (مُخّا)، التاريخ الدبلوماسي للمغرب 2، 18.

5) يتحدث الشرط الثاني من الاتفاقية التجارية عن «العَلَق الطبي» والعشوب والأدوية التي تصدر للخارج، يراجع كناش الخزانة الحسنية رقم د/1894 ص 18 ـ الاستقصا 9، ص 21 ـ الإتحاف 5، ص 187 ـ التاريخ الدبلوماسي للمغرب 2، ص 18.



Done at Tangier [illegible]
December in the year [illegible]
hundred and fifty six [illegible]
Moorish date of the Tenth day of [illegible]
of Rabbea the second in the year one thousand
two hundred and seventy three.

Drummond Hay

الصفحة الأخيرة من الاتفاقية المغربية الإنجليزية

وبعيد هذا وبالضبط بتاريخ 14 يونيه 1860 = 24 ذي القعدة 1276 بعث العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى الملكة العيطموس فيكتوريا... بالأمين الحاج عبد الرحمن العاجي مصحوباً بالأمين محمد الشامي وبالكاتب الطاهر الفاسي، وقد راحو على متن السفينة التي تحمل اسم ميلبُّومين (Melpomene) على ما تحققه المصادر البريطانية...

وأثناء المقام في لندن قدم الشامي إلى اللورد جوهن روسيل (J. Russell) وثيقةً طويلة تتحدث بتفصيل عن وجهة نظر الحكومة المغربية حول الحوادث التي أدت إلى الحرب مع اسبانيا... وتتخلص المذكرة للطلب إلى بريطانيا للحصول على قرضٍ لتعويض اسبانيا حتى تتغلب على مصاعبها.[6]

6) لم يكن الأمر يتعلق بقضية الحدود المغربية الجزائرية كما كان يظن، انظر كتاب الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية سنة 1276 = 1860 لمؤلفه أبي الجمال محمد الطاهر بن عبد الرحمن الفاسي، تحقيق وتعليق الأستاذ محمد الفاسي، مطبوعات جامعة محمد الخامس، سلسلة الرحلات 3 سفارية 2 ـ مطبعة جامعة محمد الخامس، فاس 1387 = 1967. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 273.

وفي الجواب المؤرخ بيوم 11 يوليه 1860 ذكر اللورد روسيل للسفير المغربي أن حكومة صاحبة الجلالة فيكتوريا يسعدها جداً أن يكون العاهل المغربي على حال من السعادة والرفاه، وانها لمتأثرة كثيراً أن تراه قلقاً من جراء المتاعب الأخيرة وأن القائم بأعمال السفارة الإنجليزية في مدريد صدرت له التعليمات لمحاولة إقناع الحكومة الإسبانية بالجلاء عن تطوان في مقابلة عشرة ملايين دولار على أن تمدّد فترة أداء العشرة ملايين الباقية إلى ما بعد الإفراج عن المدينة...

وقد زود جوهن هاي بتعليماتٍ ليقوم بزيارة العاهل من أجل حضه على قبول دفع التعويضات المطلوبة...

وقد وصل هاي إلى مكناس يوم 10 محرم 1278 يوليه 1861 حيث استقبل من طرف السلطان محمد الرابع الذي أعلن عن استعداده لدفع التعويضات المطلوبة من لدن الإسبان...

وفي هذا الوقت كان المغرب قد حصل على اقتراض مليونين اثنين من بعض المؤسسات الحرة بلندن لمدة عشرين سنة.

وقد وقع كل من جوهن هاي والحاج الرحمن العاجي بتاريخ 18 يناير 1862 على اتفاقية القرض وكان هاي قد توصل قبيل هذا بظهير تقدير يحمل تاريخ 29 ربيع الثاني 1278 = 3 نونبر 1861 كما توصل برسائل تهنئة على دبلوماسيته من طرف الحكومة البريطانية وبوسام من الملكة فيكتوريا يحمل اسم (**Commandar of Order of Bath**).

وقد زار هاي يوم 7 مايه 1862 مدينة تطوان بعد الإجلاء عنها وكتب رسالة إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن يهنئه باسترجاع المدينة...

وعن هذه الرسالة أجابه السلطان مولاي عبد الرحمن بتاريخ 14 ذي القعدة 1278 = 11 مايه 1862 بخطابٍ رقيقٍ يعبر عما يكنه العاهل للقنصل البريطاني...

وفي هذه الأثناء تلقى السير جوهن هاي التعليمات التي تطلب إليه مقابلة العاهل الذي كان وقتئذ بمدينة فاس.

وهكذا وصل المدينة صحبة زوجته وابنته يوم الخميس 19 نونبر 1868 = 3 شعبان 1385 بينما كانت عقيلته وكريمته واقفتين على مقربة منه.

ولعل من الطريف أن نقتبس الفقرات من التقرير الذي رفعه جوهن هاي على إثر هذه المقابلة مباشرة : «لقد استقبلني هذا اليوم جلالة الملك على ظهر فرسه، وهو عرش الملوك المغاربة، وكان ذلك وسط الضباط بالقصر الملكي وبمحضر عددٍ كبير من الجند، وكان ذلك تعبيراً من جلالته عن صداقته ومودَّته، وقد يكون من المفيد بالنسبة إلى معاليكم أن أشير في هذا التقرير إلى أن جلالة العاهل المغربي عندما أخبر بأن هناك سيدتين من عائلتي ترافقاني إلى فاس، أعطى تعليماته الخاصة حتى يسمح لهما بالدخول إلى ساحة القصر حيث تجرى المقابلة، وخُصص لهما مكان على مقربة من مكان الاستقبال حتى يمكنهما أن تأخذا نظرة مستوعبة لحفلاتِ الاستقبال، وأعتقد - يقول هي - أن هذه البادرة هي الأُولى من نوعها بالنسبة للسيدات الأوروبيات اللاتي قمن بزيارة فاس لحد الآن، لقد كانت التفاتة مجاملة نادرة بالنسبة لسيداتٍ مسيحيات يدخلن قصره، وقد كانت مفاجأة كبرى بالنسبة لمدينة فاس نفسها وسائر الناس وقد فسروها على أنها أصدق دلالة على ما يكنه السلطان من تقدير للإنجليز...».



استقبال السفير الإنجليزي (هي) من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن يوم السبت 26 رجب 1284 = 23 - 11 - 1862 بمدينة فاس. عن كتاب (الاتحاف) للنقيب ابن زيدان.

ولم يلبث السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن أن توفي يوم 18 رجب 1290 11 شتنبر 1873 حيث خلفه ابنه السلطان مولاي الحسن (الحسن الأول).

لقد ورد في تقرير رفعه (هاي) (Hay) بتاريخ 18 شتنبر 1868 عن لقائه الأخير بالأمير سيدي حسن قبيل جلوسه على العرش : «إنه جدير بالمسؤولية الملقاة على كاهله»، ومن ثمن نجد أن الوزير البريطاني المذكور لم يفتأ متصلاً بالبلاط ومتطوّعاً - على العادة - بإعطاء وجهة نظره في بعض النوازل....

وعندما زار جلالة السلطان العاصمة العلمية لأول مرة بعد توليه المملكة التحق هاي بفاس في شهر أبريل 1878 = ربيع الأول 1292 ليقدم له تهاني المملكة البريطانية مصحوباً بطائفة من الهدايا، لاحظنا من بينها جهازين للتلغراف أحدهما للإرسال والآخر للاستقبال، حيث قام بإطلاع العاهل على كيفية تسيير الجهازين...

☆ ☆ ☆

وتلافياً للمضاعفات المزعجة التي سبّبها «المحميون» و«المتجنسون» معاً... فقد قرر العاهل إرسال سفارة إلى عدد من الدول الأوربية سنة 1293 = 1876 : فرنسا بلجيكا - أنجلترا - إيطاليا في محاولة لإلفات النظر إلى الأخطار التي تهدد كيان البلاد من جراء «الحمايات القنصلية...».

وهكذا وصلت من بلجيكا إلى لندن يوم 14 يوليه 1876 سفارة هامة برئاسة الحاج محمد الزبدي الذي كان يحمل رسالة إلى الملكة فيكتوريا على ما أشرنا إليه عند العلاقات الفرنسية المغربية...[7]

وفي ربيع 1880 عهد إلى (جوهن هاي) بطلب مقابلة العاهل المغربي الذي استقبله بفاس يوم 18 أبريل = 8 جمادى الأولى 1297 في محفل بهيج شارك فيه ثلاثون موسيقيا يعزفون النشيد الوطني وبعد هذه المقابلة تمت مقابلة أخرى خاصة يوم 24 أبريل استغرقت أكثر من ساعتين تناولت مشكلة الحمايات الغير الشرعية.

---

7) نذكر على سبيل المثال الخطاب الموجّه من طرف وزير خارجية أنجلترا للسفير الزبيدي وهو يحمل تاريخ 25 يونيه 1876 = 2 جمادى الثانية 1293 - الإتحاف 2، 285.

وقد تناولت المحادثات ـ وهذا مهم ـ الوضعَ المتـأزم في الجنوب المغربي بسبب المركز الذي أنشأه المهندس الإنجليزي دونالد مـاكينزي (D. Mackenzi) الـذي أقـام سنـة 1880 في طرفـايـة (Cape Juby) مستـودعـاً لشركـة الشمـال الغربي الإفريقي (Norte West African Compani) تحقيقاً لمشروع جوهن دافيدصن،[8] السالف الذكر.

لقـد أفهم العـاهـل المغربي السفير البريطـاني مـا في ذلـك الصنيـع من مخـالفـةٍ للشروط والقوانين، وما فيه من منافاةٍ مع الشرط الثالث والثلاثين من المعاهـدة المغربية البريطانية 1273 = 1856 التي تعترف بسيادة المغرب على منطقـة وادي نون بكاملها...

وفي الوقت الذي غادر فيه المندوب البريطاني إلى طنجـة يوم 18 مـايـه 1882 اتجـه العـاهل المغربي إلى سوس حيث مركز مـاكينزي السـالف الـذكر من أجل تجهيز مرسى هناك تعبيراً جديداً عن تمسكـه بـالجنوب، وقـد كـان العـاهل المغربي أمر في تلـك الأثناء نائبه في طنجة بنشر إنذارات للرعايـا الإنجليز في جريـدة التـايمز (The Times) يقضي بـالقبض على كـل من تسـول لـه نفسـه النـزول بـالأرض المغربيـة دون إذن، وبمصـادرة البضـائع المتوجّهـة إلى تلـك النواحي من المغرب، وقـد نشرت تلـك الاسترعاءات في الجريدة المـذكورة بتـاريخ 8 ـ 11 ـ 1881 و 15 ـ 2 ـ 1882 ـ و 23 ـ 4 ـ 1883 الأمر الـذي يـدل على اهتمـام المخزن الـذي أخـذ يشعر بقوة الرأي العام...[9]

ولابد أن نـذكّر هنـا بـالأمر الـذي صـدر من العـاهل إلى ابن عمـه مولاي الكبير والقائد مبارك الـدليمي والوصيف السريفي بـإلقـاء القبض على جيمس كورتيس (J. Curtus)، «لينقطع التشوف لتلـك المراسي» كمـا ورد في رسـالـة أخرى بتـاريـخ 10 رمضـان 1300 = 15 يوليه 1883.

---

8) كـان للشركـة ترجمـان هو المسمى أيوب سبـارضون خريج الجـامعـة الأمريكيـة ببيروت وقـد تزوج مغربية واعتنق الإسلام... وهنا كـانت بـدايـة المشـاكل حيث رأينـا دولاً أخرى كـاسبـانيـا وفرنسـا، تسعى لتقليد أنجلترا الإتحاف، 2، ص/334 ـ مجلة البحث العلمي، عدد 26 ـ 27 / 1976 ـ 1977.

9) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2، 246/245.

وقد عاكست الظروف جوهن هاي دون أن يتمكن من وداع العاهل لتغيب هذا مرة أُخرى في جنوب المغرب، وهكذا بعث إليه وزير الخارجية السيد محمد المفضل غريط برسالةٍ تحمل تاريخ أواخر رمضان 1303 = (3 يوليه 1886) يعرب فيها عن الأَسف على عدم تمكن الوزير المتقاعد من استئذان العاهل بالعودة لبلاده بعد تلك الفترة الطويلة التي قضاها في خدمة العلاقات بين البلدين مع ثلاثة ملوك... كانت رسالة رقيقة عرضت فيها الحكومة المغربية على هذا الدبلوماسي الإقامة في المغرب إن وافقت دولته على ذلك...

ولقد تسلم السير ويليام كَرين W. K. Green واجباته يوم 7 اكتوبر 1886 وكانت الحكومة المغربية تعتقد أنها ستجد فيه نفس ما كانت تجده في جوهن هاي من مساعداتٍ، لكنّ جواب المبعوث الجديد على أسئلتها، منذ أيامه الأُولى، كانت مخيّباً للآمال....

وقد أخذ كَرين في رفع تقاريره التي كانت في مجموعها تعتمد على المخبرين وما يجدُّ من منغصات ومزعجات !

وقد جرى مع هذا الوزير لقاءٌ آخر خاص يوم 30 أبريل 1887 حيث جرى الحديث عن الموضوع الهام : شركة الشمال الغربي لإفريقيا في بوجدور التي علمنا عن موقف السلطان منها..!

وبعد احتجاجٍ من كَرين لوزير الخارجية المغربية بتاريخ 21 أبريل 1888 وجدنا جواباً من الخارجية للباشادور بتاريخ 19 شوال 1305 = 29 يونيه 1888 يؤكد أن الحدود المغربية تشمل طرفاية والصحراء إلى السودان.[10]

وفي إطار مصانعات المغرب لأَنجلترا تلافياً للصدام، وجدنا العاهل المغربي أثناء رحلته إلى الشمال (شتنبر 1889) يخبر المندوب البريطاني كَرين بأنه يرغب في مشاهدة استعراض تقوم به البحرية الإنجليزية في خليج العاصمة الدبلوماسية...[11]

---

10) مح 39/46 ـ 24/47 ـ 29/47، تطوان (الخزانة الوطنية).

11) الحلل البهية للمشرفي ص 302 ـ 311، مخطوطة بالخزانة العامة تحت رقم 1463 وانظر كذلك مخطوطة رقم 2420 حول هذه الرحلة الحسنية Morish empire p. 205 – D.

وقد رأينا الوزير البريطاني يقوم بزيارة لمراكش في رجب 1308 = يبراير 1891 لمقابلة العاهل من جديد حول أمر الشركة... لقد كانت أمنيته الوحيدة أن يجد تسوية للمشكل ترضي مصلحة بلاده، وقد وجد أن السلطان متصلبٌ فيما يتعلّق بوجود هذه الشركة على الأرض المغربية !!

وإذا ما رجعنا إلى المصادر البريطانية فسنقرأ أن الوزير كَرين تعرض - نتيجة للقلق - لانفجار شريان في الدماغ يوم الثلاثاء 15 رجب 1308 = 24 يبراير 1891 في نفس اليوم الذي ينتهي فيه أمد إنذار وجهه إلى العاهل المغربي !![12]

وفي أعقاب هذا بحثت أنجلترا على سفير «مناسب» فوجدت في سفيرها بزنجبار السير شارلس إيڤان سميث (CH. EVAN SMITH) الرجل الذي يمكن أن يطوّع المملكة المغربية سيما وقد قضى في سلطنة زنجبار فترة مكنته من معرفة العقلية الإفريقية..![13]

وقد اتجه السفير الجديد سميث نحو فاس حيث استقبل يوم 14 مايه 1892 في حفل تقليدي تبعته مفاوضات حول مشكل بوجدور ومراجعة الاتفاقية التجارية... وقد نقل عن هذا السفير أنه مزق الأوراق في وجه مفاوضيه المغاربة، الأمر الذي جعل المغرب يرفع الشكوى به إلى الملكة فيكتوريا.[14]

وبعد تسعة أسابيع بفاس غادر سميث المدينة بعد أن استقبله السلطان للوداع يوم 12 يوليه 1892، ولكن من غير أن يصل الطرفان إلى نتيجة...

ولم تلبث بريطانيا أن عينت في يوليه 1893 السفير إيرنيسط ساطو (Ernest Satow) في يوليه 1893 حيث وصل إلى المغرب يوم 29 غشت 1893.

☆ ☆ ☆

وقد جلس على العرش بعد وفاة السلطان المولى الحسن ليلة 6 يونيه 1894، ابنه السلطان المولى عبد العزيز...

---

12) التاريخ الدبلوماسي للمغرب 2، 104.

13) HESP 1948 p. 250

وفي هذه الأثناء كان السفير الجديد إيرنيست ساطوو (E. Satow) يتأهب للاتجاه إلى فاس حيث رأيناه يقدم أوراق اعتماده يوم 29 اكتوبر 1894 وينزل ضيفاً على الحكومة المغربية في عرصة ابن المدني بنيس، وتمت المناقشات حول مشكل رأس بوجدور الذي انتهى إلى «تسوية» بتاريخ 16 رمضان 1312 = 13 مارس 1895 وقد جاء في شرطها الأول النص على ما يلي :

الشرط الأول : إذا اشترى المخزن زينة المحل المذكور من الكبانية المذكورة لايبقى كلام لأحد في الأراضي التي من وادي درعة إلى رأس بوخادور المعروف بالطرفايا المذكورة وكذلك فيما فوق هذا المحلّ من الأراضي لكون ذلك كله من حساب أرض المغرب».[15]

وفي أعقاب الوصول إلى هذا الاتفاق توجه وفد مخزني هامّ إلى عين المكان لتسلم المركز، وقد كان يتألف من الموقت العلمي بن رحال والمهندس الحسين الأودي والأمين ادريس بن عبد الجليل، والعادل العباس ابن مرزوق، والنجار الحسين المباركي والبنّاء موسى مارسيل، والرئيس البحري الحاج محمد زنيبر وخمسة وعشرين عسكرياً...

وقد عوض السفير ساطو (SATOW) بالمستر آرثر نيكولصن (ARTHUR Nicolson) الذي صادف وصوله رفع احتجاج من المخزن على منح الحماية الانجليزية لأحد المواطنين المتنفذين في الجنوب المغربي...

وبالرغم من وصول السفير لطنجة منذ خامس اكتوبر 1895 فقد ظل ينتظر مقابلة العاهل إلى شهر أبريل من السنة الموالية حيث تم الاستقبال بمراكش في متم شوال 1313 = 13 أبريل 1896 وقد رفع السفير تقريره إلى الملك فيكتوريا عن انطباعه بعد هذا الاتصال المباشر بالعاهل، وكان فيما قاله :

«... بدا جلالته وهو يمتطي حصانه على قدر كبير من الاتزان ورباطة الجأش... وإن الوزير الكبير بّاحماد يجمع في يديه أزمة الأمور وهو يتأثر -

14) راجع وثيقة تطوان رقم مح 71/40 - الإتحاف 2، 354.
R. Le Tourneau : Fes Avant, le Protectorat Casablanca 1949, p. 167

15) ابن زيدان : الإتحاف 1، ص 383. 384 - 385.

إلى حدٍّ كبير بالسِّي عبد السلام التازي وزير المالية... رجل يسيء الظنَّ في كلّ الإصلاحات المقترحة من الأُروبيين، أَما بقية الوزراء فهم - في هذا الوقت - أَصفار...[16]

under the influence of Si
Abdeslam Tazzi, the Minister of
Finance; a man who is
averse to all reforms, and
ill disposed towards Europeans
The other Ministers are, for the
present, cyphers; and some

من تقرير السفير البريطاني عن مقابلته مع السلطان مولاي عبد العزيز بحضور بّاحماد وعبد السلام التازي يوم 29 شوال 1313 = 13 أبريل 1896.

---

16) يقارن هذا مع حديث الدكتور فايسجيربير الذي شبّه الأَمين التازي بالوزير الفرنسي جيل فيري (Jule Ferry) وقال عنه إنه سافر كثيراً في أروبا وله تجارة في بريطانيا وكان يدخن الّسيكَار الكبير... د. التازي : رسائل مخزنية ص 62/61.

وحسب التقرير الذي رفعه المندوب البريطاني، نيكولصن، وحسب رسالة من الخارجية المغربية نجد المندوب المذكور يتحدث عن الفراغ المهول الذي تركته وفاة باحماد (13 محرم 1318 = 13 مايه 1900) واستعفاء وزير المالية عبد السلام التازي...(17)

...ولم يلبث العاهل أن أرسل سفارةً مغربية إلى أنجلترا وبروسيا برئاسة وزير البحر المهدي المنبهي وعضوية عبد الرحمن بركاش بصفته مستشاراً والقائد ملكين (Mac-Ican) لبسط مشكل سطو فرنسا على حدودنا الشرقية ومعالجة القضايا الثنائية...

وفي هذه الأثناء قرر المغرب المشاركة في المعرض البريطاني بإشراف الحاج محمد ابن قاسم كَنون الفاسي والمحتسب محمد بن الطيب بوهلال التطواني وذلك حسب رسالة مخزنية تحمل تاريخ 13 شوال 1318 = 13 يبراير 1901.(18)

وبمناسبة تولي الملك إدوارد السابع العاهل البريطاني الجديد بعث السلطان المولى عبد العزيز بسفارة تهنئة إلى لندن برئاسة باشا فاس القائد عبد الرحمن ابن عبد الصادق الريفي وعضوية الكاتب الحسين بن محمد الغسال، أبحرت من طنجة يوم السبت 14 ربيع الأول 1320 = 21 يونيه 1902 عبر جبل طارق حيث استقبلها هناك، وكيل سيدنا الأرضى الطالب عبد السلام بوزيان مرفوقاً بخليفة حاكم الجبل وقائد المرسى وجماعة من الكبراء...



عبد السلام بوزيان
وكيل جلالة السلطان
بجبل طارق..

17) لابد أن نلاحظ هنا أن الكاتب البريطاني روجرز (Rogers) الذي قام بتأليفه حول تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية، وقف في تأليفه المذكور عند سنة 1900 لأنه كان يعتبر أن هذا التاريخ كان بداية النهاية !

18) نشكر بهذه المناسبة سعادة الزميل عبد السلام زنيند سفير المغرب بأنجلترا...



سفارة ابن عبد الصادق إلى أنجلترا عام 1320 = 1902

وفي الساعة الثالثة من يوم الخميس 10 يوليه 1902 = 3 ربيع الثاني 132 توجهوا لقصر الأمير ولي العهد حيث وجرت الأحاديث الودية بين الأمير وبين السفير حيث سأل الأول عن حال العاهل المغربي وهنا «ألقى السفير الخطاب الذي ترجم للأمير وكان ينصت له بسكينة ووقار...[19]

☆ ☆ ☆

ومن جهة أُخرى فقد تألم السلطان مولاي عبد العزيز من التصريح البريطاني الفرنسي 8 أبريل 1904 وكلف بتاريخ 10 مايه الوزير ابن سليمان بتحرير احتجاج ضد تصريح لندن...

وعندما تربع السلطان المولى عبد الحفيظ على العرش بتاريخ 6 رجب 1325 = 16 غشت 1907 بهدف القضاء على «الهيمنة الأجنبية بالمغرب»... بعث إلى معتمدي الدول الأجنبية بطنجة وخاصة منهم الذين حضروا مؤتمر الجزيرة الخضراء يدعوهم للاعتراف به عاهلاً على البلاد مكان أخيه المولى عبد العزيز...[20]

وكان في صدر المهنئين للعاهل الصحفيون البريطانيون بواسطة الصحفي الإنجليزي لورانس هاريس، وقد توصلوا بتاريخ 11 محرم 1326 = 7 اكتوبر 1908 برسالة من نائب وزير الخارجية المغربية بالشكر على «تهنئتهم بجلوس الجناب الشريف على كرسيّ الخلافة العظمى».

ويثني في آخر الرسالة على حكمة العاهل البريطاني إدوارد السابع، وفي هذه الأثناء حطت سفارة مغربية بلندن في 11 اكتوبر 1909... وقد تجددت السفارة إلى أنجلترا من المولى عبد الحفيظ عام 1909 لمفاتحة بعض الأبناك اللندنية من أجل أن يعرض عليها منح بعض الامتيازات مزاحمةً لفرنسا...

وقد تكون الوفد من الطاهر ابن الأمين رئيساً ومحمد بن الحاج العربي ابن جلون وأحمد بن جلون المدعو التويمي.

---

19) د. التازي : سفارة من السلطان مولاي عبد العزيز إلى لندن، مجلة البحث العلمي، 1399 = 1979 - التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 174 ج 2، 77.

20) ذكر لي الحاج أحمد بن الطاهر مكوار رحمه الله أنه هو الذي عهد إليه والده بأن يبلغ للسلطان مولاي حفيظ اعتراف الدول به إلى عرصة أبي الجنود حيث القصر الملكي...

لكن تفاهم بريطانيا مع فرنسا منذ سنة 1904 حال دون الوصول إلى نتيجة على ماتفيده رسالة من الحاج أحمد بن الطاهر مكوار الذي كان والده يمثل قنصل أنجلترا بفاس... والذي ساعد على تهيئة الوفد المغربي إلى أنجلترا.

وقد كانت آخر سفارة إنجليزية إلى العاصمة فاس هي التي كانت برئاسة المستر ليستير (Lister) وزير بريطانيا العظمى حيث أقامت بفاس من 19 أبريل إلى ثاني يونيه 1909.

ويبدو أن آخر رسالةٍ بعثها القنصل الإنجليزي ماكولاد إلى نائب وزير الخارجية المغربية هي التي كانت بتاريخ 12 مارس 1912 = 22 ربيع الأول عام 1330، وذلك جواباً على رسالة الدبلوماسي المغربي بتاريخ 15 محرم الماضي وكانت تحتوي على ضابط دخول وخروج السلاح...[21]

☆ ☆ ☆

العلاقات بين المغرب وألمانيا

ظهرت آثار انتزاع الفرنسيين الجزائر من يد الأتراك عام 1830 في تقليص التمثيل الدبلوماسي الأجنبي - في المغرب - كما ظهرت في إغراء بعض الدول على التدخل في شؤون المغرب ومحاولة الأخذ بنصيبها منه !

وبهذا نفسر إقدام المركب البروسي (فلورا Flora) في شهر دجنبر من عام 1852 ربيع الأول 1269 على محاولة النزول على مقربة من مليلية حيث تمّ الهجوم عليه بعنف من لدن السكان...

وقد قامت بروسيا - التي كانت قد عهدت للسويد بتمثيلها في طنجة - بجولةٍ انتقاميةٍ في غشت 1856 = ذي الحجة 1272 إلا أن نزولها في المغرب - بواسطة المركب الحربي دانزيك (DANZIG) - كلّفها غالياً على ما نقرأه في المصادر الأجنبية.[22]

---

21) الحجوي : تاريخ العلاقات الفرنسية المغربية ص 35.

22) Pierre Guillan : L'Allemagne et Le Maroc p. 90.

وكانت مداهمة تطوان من طرف اسبانيا فرصةً لألمانيا لإظهار غضبها من قضيتي فلورا و (دانزيك)، وهكذا أعلن وزير خارجية ألمانيا أنه يعاضد وجهة النظر الإسبانية، ونتيجة لذلك أرسلت بعثة عسكرية كانت إلى جانب الكتائب الإسبانية..!

وقد دفع الاستطلاع ببعض المسافرين والباحثين الألمان بعد أن قرأوا مذكرات «البعثة العسكرية» إلى زيارة المملكة المغربية التي لم يكونوا يعرفون عنها غير ماكتبه بعض المتقدمين من أمثال ليون الإفريقي...

وكان من بين أولئك الرواد كارل فون مالتزان (Karl Von Maltzan) الذي قام سنة 1858 بزيارة مراكش منتحلاً صفة يهودي، وقد استطاع أن يحظى بمقابلة السلطان مولاي عبد الرحمن والاجتماع بولي عهده الأمير سيدي محمد... وهو في كل هذه الأثناء يستجمع المزيد من المعلومات عن المغرب....

وقد قام جيرْهارد روهلفس (Gerhardt Rohlfs) وهو من بريم (Breme) أيضاً بزيارة المغرب سنة 1862 يلبس زيّاً عربياً ويدعي اعتناق الإسلام منتحلاً اسم مصطفى مقدماً نفسه على أنه طبيب.. وقد قام هذا أيضا بمسح المغرب من سائر الجهات....

وقد كشفت حرب 1870 للمستشار بيسمارك عن الأهمية السياسية والاستراتيجية للمغرب المجاور لفرنسا، وقد كان السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن على خبرةٍ بالصراع الألماني الفرنسي الأمر الذي يفسر موقفه المحايد إزاء ذلك النزاع... وفي الوقت الذي كانت ألمانيا تقومُ فيه بهذه المحاولات اتّخذ بيسمارك أثناء سنة 1872 قراراً بفتح القنصلية بطنجة وهو الأمر الذي أعلن عنه بصفة رسمية في السنة الموالية...

وهكذا عهد في الأخير إلى كوليش (Gülich) بمهمة تمثيل ألمانيا لدى البلاط المغربي وبنهج سياسةٍ مشتركة مع بريطانيا، بيد أن هذا الوقت كان يصادف ظروف وفاة العاهل سيدي محمد بن عبد الرحمن وتنصيب خلفه، وهي ظروف كانت تقتضي، في نظر أنجلترا، النّصح بتأجيل إرسال القنصل الألماني وبقائه ينتظر في جبل طارق إلى أن يتم تنصيب السلطان المولى الحسن...

☆ ☆ ☆

ويذكر ان كوليتش عرض على السلطان المولى الحسن مساعدة ألمانيا لتكوين جيشٍ مغربي عصري كما اقترح تزويد المغرب بالعتاد الحربي، وإنشاء شبكة للسكة الحديدية والطرق المعبدة علاوة على الخطوط التلغرافية... بيد أن أيام القنصل المذكور لم تطل حيث وجدنا الأمبراطورية الألمانية تعوضه بقنصلها العام السابق في بيروت، الذي كان يجيد اللغة العربية ويحمل اسم ثيودور ويبير (Theodor Weber).

وقد كان في صدر ما قام به القنصل الجديد تنظيم القنصلية الألمانية في طنجة وإعطائها نفساً جديداً حيث زودها بعدد من المساعدين والكتاب كان من بينهم ترجمان «من جنسية سورية» يحمل اسم منصور ملحمة عاش في المغرب حوالي ربع قرن من الزمان، وممن كان يعتمد عليهم ويبير الحاج علي بوطالب الذي وصل طنجة عام 1879 وكان من معارف القنصل الألماني، وهو ابن أخت للأمير عبد القادر الجزائري...

وقد قصد السفير مدينة فاس لتقديم التحية للسلطان المولى الحسن حيث وجدناه يحل بها يوم سابع مايه 1877.

وقد كان من جملة الهدايا التي رفعها السفير إلى العاهل بمدينة فاس والوقت وقت حرّ ماكينة لصنع الثلج..!! وقد مهدت هذه الوفادات للحديث حول إبرام المعاهدة...

وفي أعقاب هذه السفارة عهد العاهل المغربي سنة 1877 إلى الحاج العربي بريشة باقتناء كمية من الأسلحة من ألمانيا حيث رأينا القنصل ويبير يزود بريشة بعناوين المصانع الألمانية وبخاصة دار كروب (Krupp) التي ازدهرت العلاقات معها أيام السفير....

وتعزيزاً لأواصر الود الذي يجمع بين الدولتين، وجواباً على السفارة التي بعث بها الأمبراطور كَيوم... قرر السلطان مولاي الحسن إرسال سفارة مغربية إلى ألمانيا....

وهكذا بعث في شهر مايه 1878 ببعثة مغربية برئاسة قائد مدينة آسفي الطيبي ابن هيمة الذي كان مصحوباً بأحد القواد وبخمسةٍ مقدمين وسكرتير وعدل وعدد من المساعدين...

ولقد أعرب السفير ابن هيمة للأمبراطور يوم 23 مايه عن رغبة جلالة السلطان المولى الحسن في إقامة علاقات متينة مع ألمانيا... لقد كان العاهل مهتماً فعلاً بتنظيم جيشه منذ أن تربع على العرش...

ولقد ظهر من خلال الحديث مع الوزير الألماني الأول بيسمارك أنه يهدف لإبرام معاهدة تجارية كما يهدف لإرسال بعثة عسكرية... وقد كانت بنود المعاهدة المقترحة على جلالة الملك لاتختلف كثيراً عن نصوص الاتفاقية المغربية الإنجليزية المبرمة عام 1856... وقد كان مما أشاعته بعض الصحف أن ابن هيمة وقع اتفاقية سرية مع ألمانيا لتسليم الأمبراطور أحد الموانئ شمال المغرب في مقابلة المساعدة الألمانية.!(23)

وفي أعقاب تلك السفارة مباشرة ورد على المغرب مبعوث تجاري كونرينك (Conring) للوقوف على حاجيات المغرب حيث قصد مدينة مراكش مع القائد ابن هيمة...



سفارة القائد ابن هيمة إلى ألمانيا

وقد توجه ابن النائب السلطاني محمد بركَاش إلى ألمانيا عدداً من المرات سنة 1881 ـ 1884 صحبة التّرجمان الألماني (منصور ملحمة)، وقد أثر عن بيسمارك أنه بالرغم من الظروف التي كانت تعرفها العلاقات الألمانية

23) نجدد الشكر للزّميل الأستاذ عبد القادر بن سليمان سفير المغرب في بون على مساعدته.

المغربية في أول سفارة لبركاش الابن، فقد أبى أن يفشل الدبلوماسي الشاب فشجعه وأصبحت لبركّاش مع الوزير الألماني الأول صداقة استمرت أعواماً طوالاً..[24]

وتحتفظ الوثائق المغربية بنص الرسالة التي تشير للمشروع الذي أُعد بين أمبراطور ألمانيا وسلطان بروسيا من جهة وبين جلالة سلطان فاس ومراكش من جهةٍ أُخرى : لقد كان يفاوض فيه باسم المغرب الحاج العربي فرج (من الرباط) والحاج أحمد بن الطاهر (من فاس) والسيد محمد راغون (من تطوان)... كما كان يفاوض فيه عن ألمانيا البارون شارلس طيسطا (Cl. Testa) الذي اعتمد بطنجة منذ شتنبر، والذي قضى عشر سنوات في القاهرة وكان على خبرة تامة بالشؤون الإسلامية، وباللغة العربية معززاً بالوزير المعتمد (ويبير) قبيل تسليمه المهام إلى طيسطا..[25] ويتعيَّن البارون طرافيرس (Travers) منذ اكتوبر 1887 عوضاً عن طِيسْطا (Testa) الذي منعه «مرضه الثقيل» من متابعة نشاطه حسبما تفيد رسالة حسنية إلى الأمبراطور كَيوم الأول بتاريخ 7 ربيع الأول 1305 = 23 نونبر 1887.

ولكن طرافيرس لم يطل مقامه بالمغرب فقد عاقته حالته الصحية أيضاً عن متابعة الوظيفة، وهكذا ترك العمل منذ يونيه 1888 حيث أصبح يقوم «بأشغال ألمانيا» والدثاوزن (Waldthausen).

وفي هذه الأثناء قرر العاهل السلطان المولى الحسن إرسال سفارة لدى الأمبراطور كَيوم الثاني بمناسبة تسلمه الحكم مكان والده.

وهكذا غادرت السفارة المغربية مياه طنجة يوم 22 يناير 1889 = 20 جمادى الأولى 1306 على متن سفينةٍ ألمانية برئاسة عامل الشاوية عبد السلام بن رشيد الحريزي الذي كان معززاً بالحاج محمد الزكَاري ومرفوقاً بكاتب وأربعة ضباط.. وقد وصلت السفارة إلى بريمير هافن (Bremerhaven)...

وتم الاستقبال الرسمي لأعضاء السفارة يوم 6 يبراير 1889. حيث سلم السفير رسالة توصية من الحكومة المغربية إلى العاهل الألماني... ومن برلين قصدت يوم 17 يبراير زيارة إيسين (Essen) حيث مصانع كروب.

---

24) الإتحاف 2 ص 358 L'Allemagne et Le Maroc p. 174 Note 3

25) الوثيقة رقم مح 7/50 وتاريخ 11 شعبان 1305 = 22 أبريل 1888.

وقد أسهمت هذه السفارة في تسجيل خطوةٍ جديدة للتقارب الألماني المغربي... وهكذا نجد الأمبراطور كَيوم الثاني يصدر أمراً بتعيين وزير معتمد جديد بطنجة كان له دور بارز في إعطاء نفس جديد للعلاقات ويتعلق الأمر بالسفير طاطّينباخ (Tattenbach) الذي عين منذ مارس 1889.

وقد أقام السفير بفاس من 27 أبريل 1890 إلى 4 يونيه حيث تتابعت المفاوضات التي انتهت إلى الإمضاء على الاتفاقية التجارية بفاس يوم الأحد 12 شوال 1307 = أول يونيه 1890.(26)



استقبال السلطان المقدس المولى الحسن بفاس للسفارة الألمانية برئاسة الوزير طاطينباخ (Tattenbach) بمدينة فاس.

Le Tourneau : Fez Avant le Protectorat p. 167 / L'Allemagne et le Maroc p. 209/210 (26

وقد ختمت بتوقيع السفير الألماني طاطّينباخ نيابة عن جلالة أمبراطور ألمانيا وملك البروسيا وعن المغرب وزير الأمور الخارجية الفقيه محمد المفضل بن محمد غريط الذي عزّز توقيعه بتوقيعات عشرين من أمناء الحضرة الشريفة : نذكرهم تسجيلاً للحدث : العربي بن أحمد بناني، والعربي بن عبد الرزاق بن شقرون، وعبد الكريم بن الحاج قدور بنيس، ومحمد بن الطاهر الأزرق ومحمد بن التهامي الكوهن، وعزوز بن الكبير بن كيران، ومحمد بن عبد الكبير التازي، وعبد الوهاب بن محمد بنيس، والعباس بن محمد برّادة وادريس بن أحمد بناني، والعربي بن عبد الكريم بن موسى، والطاهر بن التهامي بناني، ومحمد بن العربي برداة، وادريس بن محمد برادة، وبناصر بن جلون، وبناصر بن محمد الحلو، ومحمد بن عبد الكبير بنيس، ومحمد بن عبد النبي بن جلون، ومحمد بريشة، والطيب بناني...

وهكذا عقدت عدة صفقات بين المغرب وبين ألمانيا وخاصة فيما يتعلق بتزويد المغرب بالمعدات الحربية التي تنتجها دار كروب.

وقد عرفنا عن تكليف العاهل لحاكم فاس بوشتى ابن البغدادي بالاتصال بالسفير الألماني طاطينباخ من أجل اقتناء السلاح...[27]

لقد أمسى طاطينباخ يتمتع بالثقة من لدن المخزن وازدهرت في وقته الحركة التجارية مع ألمانيا، ولابد أن نشير إلى اعتماد المغرب على الألمان في تسيير السفن التي اقتناها وبخاصة المركب الذي يحمل اسم (التركي) والذي يحمل اسم (الحَسَني) والذي يحمل اسم (البشير)...

ومن هنا ندرك السر في وفرة الجالية الألمانية ونشاطها في المملكة المغربية، فعلاوةً على من كان تابعاً للمندوبية القنصلية، كان منهم الأطباء والمكلفون بمهماتٍ وخاصة منهم المكلفين ببناء القلاع التسعة...[28]

(27) L'Allemagne et le Maroc p. 208. وثيقة بمكتبة تطوان رقم مح 11/65 بتاريخ 6 ذي القعدة 1308 = 13 يونيه 1891 رقم 61/35 بتاريخ 14 ذي القعدة 1310 = 1893.

(28) بنت ألمانيا البرج المعروف ببرج العلو على الساحل الأطلسي على يد المهندس الألماني وكيل دار كروب روطن بورك (Rotten Bourg)، وكان الطالب الحسين الزعري هو الواسطة بين المهندس وبين المحتسب عبد الخالق فرج... ويذكر أن المهندس الألماني كان يتصل بصديق له في البيضاء بواسطة الحَمَام الزاجل على ما تحكية مذكرات الزعري المذكور...

التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2 ص 229 ـ Pierre Guillen : L'Allemagne et le Maroc. p. 86



ولذا الحاضر سموا مفوضين جلالة سلطان المغرب الى امين الامور الخارجية
الفقيه السيد محمد المفضل بن محمد غريط وامناء حضرته الشريفة السيد العربي بن احمد بناني
والسيد العربي بن عبد الرزاق بن شقرون والسيد عبد الكريم بن الحاج فرج بنيس
والسيد محمد بن الحاج الطاهر الازرق والسيد محمد بن التهامي الكومي والسيد
عزوز بن عبد الكريم بركيلان والسيد محمد بن عبد الكريم التازي والسيد عبد الوهاب بن محمد
بنيس والسيد العباس بن محمد بن ادة والسيد ادريس بن احمد بناني والسيد الحاج العربي
ابن عبد الكريم بن موسى والسيد الطاهر بن التهامي بناني والسيد محمد بن العربي بن ادة
والسيد ادريس بن محمد بن ادة والسيد بناصر بن جلون والسيد بناصر بن محمد العلو والسيد
محمد بن عبد الكريم بنيس والسيد محمد بن عبد النبي بن جلون والسيد محمد ابن بنيس والسيد الطيب
بناني الواضعين خطوط ايديهم باخر هذه الشروط وجلالة سلطان المانيا سمى
نائبه المنسطر الزد بيتس بجانب الحضرة الشريفة الكونت طاطنباخ والموالكونت معوفين
فوقع الوفق بينهما على الفصول الاتي ذكرها

الفصل الاول

تكون المحبة والاتحاد بغير ما شيء ومهما بين جلالة امبراطور المانيا وبين جلالة سلطان المغرب
وانياب بين ممالكهما ورعيتهما وبالاخلاص تكون التجارة متساوية ومطلقة بين الدولتين
المعظمتين المتعاقدتين وفي اتفقوا وتعاقدوا على ان تكون لرعيتهم الحقوق والامتيازات
الكائنة والتي تكون من المستقبل لرعية الاجناس الاخر بتفصيلها ومنها ما ذكر من جميع الحقوق
والتمييز يكون لرعية سيدي عندهم

الفصل الثاني

ان رعية الالمان لهم الحق ان يجلبوا الى ايالة المغرب جميع السلع وغلل الارض والمراكب

جانب من المعاهدة المغربية الألمانية
وبهذه المناسبة نجدد الشكر للمستشار الثقافي...

وقد تلقى العاهل الجديد السلطان المولى عبد العزيز خطاب التعازي في والده السلطان المولى الحسن من سفير ألمانيا الذي كان يقوم في الوقت نفسه برعاية مصالح السويد والنورفيج حسبما نجده في وثيقةٍ تحمل تاريخ 24 ذي الحجة 1311 = 27 يونيه 1894...

ولما انتهت مهمة طاطينباخ عوضه شينك (Schenck) أواخر سنة 1896....

وقد سجلنا له - في جملة ما سجلنا - قيامَه في شهر مارس من سنة 1898 بزيارةٍ للعاصمة مراكش لتحية العاهل ومفاوضة الحكومة المغربية من أجل علاج المشاكل المعلقة... وقد كان يصحبه ثلاثة من الضباط وأحد الكتاب والتراجمة....

وقد استقبلهم السلطان المولى عبد العزيز استقبالاً رسمياً يوم 29 أبريل 1898 حيث أجاب العاهل على خطاب السفير (Sckenck)... وقد وصل الطرفان في صيف 1898 إلى بروتوكول مغربي ألماني...[29]

ومن جهة أخرى فقد شاهدنا قبول المغرب للمشاركة في المؤتمر الدولي للبياطرة الذي عقد في (بادن بادن) (Baden Baden) وكان المرشح المغربي لحضور هذه التظاهرة هو محمد بن عبد الرحمن بنونة الفاسي حسبما تدل عليه الوثائق.[30]

لقد كانت مهمة شنيك انتهت في طنجة منذ 24 أبريل 1899 والمغرب في انتظار الوزير الألماني الجديد فون مانتزينجن (Von Mentzingen)...

لقد كان دخول السفير الألماني إلى مراكش يوم 17 نونبر 1899 = 13 رجب 1317 حيث ظل فيها وقد تحدثت المصادر الأروبية عن العناية التي لقيها السفير الجديد من طرف السلطان المولى عبد العزيز الذي اثنى على موقف ألمانيا من تطاول فرنسا على توات..![31]

---

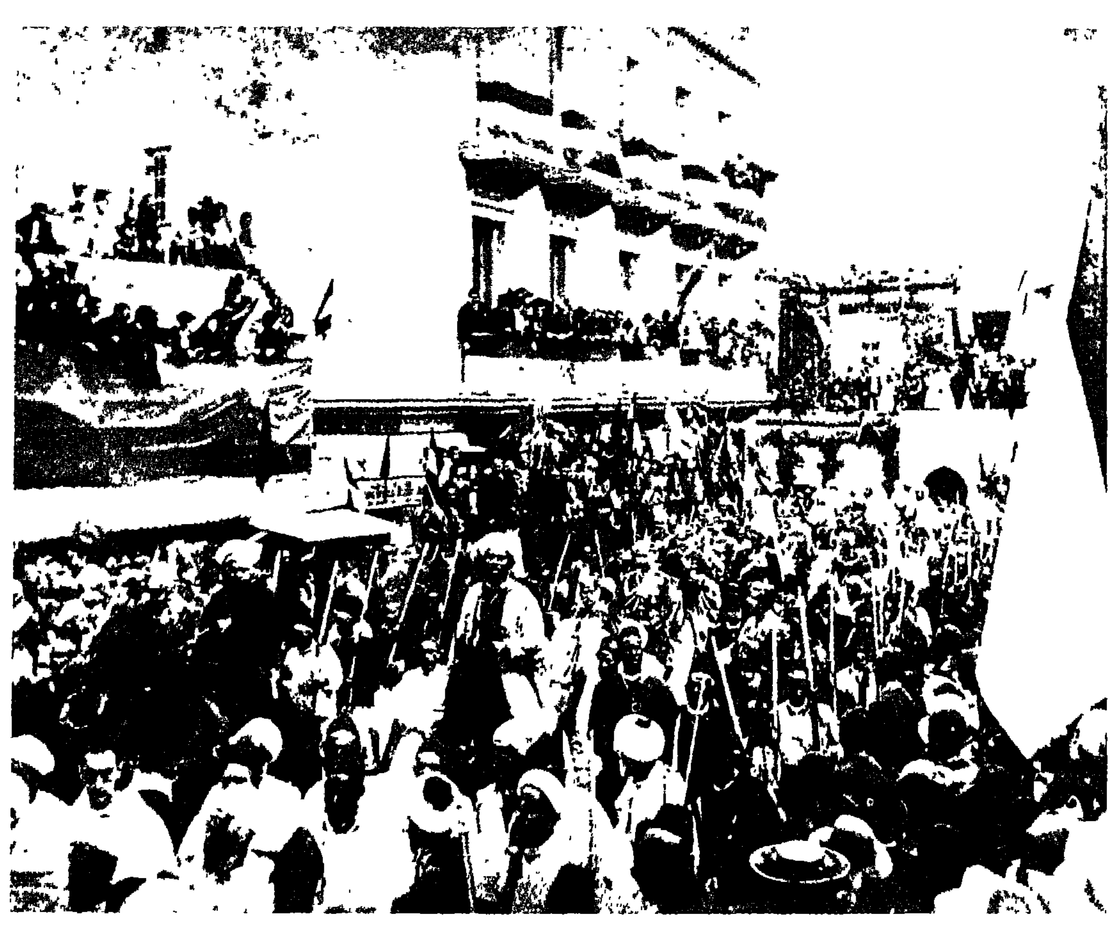
29) L'Allemagne et le Maroc p. 356/357/358

30) وثائق تطوان رقم مح 32/50 بتاريخ 28 صفر 1317 = 28 يوليه 1899.

31) L'Allemagne et le Maroc p. 364

وتحتفظ الوثائق المغربية بنسخةٍ من الرسالة الملكية التي راحت إلى القائد الصديق بركاش عامل طنجة وراحت منها نظائر إلى قواد السواحل الشمالية للتنبيه على ضرورة مساعدة المركب الألماني الذي تعرض لعاصفة بحرية في جهة مالقة،(8 رمضان 1318 = 30 دجنبر 1900).

وقد كانت التصرفات الفرنسية على الحدود الشرقية عاملاً على البحث مرة أخرى عن المساعدة الألمانية، وهكذا تقرر إرسال سفارة إلى الأمبراطور ولم يكن هناك غير المهدي المنبهي معززاً بالحاج عمر التازي وعددٍ من المساعدين...



مقدمة الموكب الإمبراطوري في طريقه إلى المفوضية الألمانية وإن الصورة ناطقة بالأهمّية التي أعطيت لهذه الزيارة التاريخية التي كانت محلّ تعليقات مسهبة من الصحافة الأوروبية.

وقد استقبل السفير فعلاً من قبل مجلس الشيوخ في هامبورغ... وفي يوم 7 يوليه تمّ استقبال السفارة المغربية في بوطسدام (Potsdam) في منتهى الحفاوة... وبعد أن تحدث السفير ردحاً من الزمان إلى الأمبراطور... استقبلته الأمبراطورة كذلك حيث جرت أحاديث المجاملة.

لقد كانت المؤامرات قد تجندت فعلاً لإحباط كلّ أنواع التقارب مع ألمانيا... ومن هنا وردت الفكرة بزيارة الأمبراطور الألماني كَيوم الثاني لثغر طنجة أثناء الجولة التي كان يعتزم القيام بها في البحر المتوسط وذلك ليعبّر عن مشاغله واهتمامه بأمور المغرب...



استقبل العاهل الألماني في أعقاب نزوله من طرف السلطات المغربية وعلى رأسها الأمير مولاي عبد المالك عم السلطان المولى الحسن.

وقد رأى العاهل ـ تعبيراً منه عن اهتمامه بضيفه الكبير ـ أن يبعث بعمه الأمير مولاي عبد الملك مصحوباً بعددٍ من الأعيان ليكون في استقبال كَيوم يوم الجمعة 31 مايه 1905 = 24 محرم 1323.(32)

وبالرغم من أن الأمبراطور لم يلق خطاباً في طنجة إلا أنه صرح حسب الندوة الصحفية التي عقدها القائم بالأعمال الألماني بعد وداع الأمبراطور صرَّح بما يتضمن التأكيد بأن المغرب دولة مستقلة وأنه سيظل كذلك..!(33)

والواقع أن هذه الزيارة كانت تستهدف تلقين فرنسا درساً لضربها عرض الحائط بالأمبراطورية الألمانية، وهي أي فرنسا ـ تسوّي قضاياها المغربية مع الدول الأخرى... إيطاليا أنجلترا، اسبانيا ـ ولا شك أن السفارة فوق العادة التي قام بها لفاس طاطينباخ (Tattenbach) من 11 مايه إلى 5 نونبر 1905 تدخل في هذا الإطار...(34)



الأمير مولاي عبد المالك يتحدث
إلى الأمبراطور الألماني كَيوم

32) L'Allemagne et le Maroc. p. 361-364

33) Taillendier p. 258 – L'Allemagne et le Maroc. p. 826.

34) يلاحظ أن بيير كَيلان (Pierre Guillan) وقف في كتابه عن العلاقات بين المغرب وألمانيا عند هذا التاريخ، وهذا يعني أن العلاقات تعثرت عند هذا التاريخ.
L'Allemagne et le Maroc. p. 855. Le Tourneau p. 11

وعندما تولي السلطان المولى عبد الحفيظ الحكم مكان أخيه السلطان المولى عبد العزيز بعث إلى برلين بسفارةٍ تتألف من محمد بن عزوز... الهاشمي العبدي ابن وزير خارجيته عيسى ابن عمر العبدي، مكوار، بنيس...(35)

وقد سجلت سنة 1911 التدخل الذي قامت به ألمانيا سنة 1911 عندما وصلت سفينة ألمانية إلى أكادير في محاولة تشويش على فرنسا لم تلبث أن تبخرت عندما نالت ألمانيا ما كانت تريده من فرنسا..!!(36)

وكان هذا التاريخ يصادف تماماً تاريخ الاتفاقية الفرنسية الألمانية التي اعترفت ألمانيا بمقتضاها لفرنسا، بعد معارضةٍ دامت أكت من ثلاثين سنة، بمصالح معينة في المغرب... وتبودلت الرسائل بين السفير الفرنسي في برلين ووزير الخارجية الألماني قبل إبرام معاهدة الحماية الفرنسية يوم 30 مارس 1930.



قبيل إبحار العاهل الألماني قام الضباط الألمان باستعراض الجياد الجميلة التي أهداها السلطان المولى عبد العزيز إلى الأمبراطور كَيوم الثاني.

35) محمد المختار السوسي : المعسول 20 ص 56.

Barbur : Morocco p. 131 – Charles – Roux et Jacques Caillé : Mission Diplomtiques a Fez p. 206 (36

العلاقات بين المغرب وإيطاليا...
وحاضرة الفاتيكان وجمهورية اليونان

- سفارة الملك أمبيرطو الأول لدى الملك الحسن الأول 1876.
- سفارة الزبدي والمزامزي والشاوي لإيطاليا.
- بسط الحماية يحول دون الاستمرار في التعاون المغربي الإيطالي.
- قنصلية الصاردو بطنجة.
- الاتفاقية الصقلية المغربية 1250 = 1834.
- علاقات المغرب بحاضرة الفاتيكان بعد احتلال الجزائر...
- السفارة المغربية لدى البابا ليون الثالث عشر 1887.
- علاقات المغرب بجمهورية اليونان.
- الحماية القنصلية اليونانية لبعض المغاربة.

العلاقات المغربية الإيطالية...

لقد أصبحت علاقة الأقاليم الإيطالية بالمملكة المغربية عن طريق السلطة المركزية لإيطاليا الموحدة، وقد كان في صدر السفارات الإيطالية التي استقبلها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن تلك التي قدمت إلى المغرب برئاسة مارتينو (Martino) بتاريخ 1281 = 1864 على ما نجده في وثائق الخارجية.[1]

ولابد أن نشير هنا إلى الطلب الذي تقدم به المغرب لإيطاليا بواسطة الطرق الدبلوماسية بتاريخ 5 جمادى الأولى 1284 = 4 شتنبر 1867 للحصول على ألفٍ وخمسمائة بندقية وعشرة آلاف كرتوش لحماية حدوده والدفاع عن أرضه...

ولا بدّ لمن يتتبع اهتمام إيطاليا بالمملكة المغربية أن يقرأ عن السفارة الكبيرة التي وردت على المغرب في بداية صيف 1876 وكانت برئاسة الكوماندور سكُوفاسكو (SCOVASCO) الذي تعرفه بعض المصادر المغربية بشْكُبَّاص. وقد ألف عن هذه السفارة الكاتب الإيطالي إيدْ مونضو ذي أميسيس (Edmondo de Amicis) ونظراً لأهميتها بالنسبة لفرنسا التي عرفت بمنافساتها على المغرب فقد ترجمت إلى اللغة الفرنسية من قبل هنري بيل (H. Belle) بعنوان : المغرب (Le Maroc) وطبعت بباريز عام 1882.

لقد ورد سكوفاصو لتقديم التهاني للعاهل الشاب السلطان مولاي الحسن الذي كان حديث عهدٍ بالجلوس على عرش أجداده... وكان السفير مصحوباً بالكابتان جيوليو دي بوكّار (Giulio di Boccard) والكابتان فورتيناطو كاصون (Fortunato Cassone) إضافةً إلى نائب القنصل بطنجة والموظف القنصلي بالجديدة علاوة على الرسّامين الثلاثة بَايار (Bayard) وبِيسْيو (Biseo) (من روما) ويوسي (Ussi) (من فلورانسا)... على ما يذكره صاحب الكتاب... وفي طريق السفارة من طنجة إلى فاس قرأنا عن عددٍ من المعلومات المفيدة والرسوم المطرفة....

1) Chronologie des Principaux Faits de L'Histoire Diplomatique du Maroc depuis le XVIme Siécle



تقديم دبلوماسي إيطالي إلى النائب بركّاش في طنجة

وفي معرض حديثه عن الموقع الستراتيجي للمغرب ذكر دي أميسيس أن عدد سكان المغرب على ذلك العهد ثمانية ملايين، وانه أوسع من فرنسا مساحة....

وبعد تقديم أوراق الاعتماد وتناول الأحاديث الودية استُدعي السفير لتناول الغداء في دارٍ بالمدينة يحتوي وسطها على سبع فوارات على ما تقول المذكرات التي تتحدث عن تقديم ثلاثين صحناً من أنواع الطعام...[2]

وقد نظم للسفير استقبال آخر خاص من لدن السلطان مولاي الحسن الذي كان يحمل خنجراً رفيعاً، وهنا يتخلص الكاتب للحديث الهام الذي جرى بينه وبين العاهل... كان حديثا ودياً وسياسياً في الوقت الواحد، قدم السفير أثناءه صورةً لملك إيطاليا مهداةً من صاحبها إلى ملك المغرب...

2) كان مما سجلته هذه المذكرات من مجاملات الوزير المغربي الذي تناولت السفارة الإيطالية عنده طعام الغداء أنه أحضر السكاكين والشوكات إلى بيته عوض أن يفرض عليهم الأكل بأيديهم... وقد لاحظ الكاتب إلى جانب هذا إن العادة جرت بغسل الأيدي ـ بواسطة الطاس ـ عقب كلّ صحن حتّى لا تختلط المذاقات !! التاريخ الدبلوماسي للمغرب، 2 ر 160 ـ 162 ـ 163.



السلطان مولاي الحسن من الأرشيف الوطني بڤيينا

لقد كان يوم تاسع يونيه 1876 = 5 جمادى الأولى 1292 آخر يوم للسفارة الإيطالية بفاس...

☆ ☆ ☆

واعتباراً لهذه المبادرات وجدنا أن إيطاليا كانت ضمن الدول التي بعث إليها السلطان مولاي الحسن سفارته التي كانت برئاسة الزبدي لإثارة الانتباه إلى مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب. على ما أشرنا إليه في العلاقات المغربية الفرنسية الإنجليزية.

وهكذا فبعد أن أدت السفارة مهمتها في فرنسا وبلجيكا وأنجلترا... اتجهت يوم الأحد 22 رجب 293 = 13 غشت 1876 من ليون إلى مدينة طورين... على ما يذكره مدوّن الرحلة إدريس الجعايدي[3] الذي يؤكد أن السفارة خرجت

3) لقد أحسن الجعايدي صنعا بتأليفه لهذه الرحلة التي كانت موازية لنظيرتها الإيطالية التي ألفها دي أميسيس بمناسبة سفارة سكوفاسكو سالف الذكر...

من طورينو في اليوم الموالي في اتجاه فلورانسا حيث استقبلت من لدن نائب وزير الخارجية... وفي هذه المدينة قام أعضاء السفارة بزيارة دار الفلكيين المهندسين قبل أن يغادروا المدينة إلى روما يوم الخميس 26 رجب = 17 غشت، وفي روما استقبلوا من لدن وزير الخارجية يوم السبت 28 رجب الذي يوافق 19 غشت، وكان موعدهم في اليوم الموالي : الأحد مع زيارة كبير الوزراء والوقوف على المستشفى قبل أن يتوجهوا لدار الفرجة... وقد رجعت السفارة من روما إلى فلورانسا يوم الأربعاء ثاني شعبان = 23 غشت بعد حضور عدة حفلاتٍ في العاصمة، وفي يوم الجمعة رابع شعبان خرجوا من فلورانسا نحو طورين حيث كانوا على موعدٍ مع العاهل الإيطالي فيكتور إيمانييل الثاني (Victor Emmanuel) الذي استقبلهم في حفلةٍ رسمية يوم السبت 5 شعبان = 26 غشت،[4] ثم خرجوا في رحلة صيدٍ في الغاب رفقة الأمير الابن وفي يوم الخميس عاشر شعبان = 31 غشت قصدت السفارة مدينة ميلانو لزيارة معامل الخزف والرخام، وغادروها في اليوم الموالي : الجمعة، إلى مدينة جنوة حيث زاروا معاملها كما زاروا مدينة بيلي التي تقع غرب جنوة على مقربةٍ منها... وقد أقاموا في جنوة إلى يوم الأربعاء 16 شعبان الموافق سادس شتنبر حيث غادروا المدينة في مركبٍ خاص في اتجاه طنجة على ما أسلفنا...

وتتحدث المصادر المغربية عن إرسال سفارة مغربية إلى إيطاليا برئاسة القائد بوشتا ابن البغدادي الجامعي وبمعيته الفقيه العربي المنيعي أحد كبراء الكتاب بالحضرة السلطانية على ما يفيده خطاب يحمل تاريخ 7 شوال 1302 = 15 يوليه 1885 مرفوع إلى وزير الخارجية الإيطالية وكان الأمر يتعلق دون شك بتجهيز المغرب بالسلاح على ما يؤخذ من المصادر المغربية والأجنبية على السواء...[5]

ولم يكن غريباً علينا بعد هذه الاتصالات أن نقرأ الأصداء الأولى عن إنشاء دار السلاح بفاس، ثم بمراكش...

---

4) كان خطاب الاعتماد يحمل تاريخ 28 جمادى الأولى 1293 = 21 يونيه 1876 وكان يتضمن الإشارة إلى السفارة الإيطالية للمغرب برئاسة سكوفاسكو... الإتحاف 2 ر ص 307 ـ 311.

5) نشكر هذه المناسبة الزميل يحيى بن سليمان سفير المغرب بإيطاليا.

وهكذا نجد رسالةً من الحكومة المغربية تحمل تاريخ 2 ربيع الأول 1305 = 18 نونبر 1887 إلى الكباليير (مالموسي) (Malmusi) الذي طلب إليه المخزن إرسال مهندسين إيطاليين لإنشاء («الماكينة»)...[6]

وقد كان لسفارة القائد الحاج المعطي بن الكبير بن المدني الشاوي المزامزي[7] إلى إيطاليا عام 1306 = 1889 علاقة بهذه الماكينة التي أدت خدمات جلى للمملكة المغربية حيث استخدم فيها طلبة البعثة المتخرجون من المدارس الأروبية وكان من كبار مسيريها من المغاربة محمد الصغير، والمختار الرغاي، ومحمد الكعّاب، وادريس الفاسي، والطاهر بن الحاج الأوديي...

وبهذه (الماكينة) ضربت العملة المغربية النحاسية (الصولدي) سنة 1310 = 1892 ـ 1893 على ما نقرأه عند صاحب الإتحاف.[8]

ولم يلبث كانطاكّالي (Cantagalli) أن عهد إليه بمهمة من لدن العاهل الإيطالي هامبير الأول (Humbert I) لدى سلطان المغرب الذي نجده يبعث إلى ملك إيطاليا يخبره بوصول السفير المذكور والترحيب به وكانت الرسالة تحمل تاريخ 17 صفر 1307 = 3 اكتوبر 1889.[9]

وبفضل مذكرات الطالب المغربي الزعري الذي كان يدرس بإيطاليا وقفنا على بعض المعلومات عن السفارة التي بعث بها السلطان المولى الحسن لإيطاليا خلال سنة 1892 برئاسة عبد السلام بن رشيد الشاوي...

فعلاوةً على تفقده للطلبة المغاربة الموجودين بإيطاليا نجد أن السفير يحمل رسالة خاصة وهدية ثمينة إلى ملك إيطاليا هامبير الأول (Humberto)، لقد اجتمع السفير بالعاهل الإيطالي مرةً أخرى عندما كان يهم بتوديع العاصمة حيث نجد الملك يعهد إليه بحمل رسالة وهدايا فاخرة للعاهل المغربي كان من بينها خاتم

6) الإتحاف 2، ص 495 ـ 497.
7) تعددت مهمات الحاج المعطي في عدد من الدول الأوربية وهو من مواليد مدينة زطاط أو سطات كما ينطق بها البعض وقد كان صهراً للسلطان مولاي الحسن..
8) الإتحاف 2، ص 499/498.
9) نفس المرجع ص 352 ـ 353.

ثمين نزعه ملك إيطاليا من إصبعه وخاطب الدبلوماسي المغربي : «أطلب إليك أن تجعل هذا الخاتم في أصبع جلالة سلطان المغرب...»[10]

وقد استمرت علاقات الملك هامبيرتو الأول بالملك الحسن الأول مطبوعة بالود حيث نجده يعلمه بالأفراح الملوكية التي أقيمت بتورين (Torine) بمناسبة اقتران أخيه الأمير بالأميرة ماري...

وكذا استمرت العلاقات بين إيطاليا والمغرب على عهد السلطان المولى عبد العزيز الذي تلقى رسالة تعزية وتهنئة حملت إليه أوائل سنة 1312 = 1394.

ومع ذلك وجدنا الوزير الإيطالي مالموسي (Malmusi) في زيارة أخرى للسلطان وهو بفاس حيث أقام بالعاصمة من 3 إلى 28 يونيه 1906 في أعقاب مؤتمر الجزيرة الخضراء.[11]

وقد تجددت محاولة «لإحياء الماكينة» أيام السلطان المولى عبد الحفيظ الذي عوض أخاه المولى عبد العزيز على العرش، وهكذا نسمع عن اتفاقية بتاريخ 10 جمادى الثانية 1328 = 19 يونيه 1910 وقعها عن المملكة المغربية وزير المالية الحاج محمد المقري وعن إيطاليا السنيور سيزار نيراسيني (Cesar Nerassini).[12]

لكن الدسائس الخارجية لم تلبث أن طغت على المجهودات وانتهت بالمملكة إلى الإذعان لقبول اتفاقية الحماية الفرنسية بتاريخ 30 مارس 1912.

☆ ☆ ☆

ولقد اهتمت المصادر الإيطالية بالمذكّرات المتبادلة بين النائب السلطاني بطنجة محمد الخطيب وبين القنصل الإيطالي السنيور ج. مالموسي (G. Malmusi)، حيث نجد مذكرةً من النائب بتاريخ 12 رجب 1273 = 9 مارس 1857 وأُخرى من القنصل بتاريخ 10 . مايه 1857 (16 رمضان 1273) ثم جواباً من النائب الخطيب بتاريخ 16 مايه 1857...

---

10) د. التازي : الطلبة المغاربة في إيطاليا، (ندوة الدراسات الإيطالية العربية في سبوليطو بتاريخ 9 ـ 12 ـ اكتوبر 1977).

11) Le Tourneau, Fez p. 167

12) Pactos p. 117

وحتى أثناء حركة العناصر الوطنية من أجل توحيد مملكة إيطاليا في عهد الملك فيكتور إيمانييل، نجد أن طنجة ما انفكت تحتضن قنصلية (الصاردو) بتاريخ 14 محرم 1277 = 1 غشت 1860 في نفس السنة التي تمكنت فيها تلك العناصر من غزو مملكة الصقليتين وأكبر جزء من الدّولة البابوية واحتلال رومة واسترجاع البندقية....

وهكذا نجد خطاباً بالتاريخ المذكور من مندوب فرنسا بطنجة، الذي كان يتولى النيابة عن (الصاردو) في الشؤون التجارية، وقد أورد صاحب الإتحاف نصها على مابه من عوجٍ فاق الحد...[13]

وبالرّغم من الظروف التي حاقت بالمغرب في أعقاب انتزاع فرنسا للجزائر من يد تركيا عام 1830م فقد استمر المغرب حريصاً على أن لايقرأ على ملامحه الحدثُ الذي أخذ يقضّ مضجعه..!

وهكذا وجدناه أيضا بالنسبة لمملكة الصقليتين الصغرى والكبرى : أي صقلية وناپولي يبرم معاهدةً بجبل طارق بتاريخ 19 صفر 1250 = 25 يونيه 1834 تحتوي على ثمانية شروطٍ ناب عن المغرب فيها القنصل يودي بن عليل.

وقد تضمن الشرط الثاني من هذه الشروط - ما يدل على أن الأُسطول المغربي ما يزال مُهاب الجانب في البحار... ويلخّص هذا الشرط هكذا : إنه إذا صادف مركب حربيٌّ مغربيٌّ مركباً تجارياً لمملكة سيسيليا، وأراد أن يطّلع على أوراقه فإن رئيسه يعين رجلين لهذا الغرض... وتعامل المراكب التجارية المغربية بالمثل...

كما أن الشرط الثالث يذكر أنه إذا تكسر مركبٌ لأحد الجانبين واحتاج إلى إصلاح فإنه يصلح بالثمن المعلوم...[14]

☆ ☆ ☆

13) الإتحاف 3 ر 539.

14) ابن زيدان : الإتحاف 5 ر 214 - 217.

وقد كان لمملكة الصقليتين قنصلية بطنجة كان على رأسها السنيور دومارتينو (De Martino) الذي قبلته الأطراف المعنية : المغرب واسبانيا للتوسط من أجل الوصول إلى اتفاقية 26 شعبان 1260 = 10 شتنبر 1844 التي أبرمت بطنجة بين الدولتين المذكورتين...

ولعل مما يترجم جيداً على الصلات التي ربطت المغرب بالصقليتين الرسالة التي بعث بها فردينـاند الثاني للسلطان المولى عبد الرحمن يخبره فيها بالأفراح المقامة بمناسبة زواج بنت عمه بنجل ملك فرنسا وكانت الرسالة تحمل تاريخ 25 نونبر 1844 = 14 ذي القعدة 1260...

علاقات المغرب بحاضرة الفاتيكان

منذ احتلال فرنسا للجزائر عام 1830 ظهر شكل آخر للعلاقات مع المسيحية في بلادنا...[15]

ويتحدث المهتمون بهذا الموضوع عن نشاط راهبين إسبانيين : الأب خوصي ليرتشوندي (El Padre Jose Lerchundi) 1836 = 1896 والأب مانويل كاستيانوس 1843 = 1909 (Le Padre Manuel Castellanos).

لقد أخذ الأول على عاتقه علاوةً على مهمته «تقديم برنامج إصلاحي»...

أما الثاني فقد انكب على دراسة تاريخ المغرب ونشر عنه تأليفاً عام 1898 (Historia de Marruecos) وهو الذي ينعته الناصري بالقشتيلي...

وقد عثر في دار الأسقفية بطنجة على جملةٍ من الرسائل المتبادلة[16] بين الراهب خوصي ليرتشوندي وبين بعض المغاربة الأمر الذي يؤكد عن الدور الذي كان يضطلع به...

---

15) Guillaumme Matringe : Chretiente et Islam au Maroc du XVIe Siecle R.H.D. 1965

16) عبد العزيز التمسماني خلوق : أرشيف البعثة الكاثوليكية بطنجة (المجموعة الثالثة) (مجلة دار النيابة) العددان 15 ـ 16 صيف خريف 1987.

وان الحدث البارز في العلاقات بين المملكة المغربية وبين حاضرة الفاتيكان هو الذي عرفته أيام السلطان المولى الحسن الذي سجل التاريخ عنه مبادرةً كانت الأولى من نوعها في تاريخ المملكة المغربية.

لقد كان العالم الكاثوليكي على موعد أواخر سنة 1887 مع العيد الكهنوتي الذي أُقيم للبابا ليون الثالث عشر (Joachim Picci) البالغ من العمر 77 سنة وذلك بمناسبة مرور عشر سنوات على جلوسه على كرسي البابوية، فمن كل القارات الخمس بعثت سائر الدول بسفرائها لتقديم التهاني والهدايا : النمسا ـ بلجيكا ـ اسبانيا ـ فرنسا ـ أنجلترا ـ أمبراطور ألمانيا ـ ملوك هولاندا ورومانيا وكذا حكام كانادا ـ والولايات المتحدة وأستراليا، وعدد من دول أمريكا الجنوبية.

هذا إلى مبعوثين خاصين وردوا يحملون رسائل خطية من قيصر الروسيا وأمبراطور اليابان وملك اليونان.

ولم تتأخر الدول الإسلامية عن هذه المجاملة ولذلك وجدنا مبعوثاً لشاه إيران، وسلطان القسطنطينية العظمى وخديوي مصر...

وهكذا ففي يوم 12 يبراير أبحر المركب : قشتالة (Castilla) يحمل على متنه السفارة المغربية برئاسة النائب السلطاني الحاج محمد الطريس[17] الذي كان يرافقه الكاتبان : الحاج أحمد طايطاي ومحمد بن عبد الخالق، والملحقان : الفقيه أحمد الكردودي ومحمد البخاري وثلاة من الأعوان....

وقد صحب السفارة الراهب خوصي ليرتشوندي (J. Lerchundi) الذي كان معززاً بالأب ضومينكو كَارسيا (D. Garcia).

وهكذا ففي 25 يبراير توجهوا إلى حاضرة الفاتيكان على متن عربة السفارة الإسبانية محفوفين بالحراسة الشرفية التابعة للبابا...

---

17) كان من المقرر أن يكون على رأس السفارة القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي على ما يؤخذ من الرسالة التي بعث بها العاهل إلى النائب الطريس بتاريخ 4 ربيع الثاني 1305 = 20 دجنبر 1887 لكن عادة تلازمه كانت السبب في اعتذاره لدى العاهل : كان يتشجأ بين الفترة والأُخرى !
ـ التحفة السنية للحضرة الحسنية لأبي العباس أحمد بن محمد الكردودي (مطبوعات القصر الملكي 1383 = 1963) ص 101 ـ 102 // وثائق تطوان رقم مح 2/66 ـ المكناسي، ـ الكوش : الوثائق المغربية : تطوان ص 36. J. Caillé : Relation du Maroc Avec le Saint Siege, Hesp 1969

وقد استقبلوا عند الزوال من طرف ليون الثالث عشر في احتفال كبير حضره جمهور من الأعيان والنبلاء الرومان كان من بينهم الأميران : كولونا وأوزيني كما حضره سائر السفراء والمبعوثين...

ولقد ألقى الحاج محمد الطريس بين يدي البابا خطاباً جاء فيه على الخصوص : «لقد بعثني صاحب الجلالة نصره الله لأزفّ إليك التهاني بمناسبة مرور خمسين عاماً[18] على تقلدكم المنصب السامي مشاركاً في ذلك سائر الذين هنأوكم من آسيا وأمريكا ومختلف جهات العالم، إن صاحب الجلالة أمد الله في حياته يعتزم الحفاظ على صلات الود التي تجمعه بكم لأنه يعلم عن تشبثكم بالعدالة... وقد زودنا العاهل أعز الله أمره بخطاب مكتوب إليكم كتعبير عما يكنه لمقامكم وما ينتظره للعلاقات التي تجمع المغرب بكم...».

وبعد أن قام الأب ليرتشوندي (Lerchundi) بالترجمة قدم السفير المغربي الرسالة الملكية للبابا...

وبعد أن تسلم البابا هذه الرسالة أجاب السفير المغربي بخطاب جاء فيه على الخصوص ما يلي :

«ليست هذه المرة الأولى التي تتجدد فيها الصلات بيننا وبين إفريقيا ونحن حريصون دائماً على دعمها وتقويتها... إننا نريد أن نجدد للجلالة الشريفة نفس المتمنيات التي كان سلفنا كَريكَوار السابع أعرب عنها للناصر[19] ملك المغرب

18) يلاحظ أن البابا ليون الثالث عشر من مواليد 1810 وأنه ارتقى على كرسي البابوية في 20 يبراير عام 1878 حيث كان له من العمر 68 سنة والذكرى المذكورة كانت 1888 أي بعد مرور 10 سنوات فقط على جلوسه، ولهذا فقد وقع سهو لمحرري الكتاب الحسني فتناقلته المصادر المغربية من غير تمحيص ! - ابن زيدان : الإتحاف 2 ص 366-367. عبد الكبير الفاسي : جريدة العلم المغربية 27-1-1957.

19) القصد إلى الناصر الحمادي الذي كتب لكريكوار بتاريخ 1076 يطلب إليه أن يرسل أسقفا لعاصمته الجديدة بجاية ويخبره بصنيعه الجميل إزاء الأسرى المسيحيين، الأمر الذي أجابه عنه كريكوار السابع برسالة يدعو له فيها بأن يوفقه الله.

de mas latries – Jaques Caille : Sur Les Relations du Maroc avec le saint-siége.

– Hesp – Tamuda 1969 p. 87 Bote 28

التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 5 ص 189 1407-1987.

أسس العلاقات الدولية في الإسلام، ندوة أكاديمية المملكة المغربية 28 رجب 1408 = 17 مارس 1988، بالرباط، كلية الحقوق...

الذي كان عرض عليه صداقته، وإننا ندعو الله من خالص قلوبنـا أن يزيـد في سعـادة ورفـاه المغرب وملكه العظِيم..».

وقبل أن يودع السفير سلمت إليه رسالة خطية ليرفعها إلى العاهل المغربي مع طائفةٍ من الهدايا التي لم تعرف ماهيتها...

وفي يوم 9 مارس قامت السفـارة بـأخذ طريقهـا إلى نـابولي حيث أبحروا على متن المركب (قشتـالـة) في اتجـاه المملكـة المغربيـة حيث قـام السفير الطريس بالسفر إلى مكناس وقدم للعاهل تقريره عن هذه المهمة.

وقـد أثـارت هـذه السفـارة الأُولى من نـوعهـا ردود فعـلٍ مختلفـةٍ في شتى الأَوساط السياسية، وهكذا وجدنا الصحافة الإسبانية تعتبر هذه المبادرة الحسنية «شجاعة» تستحق الإعجاب والإكابر، كما تحـدث عنهـا المؤرخون الأَجـانب فيمـا بعد على أنها مبادرة خارقة للعادة على حد تعبير لوبيز (Lopez) بينما قال الأَب كاسطيلانوس (Castellanos) : انـه حـدث يتجـاوز كثيراً إحـداث التـاريخ السيـاسي والديني للملوك المغاربة».

وقد تساءل المعلقون عن الأَهـداف التي كـان يتوخـاهـا العـاهل المغربي من إرسِال مثل هذه البعثة إلى حاضرة الفاتيكان، ولم يستبعد فيرُّو الذي ظل مشغولاً بهـذه «الـزيـارة» أن يكـون من جملـة دوافـع السلطـان إلى القيـام بهـذه المبـادرة منافسته لسلطان القسطنطينية الذي ـ كما علمنا ـ بعث وفداً للتهنئة على نحو ما فعلتـه إيران ومصر... **إن العـاهـل المغربي حسبمـا يفهم من غضـون الرسـالـة التي بعث بهـا إلى البـاب، يعتبر الممثـل** الشرعي الـوحيـد للعـالم الإسلامي لـدى **المرجـع الأَكبر للعـالم المسيحي !!**



علاقات المغرب باليونان

ويحتفظ الأَرشيف المغربي بعدد من الوثائق التي تمس علاقتنـا بـاليونـان وبخاصة في عهد السلطان مولاي الحسن...

وهكذا نجد خطاباً من الحاجب موسى بن أحمد إلى الأمين الطريس بالدار البيضاء حول سكنى القنصل اليوناني وهو بتاريخ 23 شوال 1293 = 11 ـ 11 1876، وهو محفوظ تحت رقم مح 37/34 في مكتبة تطوان...

وتوجد رسالة أخرى بتاريخ 26 ذي القعدة 1293 = 13 ـ 12 ـ 1876 مرفوعة من الحاجب موسى بن أحمد إلى الأمين الطريس حول تفويت أرض للمخزن إلى القنصل اليوناني وصدور الأمر المولوي بحيازة الأرض المذكورة...

وقد كان القنصل المقصود مقيماً في الدار البيضاء تحت اسم فلاصوبولوس (S. Vlassopoulos) من سنة 1875 إلى 1889 حسبما تفيده رسالة وصلتني من وزارة الخارجية اليونانية بتاريخ 13 دجنبر 1977 جواباً عن استطلاعي حول الموضوع بمناسبة مقامي في أثينا صيف 1977.

ومع أن القنصلية اليونانية لم تكن من الأهمية بحيث تضاهي أهمية القنصليات الأروبية الأخرى فقد سجلنا عدداً من المواطنين المغاربة يحصلون على «الحماية القنصلية اليونانية» على ما يفيده تقييد حول المحميين الموجودين بالدار البيضاء وهو يحمل تاريخ فاتح رجب 1297 = 9 يونيه 1880.



أثينة في رسم مُهْدى من الرئيس تساطسوس..

العلاقات بين المغرب وبلجيكا وهولاندا والنمسا والدانمارك والسويد والنرويج

- الاتفاقية المغربية البلجيكية 1278 = 1862.
- الملك الحسن الأول يبعث بسفارته إلى الملك ليوبولد الثاني.
- سفارة بلجيكية في مكناس 1888.
- مشاريع بلجيكا في المغرب...
- الاتفاقية المغربية الهولاندية 1274 = 1858.
- تصلب الموقف في النمسا بعد النزول الفرنسي بالجزائر !
- الاتفاقية المغربية الدانماركية بالإعفاء من الإتاوات...
- الاتفاقية المغربية السويدية 1845 = 1261.
- النرويج عندما كان متحداً مع السويد...

علاقات المملكة المغربية ببلجيكا...

كانت أول صلة رسمية للمملكة البلجيكية بالمملكة المغربية ترجع لسنة 1838 ولما يمض على جلوس ليوبولد الأول على العرش سوى بضع سنوات حيث نجد العاهل البلجيكي، باقتراحٍ من قنصل بلجيكا لدى داي الجزائر يسعى إلى الاتصال بالمغرب أيام السلطان المولى عبد الرحمن سنة 1254 = 1838، وهكذا فتحت قنصلية بطنجة تولاها السيد ليون فان لار (Léon Van Lare) وكانت القنصلية تهدف لربط صلاتٍ تجارية ومحاولة الدخول للسوق المغربية...

لكن العلاقات إنما زكت سنة 1845 عندما تعين القنصل العام إرنيست دالوان (Ermest Dalwin) الذي اعتمد لدى السلطان مولاي عبد الرحمن... والذي لم يلبث وقد تربع سيدي محمد بن عبد الرحمن على العرش أن وصل إلى إبرام معاهدة للتجارة والملاحة بتاريخ 2 رجب 1278 = 4 يناير 1862 وقد وقعها بطنجة عن المملكة المغربية الحاج عبد الرحمن بن محمد العاجي كما وقعها عن مملكة بلجيكا القنصل المذكور وهذا نصها :[1]

بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

للجانب المولوي سلطان مراكشة وفاس والجانب المولوي سلطان أبلجك حيث مرادمهما في عقد شروط المحبة على أن يكونوا التجار الجانبين (كذا) مقبولين ملحوظين محترمين في الإيالتين جعلوا نوابهم المفوضين يعني الجانب المولوي سلطان مراكشة وفاس عين خديمه الأرضى الحاج عبد الرحمن العاجي والجانب المولوي سلطان أبلجك عين الكباليير إرنسط دالوان قونصو جينرال في إيالة مراكشة وفي بلد أفريكة، بعد ما أظهر كل واحد منهما ما بيدهما من التفويض، اتفقا ما سيذكر :

---

1) أريد أن أشكر هنا زميلي السفير فان دوكيركوف (Van de Kerckove) السفير البلجيكي في بغداد سنة 1972 الذي زودني بصورة لهذه المعاهدة.

بسم الله — ولا حول ولا قوة إلا بالله

للجانب المولوي سلطان مراكشة وفاس والجانب المولوي سلطان البلجيك حيث
مرادهما في عقد شروط المحبة على أن يكون تجار الجانبين مقبولين بالحقوق محترمين
في الإيالتين جعلوا نوابهم الموفقين يعني الجانب المولوي سلطان مراكشة وفاس
عن خديمه الأرضى الحاج عبد الرحمن العاجي والجانب المولوي سلطان البلجيك عن
الكبالير إرنيست دالوان قونصو وخنيرال في إيالة مراكشة وفي بلاد فيكلد بعدما
أكمل كل واحد منهما ما بيده من التفويض اتفقا على ما سيذكر

الشرط الأول

يكون الصلح والمهادنة بين إيالة ورعية سلطان مراكشة وفاس وبين إيالة ورعية
سلطان البلجيك على الدوام

الشرط الثاني

النواب والقنصوات والرعيات من سلطان مراكشة وفاس وتجارهم ومراكبهم يكون لهم
جميع المنفعة في إيالة سلطان البلجيك التي كانت أو تكون لأجناس المحبين وكذلك النواب
والقنصوات والرعيات من سلطان البلجيك وتجارهم ومراكبهم يكون لهم جميع المنفعة في
إيالة سلطان مراكشة وفاس التي كانت أو تكون لأجناس المحبين

الشرط الثالث

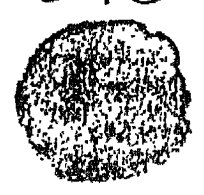
هذه الشروط المنعقدة يطبع عليها إن شاء الله في مدة قصيرة من الجانبين

وختم النائبان المذكوران بخط يدهما وطابعهما بثغر طنجة المحروسة بالله في يوم
4 من رجب الفرد الحرام عام 1278 الموافق لتاريخ المسيح في 4 من شهر ينير سنة 1862



Ernest Daluin

خديم المقام العالي بالله الحاج عبد الرحمن بن محمد العاجي وفقه الله



(الشرط الأول)

يكون الصلح والمهادنة بين إيالة ورعية سلطان مراكشة وفاس وبين إيالة ورعية سلطان أبلجك على الدوام.

(الشرط الثاني)

النواب والقنصوات والرعيات من سلطان مراكشة وفاس وتجارتهم ومراكبهم يكون لهم جميع المنفعة في إيالة سلطان أبلجك الذي كانت أو تكون للأجناس المحبّين، وكذلك النواب والقنصوات والرعيات من سلطان أبلجك وتجارتهم ومراكبهم يكونوا لهم جميع المنفعة في إيالة سلطان مراكشة وفاس الذي كانت أو تكون لأجناس المحببين.

(الشرط الثالث)

هذا الشروط المنعقدة يطبع عليهم إن شاء الله في مدة قريبة من الجانبين، وختموا النائبين المذكورين بخط يدهما وطابعهما بثغر طنجة المحروسة بالله في يوم 2 من رجب الفرد الحرام عام 1278 الموافق لتاريخ المسيح في يوم 4 من شهر يناير سنة 1862.

☆ ☆ ☆

وقد أصبح إيرنيست دالوان (Ernest Daluin) منذ دجنبر 1858 قنصلاً عاماً على سائر الساحل المغربي...

ومنذ أن وقعت معاهدة الصداقة بين المغرب وبلجيكا أصبح الطرفان يتعاونان في مختلف المجالات وأمست زيارة القنصل العام للعاهل المغربي عادةً تقليدية لاطلاع العاهل على الأحوال الجارية...

ولما توفي الملك ليوبولد الأول وخلفه ابنه ليوبولد الثاني ورد القنصل على مدينة الرباط لرفع تحية العاهل الجديد وحينئذ جرى استقبال رسمي للقنصل إيرنيست دالوان صادف استعداد العاهل سيدي محمد للخروج لصلاة الجمعة يوم ثالث رجب 1281 = 2 دجنبر 1864.(2)

---

2) A : Duchesne : Léopol de II et le Maroc, Brusel 1965 p. 10 Note. 8



صورة الاستقبال للسفير البلجيكي من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان يوم الجمعة 3 رجب 1281 = 2 دجنبر 1864.

وتبين من خلال الوثائق المغربية أن بلادنا اشترت من بلجيكا على عهد ليوبولد الثاني مؤنة حربية ومواد دفاعية الأمر الذي تكشف عنه رسالة مخزنية بتاريخ 20 رمضان 1282 = 6 يبراير 1866 كانت عبارةً عن أمر ملكي بإهداء خنجر رفيع لرئيس المعمل المكلف بالسهر على إنجاز المعدّات المقتناة من بلجيكا...

ولكن الأدلّ أكثر من هذا على التواصل الذي كان بين البلاط المغربي والبلاط البلجيكي هو تبادل الأخبار العائلية بين الطرفين، وهكذا نجد ملك بلجيكا ليوبولد الثاني يخبر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بازدياد مولود عند أخيه الأمر الذي دعا العاهل المغربي لإرسال خطاب تهنئة بهذا الحدث السعيد، وهي بادرة تعبر عن مدى الاتصال الشديد بين الملكين.(3)

3) نشرت صورة هذه الرسالة في جريدة (لوبّينيون) المغربية 23 ـ 10 1968 بمناسبة زيارة الملك بودوان للمملكة المغربية مع الملكة فابيولا عدد 23 اكتوبر 1968، نقلاً عن «التاريخ الدبلوماسي للمغرب»...

وعندما تربّع العاهل الجديد السلطان مولاي الحسن على كرسيّ الحكم بعد وفاة والده سيدي محمد بن عبد الرحمان كان عليه أن يحتفظ بتلك العلاقات الطيبة التي ربطت بين المملكة المغربية ومملكة بلجيكا... وهكذا فقد ظل القنصل العام دالْوان (E. Dalwin) في طنجة يباشر مهامه كالسابق وظلّ القناصلة المساعدون في المدن الأُخرى أيضاً يقومون بأعمالهم أيضاً على نحو ما رأينا في نائب القنصل البلجيكي في مدينة الجديدة فليكس ديكوان (Fléix Desguin).

وانه بفضل مساعي الوزير البلجيكي المعتمد دالوان اقتنع السلطان المولى الحسن بأن يبعث بالسفير الزبدي إلى المملكة البلجيكية عام 1293 = 1876 بعد أن كانت النية متجهة إلى الاقتصار على إرسالها لباريز ولندرة وروما...[4]

وهكذا وجدنا الحاج محمد الزبدي على رأس سفارةٍ كبيرة مصحوباً بثلاثة عشر عضواً. توزعهم الوثائق البلجيكية على أربعة عناصر : المدنيون والعسكريون ثم المساعدون وبعدهم الملحقون...

وقد قصدت السفارة من باريز إلى بلجيكا يوم الإثنين 3 جمادى الثانية 1293 = 26 يونيه 1876[5] على متن القطار أو «بابور البر» على حد تعبير ادريس الجعايدي سكرتير السفارة الذي سجل الرحلة في مذكراتٍ حملت عنوان : «إتحاف الأخيار بغرائب الأَخبار».[6]

وهنا في بروكسيل أَقامت البعثة في فندق موجيل (Meugelle) واجتمعت يوم الأَربعاء 5 جمادى = 28 يونيه بوزير الشؤون الخارجية.

---

4) توصلت شاكراً من سعادة السفير البلجيكي بالرباط : Luc Putman بملف شامل عن المراسلات والتعليمات وهي تتحدث عن أهمية العلاقات التجارية بين المغرب وبلجيكا وتشير إلى أن تطور هذه العلاقات نتج عنه إبرام اتفاقية في هذا الميدان بين البلدين...

5) يراجع النص في الإتحاف، المجلد الثاني (ص 290 - 291) وننبه هنا إلى الخطإ الذي ورد عندما ترجم شهر جوان إلى يوليوز والصواب يونيه.

6) ابن زيدان : الإتحاف، ج 2، ص 291/290، ويراجع ما أسلفناه عن هذه السفارة في العلاقات المغربية الفرنسية.

ولما كان الوقت المعيَّن انعقدت حفلة رسمية في قصر بروكسيل وقابل جلالة الملك السفير المغربي بمزيد اعتبار واعتناء وإجلال ثم ألقى السفير خطبته أمام الملك.

وصباح يوم الإثنين 10 جمادى الثانية = 3 يوليه غادرت السفارة بروكسيل على متن القطار في اتجاه مدينة لييج[7] (Liège) مروراً بعدة مدن وفي يوم الجمعة 14 جمادى الثانية = 7 يوليه تناولت السفارة طعام العشاء بقصر رئيس الدولة...

☆ ☆ ☆

وفي أعقاب هذا الاتصال ظهر للملك ليوبولد الثاني أن يفاتح العاهل المغربي حول مشروع أشار عليه به بعض خواصه وكبرائه، ويتعلق الأمر بالحصول على «موضع قدم» بالساحل المغربي - على مقربة من وادي شبيكة - من أجل أن يكون مكان استراحة يربط بلجيكا بالكونغو !![8]

وقد كان من الأحداث البارزة في العلاقات المغربية البلجيكية السفارة الهامة التي وردت على مكناس بقيادة البارون إدوارد ويثنال (E. Whethnal) بقصد تنشيط الحركة التجارية البلجيكية وبهدف عرض بعض المشاريع على العاهل المغربي وبخاصةٍ مشروع إنشاء السكة الحديدية والخطوط التلغرافية...

وقد تم الاستقبال بالعاصمة الإسماعيلية يوم 21 يناير 1888 حيث نجد لوحة فنية رائعة لهذا المشهد الجميل بريشة الرسام البلجيكي موريس رومبيرج (M. Romberg) الذي صحب السفارة، وتحتفظ قاعة الخزانة العامة بالرباط بهذه اللوحة الجميلة....

وقد كانت هذه مناسبة عرض فيها السفير البلجيكي على العاهل المغربي السلطان المولى الحسن إنشاء خط حديدي بين طنجة وفاس...[9]

---

7) يلاحظ أن الوثائق البلجيكية تتضمن التعليمات التي راحت إلى والي لييج حول ما ينبغي القيام به لاستقبال السفير المغربي...

8) يذكر أن ليوبولد الثاني قبل أن يفكر في الكونغو كان يفكر ليس فقط في الفيلبّين والصين وفورموزة، ولكنه كان يفكر أيضاً في المغرب !!

9) الاستقصا 9، 162 - التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2، 170.

وجواباً على سفارة البارون ويثنال بعث السلطان سنة 1890 إلى ليوبولد الثاني سفارة هامة برئاسة أحمد بن المؤذن السرغيني على ما تكشف عنه الوثائق المغربية والبلجيكية كذلك...

وقد كان مما سأل عنه الملك ليوبولد الثاني موضوع إنشاء السكة الحديدية، فأكد له السفير السرغيني ما كان قاله الملك الحسن من أن الأسبقية ستعطى لبلجيكا عندما يتقرر ذلك ! وفي موازاة هذا فإن مشروع البحث عن «موضع قدم» على الساحل المغربي كان ما يزال يغري البلجيك.!.

وبوفاة السلطان المولى الحسن الأول (2 ذي الحجة 1311 = 7 يونيه 1894) وجلوس ابنه السلطان المولى عبد العزيز على كرسي الحكم حصلت شركة بلجيكية بتاريخ 27 غشت 1895 على رخصةٍ بإنشاء مستودع للفحم الحجري لفترةٍ تمتدُّ ثلاثين سنة....

وقد تجدد الإعراب عن «الأماني» البلجيكية في الجنوب المغربي على عهد السلطان المولى عبد العزيز بواسطة ليفي أ.كوهن (Levy A. Cohen)...[10]

وقد شهدت سنة 1897 حدثاً من الأحداث النادرة التي شهدتها المملكة المغربية... ويتعلق الأمر بالزيارة «السياحية» الخاصة التي قام بها متنكراً[11] العاهل البلجيكي ليوبولد الثاني إلى المملكة المغربية...

لقد غادر ليوبولد مدينة أوسطاند (Ostente) يوم 11 شتنبر 1897 يرافقه الكمندان راوول سنوي (Raoul Snoy) الذي ينبغي أن يرجع إلى مذكراته الهامة في الحديث عن هذه الزيارة...

وقد كان مما لاحظه ليوبولد الثاني أنه من الممكن أن ينشأ في الصويرة ميناء رائع عن طريق حاجز أو حاجزين للماء يزيد في امتداد الأرصفة التي توجد في أطراف المدينة..

10) إسرائيلي ولد بطنجة من أبوين من الصويرة، ثم تجنس إنجليزيا، تاجر محامي، درس بأنجلترا، كان يمثل الجمعية اليهودية الإنجليزية... مراسل لعدد من الشخصيات والصحف، أصبح مديراً لجريدة (يقظة المغرب) (Le Réveil du Maroc).

11) نعرف أن الحكومة المغربية كانت على علم تام بهذه الزيارة لكنها تركت للعاهل البلجيكي حرية التحرك متنكراً وفق رغبته.

وقد اهتم الملاحظون بالأهداف المتوخّاة من زيارة الملك البلجيكي للمغرب، وهل إن له دلالات سياسية، ومع ذلك فإن هناك افتراضات أُخرى تؤكد أن الهدف كان دائماً محاولة تحقيق المشروع البلجيكي بإنشاء (ساناطوريوم) أي الحصول على «موضع قدم» يكون بمثابة استراحةٍ بالنسبة للقاصدين والعائدين من الكونغو...[12]

وقد شاهدنا أن الملك البلجيكي ليوبولد الثاني يعهد بمهمةٍ في الأسابيع الأخيرة من عام 1901 لكل من كَريمار (Grimard) والدكتور طاكوان (Tacquin)... وقد عين ضابطان بلجيكيان لينضما إلى البعثة : الأول هوبير جولي (Hubert Jolly) والثاني هنري دونيس (Henri Denis) هذا إلى تعيين الكونت بويسيري (A. de Buisseret) على رأس البعثة الدبلوماسية...

وبعد أن تمت الاتصالات... أشعرت الحكومة المغربية الحكومة البلجيكية بأن العاهل مستعد لتسلُّم أوراق اعتماد السفارة الجديدة.[13]

وقد جرى الاستقبال الأول في القصر الملكي بمحضر عددٍ من الجند حيث قدم السفير البلجيكي أوراق اعتماده للعاهل... وقام بإلقاء خطابٍ مقتضب باللغة الفرنسية قام بتعريبه سيرويس (Serruys).

وقد تبعت هذا الاستقبال جلسات ودية خاصة بين السلطان والمبعوث البلجيكي تلقى في إحداها الهدايا المقدمة إليه من ملك بلجيكا، وقد وقف على هذه الهدايا في ساحة الحديقة الملكية وقد كان من الهدايا المقدمة مدافع من صنع بلجيكي...

---

12) A. Duchesne : Léopolde II et le Maroc 1885-1906 p. 124 Note 26.

13) Comte de buisseret : à la cour de Fès Bruxelle 1907

Le Tourneau : Fez Avant le protectorat, p. 167.



الصورة أُخذت في متحف البطحاء بفاس وذلك بمناسبة مقدم السفير البلجيكي الكونت دوبويسيري (De Buisseret) الذي دخل لفاس يوم 3 مايه 1904... هكذا هبت على السفارة موائد الطعام في قصر البطحاء التي كانت تجري فيه الاتصالات وقد جرت العادة أن تقدم ألوان الطعام في طواجين من خزف مبرنق يعلوها غطاء محكم يحمي حرارتها بينما يقدم الكسكس والبسطيلة وأنواع الحلوى في صحون أوسع وداخل أطباق تحكمها أغطية مخروطة جميلة صنعت من الحلفاء...

العلاقات المغربية مع البلاد الواطئة

وحسب السجل التاريخي لأهمّ الأحداث الدبلوماسية الذي نشرته الخارجية المغربية[14] نجد نصّ اتفاقيةٍ بين ملك المغرب السلطان المولى عبد الرحمن وبين ملك هولاندا حول دعم التجارة والملاحة التي توجد قديماً بين البلدين، وقد وقعها عن هولاندا القنصل البريطاني دريمون هي وعن المغرب السيد محمد الخطيب، وهي على التحديد بتاريخ 4 شوال 1274 = 18 مايه 1858.[15]

وأخيراً فقد وجدنا (بنك هولاندا) بجانب المغرب في المحنة التي كان يعاني منها في بداية القرن العشرين.[16]

علاقات المغرب بالنّمسا

تظلّ انتكاسة الأسطول المغربي مرتبطةً بتاريخ الحادث الذي وقع في أعقاب متابعة مراكب بعض الدول التي لم تف بالتزاماتها للمملكة المغربية والتي كان منها النمسا...[17]

وقد تسبب ذلك الحادث في الغارة الهوْجاء التي قامت بها البحرية النمساوية ضد العرائش على عهد السلطان مولاي عبد الرحمن يوم 3 ذي القعدة 1245 = 20 أبريل 1830 على ما عرفناه في المقدمة وفصّلناه في المجلد التاسع...[18]

---

14) Chronologie des principaux fais de L'histoire diplomatique du Maroc depuis le XVI[me] Siecle.

15) Ibn Azzuz : Pactos. p. 51.

16) François Charles – Roux et Caillé : Missions Diplomatique Francaise à Fez. Hesp 1954 p. 319 – 320 – 321.

17) الاستقصا 9، 24 Jacques Caille : le Dernier Exploit des Coraio Res du Bour Regreg. Hesp 1950 3e-4e TRI. P. 429/437 محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية ص 263/262، التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب 2، ص 207/203.

18) التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2 ص 174.

جانب من المعاهدة المغربية النمساوية عن وثائق الخزانة الحسنية

وعلى نحو ما أسلفناه فإن لطرْقِ فرنسا أبواب الجزائر أثراً على الضغط الممارس ضد المغرب، وهكذا صادق المخزن على مشروع الاتفاقية بين الطرفين بتاريخ 10 جمادى الأُولى 1246 = 18 اكتوبر 1830 بل وَرَضَخ لتجميد أسطوله الذي ظل أسطورة البحار !!

ولم يكن في وسع المغرب ـ بعد احتلال الجزائر ـ إلا أن يقبل أيضاً التعديل الذي طرأ على الشرط الثامن من الشروط الاثني عشرة للمعاهدة المغربية النمساوية، وكان هذا التعديل بتاريخ 4 رجب الفرد 1246 = 19 ـ 12 ـ 1830.

☆ ☆ ☆

وقد استمرت العلاقات عادية بين النمسا والمغرب، وهذه صورة لرسالة حررت أيام السلطان مولاي الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بتاريخ 13 محرم 1303 = 22 اكتوبر 1885 صادرة عن إذن نائب القنصل العام لدولة النّبريال بإيالة مراكش إلى نائب السلطان السيد الحاج محمد الطريس تستنجد فيها القنصلية بالمملكة المغربية حتى تسعف مركباً نمساوياً

بستين طنـــاً من الفحم الحجري من (البـــابـور الحسني)، وكـــان المركب النمساوي في طريقه إلى أمريكا...

ولمـا كـان المغرب طلب في بداية عهـد السلطـان المـولى عبـد العـزيـز بن الحسن من النمسـا كشفاً بـالقـوانين العسكريـة الجاري بهـا العمـل في النمسـا ـ هنغـاريـا، فقـد زودت البعثـة النمسـاويـة الهنغـاريـة الـوزيـر الأول «بـاحمـاد» بتلـك القوانين الثمانيـة حسبمـا تـدل عليـه الرسـالـة المؤرخـة في 26 محرم 1313 = 20 يوليه 1895.[19]

وتتحـدث بعض المصـادر عن وجـود بعثـة نمسـاويـة بـالربـاط في يبراير عـام 1902 = قعدة 1319 ـ بقيادة كرينيفيل (CRENNEVILLE)...

رحالة تشيكي يكتب عن المغرب
أواخر القرن التاسع عشر...

كـانت تشيكوسلوڤـاكيـا (بـوهيميـا القـديمـة) من الـدول التي استمرت مهتمـةً بـالمملكـة المغربيـة وهكـذا وجـدنـا في هـذه الفترة من التـاريخ رحـالـة تشكوسلـوڤـاكيـا جـديـداً يحمـل اسم فراز (FRAZ) يقـوم بـزيـارة المغرب على عهـد السلطـــان المـولى الحسن الأول حيث حرر عن المغرب مـــذكرات طبعت سنـــة 1897 وأثـارت انتبـاه عـدد من الأروبيين الـذين أخـذوا يتقـاطرون على المغرب، وقـد كـان فيمـا تحـدث عنـه (فراز) تخصيص حـديث عن البضـائع التي تـوسق إلى المغرب من تشيكـوسلـوڤـاكيـا عنـدمـا كـانت هـذه تـابعـة للنمسا ـ هنغاريا : الكريستال الطرابيش...

وقد كان ممـا كشف النقـاب عنـه كـذلـك الأستـاذ كورنيـك حـديثـاً عن طبيب تـابع للبحريـة التشيكيـة زار المغرب على عهـد السلطـان المولى عبـد العزيز، ويتعلق الأمر بـالـدكتـور كتيبـور بيـزديـك (G. Bezdek) الـذي حكى عن الحيـاة على ظهر بـاخرة حربيـة نمسـاويـة تحمـل على ظهرهـا سفيراً إلى الربـاط لتقديم التهاني إلى السلطان المولى عبد العزيز.[1]

☆ ☆ ☆

وأخيراً نشير إلى الرسـالـة التي وردت على السلطـان المـولى عبـد العـزيـز من بلغراد بتـاريـخ 2 اكتـوبر 1900، وهي تخبر العـاهـل المغربي بـزواج أمبراطـور سيربي (Serbie) : مـان أوغسطس (Man August)، وهذه الرسالة محفوظة بالمكتبة الوطنية بتطوان تحت رقم مح 60/63.

1) Jan Korinek : L'Histoire des Relations Tchécoslovaques avec le Maroc., INTER, Dr Tazi p. 27

19) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2 ص 174.

العلاقات المغربية الدانماركية

وقد ظلت الدانمارك تؤدي التزاماتها إلى المغرب حسب مقتضيات الفصل التاسع عشر من الاتفاقية الثنائية 28 صفر 1181 = 25 يوليه 1767 حتى دولة السلطان المولى عبد الرحمن.

وهكذا ففي أثناء الحروب التي دارت رحاها بين السويد وبين الدّانمارك بعثت ملكة الدانمارك برسولٍ إلى السلطان المولى عبد الرحمٰن يتوسل إليه لتخفيف الإتاوة المفروضة على الدانمارك بمقتضى الاتفاقية المشار إليها.

وقد سجل الوزير ابن ادريس مقدم هذه السفارة الذي كان يصادف طرق فرنسا لأبواب الجزائر !! وكان مما اعتذر به السفير الدانماركي أن السويد تغلب على ثلث مملكتهم واستولى على بيت مالهم، قال ابن ادريس :

وأتى رسول الدّانمارك إثره ... متطلّباً للفضل والإنعام[20]
راجٍ أمانكم وجلُّ مرامه ... تخفيفُ بعض ضريبةِ الأعوام !
أبدى لكم من عُذره عن جنسِه ... غُلْبُ العدوّ له مع الأعوام...

وقد استمر نظام أداء الإتاوات من طرف الدول الأُروبية إلى حين انتزاع فرنسا صيف 1830 لأرض الجزائر من يد الأتراك، فبعد هذا التاريخ فقط تقدمت الدانمارك من جديد تتبعها بعض الدول الأُروبية لتطلب من العاهل المغربي إسقاط الفصل الخاص بتقديم الواجب السنوي للمملكة المغربية، وإلى تاريخ 9 ربيع الأول 1250 = 16 يوليه 1834 نجد

20) يعني إثر سفير أنجلترا المستر (هي : HAY الذي استقبله العاهل مولاي عبد الرحمن بمراكش يوم 17 دجنبر 1829. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 262.

الوثائق تدل على أن الدانمارك والسويد كانا ما يزالان يؤديان واجباتهما للمغرب..[21] بل إلى سنة 1257 وسنة 1259...

ولم يكن المغرب ليذعن لمطالبة الدول الأُوروبية بإسقاط الأتاوات المفروضة لولا نكسة إيسلي التي كانت نتيجةً لدفاع المغرب عن الجزائر المحتلة،[22] على ما نعرف... تلك النكسة التي نالت من إبائه وقوته، وهكذا أخذت الدول تتهافت لاستغلال الموقف للمطالبة بإسقاط ماترتب عليها، كل منها بوسيلته الخاصة، وما كان يسع المغرب إلا أن يقبل حفاظاً على ما يمكن الحفاظ عليه..!

وهذه الرسالة بتاريخ 10 مايه 1844 = 21 ربيع الثاني 1260.

وفي أعقاب التدخلات المستمرة توصل إلى اتفاق في صالح الدانمارك، وهذا ما تكشف عنه وثيقة محررة بالعرائش بتاريخ 27 ربيع الأول 1261 = 5 أبريل 1845، وقد بعث العاهل المغربي إلى ملك الدانمارك كريستيان الثامن حول الموضوع بتاريخ 27 ربيع الأول 1261 = 16 أبريل 1845.[23]

وقد صادق ملك الدانمارك كريستيان الثامن في كوبنهاكَن بتاريخ 17 يونيه 1845 = 11 جمادى الثانية 1261 على «الفصال» الاتفاق المعقود بين قنصله العام بطنجة كارسطينسن (Carstensen) وبين نائب العاهل المغربي الفقيه بوسلهام بن علي أزطوط...

وهذا الفصال المتفق عليه قد قضي وطبع بالعرائش في 5 من شهر أبريل من سنة التاريخ المسيحي 1845 ويوم ذلك موافق ليوم 27 من شهر الله ربيع الأول عام 1261 من الهجرة ومضمنه التنازل عن مقتضيات البند التاسع، عشر من المعاهدة المغربية الدانماركية السابقة....

---

21) الإتحاف 5، 223 - 224 تاريخ تطوان للشيخ داود 3، ص 289 - 290 - 291 - الاستقصا 9، 53 - 54.

22) Caille : L'abolution des Tributs Verses au Maroc Par La Suede et le Danu Mark, Hesp 1958 p. 203/238.

23) المصدر السابق.

علاقات المملكة المغربية
مع السويد والنرويج

وعلى نحو ماقلناه في العلاقات المغربية الدانماركية فإنه بمجرد احتلال فرنسا للجزائر أخذت الدول الأوروبية تشعر بأن الوقت مناسب جداً لمطالبة المغرب بإسقاط الإتاوات عنها سيما مع المضايقات الفرنسية المتوالية...

وهكذا نجد اتفاقية العرائش بتاريخ خامس أبريل 1845 (23 ربيع الأول 1261) وهي تعترف بإلغاء الوجيبة السنوية عن السويد...

وتوجد صورة الاتفاقية الخاصة بالموضوع، وقد وقّعها عن الجانب المغربي بوسلهام ابن علي، وعن الجانب السويدي القنصل العام جوهان ماتياس إهْرَانهوف (J. M. Ehrenhoff) الذي استقر في المغرب من سنة 1822 إلى 1854....

وقد وقعت اتفاقية جديدة بين المغرب والسويد بتاريخ 8 رجب 1261 = 13 يوليه 1845... وهي تتعلق بمراجعة المعاهدة السابقة الذكر....

وقد عوض القنصل السابق بقنصل عام يحمل اسم سليم إهرانهوف (Selim Ehrenhoff) الذي استقر في المغرب من سنة 1854 إلى عام 1869، وابتداء من سنة 1869 إلى سنة 1883 كان الذي يمثل مصالح السويد هو البلجيكي إيرنيست دالوان (Ernest D'aluin)، ثم كان القنصل العام فيكتور إلياس كاسيل (Victor Ellas Cassel) الذي استمر بالمغرب من عام 1884 إلى 1892...

ويحتفظ الأرشيف المغربي بعدد من المراسلات التي كانت تتبادل بين الحكومة المغربية وبين القنصلية العامة السويدية التي كانت في الوقت نفسه تتحد مع النرويج...(24)

24) ابتداء من عام 1380م إلى سنة 1814 أصبحت النرويج تابعة للدانمارك بعد أن كانت مستقلة ابتداء من عام 900م ومن سنة 1814 إلى عام 1905 عادت النّرويج متحدة مع السويد، ولكنها من سنة 1905 أمسى لها ملك هو : هاكون السابع (Haakon) ثم أولاف (OLAV) عندئذ أصبحت للمغرب صلات مباشرة مع أوسْلُو عاصمة النرويج...

ومن هذه المراسلات خطاب من السلطان المولى الحسن إلى سلطان السويد والنرويج جواباً على رسالة تزف البشرى للعاهل المغربي بتزوج ابن سلطان السويد، وقد هنّا العاهل المغربي نظيره ملك السويد بهذا القِران منوهاً بالمحبة التي «غرسها الأسلاف فأثمرت بالودّ للأخلاف».(25) والخطاب الملكي يحمل تاريخ 20 محرم 1299 = 12 دجنبر 1881.

وأخيراً نجد رسالة من عبد الخالق بن هيمة للطريس حول ديون السويد وهي تحمل في أرشيف تطوان تاريخ 8 ذي الحجة 1304 = 28 غشت 1887. ثم نجد رسالة من النائب السويدي في طنجة تحمل رقم مح 62/63 بتاريخ 30 نونبر 1905 = 2 شوال 1323 تخبر المملكة المغربية بأن الاتحاد الذي كان بين السويد والنرويج قد حلّ وأصبحت النرويج مستقلة...



25) أفاد السفير السويدي الزميل (يارينك) في بغداد في رسالته الخاصة أن الأمير المقصود الذي تزوج هو كوسطاف الذي أصبح بعد كوسطاف الخامس وقد تزوج بالأميرة فيكتوريا بادن (Victoria of Baden)، تزوجها بتاريخ 20 شتنبر عام 1881 (Karlscule) ومنها ولد عام 1882 ملك السويد الحالي كوسطاف الرابع أدولف...

الحمد لله وحده   نسخة من كتاب [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم   ولا حول ولا قوة إلا بالله

من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره إلى الله أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير
المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين بن أمير المومنين [illegible]

أيد الله تأييده ونصره وزين بالكرامات عصره إلى المحب المحترم الأمير الفخيم
مشيد المفاخر على أوثق المباني سلطان السويد ونرويج [illegible]
أسكار الثاني أما بعد فقد ورد على حضرتنا العالية بالله كتابكم المفصح
عن خالص المحبة صحبة [illegible] المهداة عنكم [illegible] ابنكم العزيز
الفخيم تزوج [illegible] المعظم [illegible]
في بلاد [illegible] من [illegible] لكونه
من أهل المحبة التي عليها أمور الود [illegible] وصالح
الأعمال [illegible]
[illegible] وأنتم من أهل المحبة التي
غرسها الأسلاف ما أثمر بالود للأخلاف [illegible] بالسرور
[illegible] في 20 محرم عام
1299

من السلطان المولى الحسن بن محمد (الحسن الأول) إلى ملك السويد والنرويج (أوصكار الثاني Oscar II) جواباً عن رسالة هذا الأخير الذي يزف البشرى للعاهل المغربي بزواج ابنه... وقد هنأ ملك المغرب نظيره ملك السويد بهذا الحدث السعيد منوهاً بالمحبة التي غرسها الأسلاف فأثمرت بالود للأخلاف.

والرسالة بتاريخ 20 محرم 1299 = 12 دجنبر 1881.

علاقات المغرب بالروسيا القيصرية ودول أمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية

- محاولة إقحام المغرب في الحلف الروسي الأمريكي.
- زيارة الأمير فياز يمكسي للمملكة المغربية...
- تبادل السفارات بين الروسيا والمغرب قبل بسط الحماية.
- الاتفاقية الأمريكية المغربية 1252 = 1836.
- موقف المغرب من الحركة الانفصالية الأمريكية...
- محاولة حلف مغربي أمريكي لضمان الاستقلال المغربي ؟
- القنصلية الأمريكية وحماية المواطنين.
- علاقات المغرب بفنزويلا والبرازيل وبوليفيا وباراگواي والأرجنتين وأروروگوي...
- اتصال المغرب بهايتي - كوبا ؟

العلاقات المغربية الروسية

في أعقاب فشل السفارة التي بعثت بها الرُّوسيا أول جمادى الأُولى 1269 = 10 يبراير 1853 برئاسة الأمير منشيكوف إلى الآستانة لتسوية النزاع الناشب في القدس، على مقربةٍ من حيّ المغاربة، حول أولوية الكاثوليك على الأورثوذوكس[1] في أعقاب ذلك عمل القيصر نيقولا على استمزاج رأي السفير الإنجليزي حول ضرورة اتحاد الدولتين معاً على إضعاف نفوذ فرنسا في الشرق تمهيداً لتجزئة بلاد «الرجل المريض» الذي يُخاف من تشتّت تركته بعد وفاته وقد عرضت الروسيا على أنجلترا مساعدتها حتى تأخذ القطر المصري..! فكان من رأي أنجلترا أن الأولى معالجة ذلك المريض لأنه لو مات لحصلت حروبٌ تُهدر فيها الدّماء أنهاراً عند تقسيم هذه التركة.!!

ومعلومٌ أن ذلك الموقف من أنجلترا لم يكن حُبّاً في تركيا بل خوفاً من امتداد الروسيا في الشرق واحتلالها الآستانة فتشرك أنجلترا في ملك البحر الذي انفردت به..!

وقد أقنع نابوليون الثالث الملكة فيكتوريا بشأن الاتحاد مع الباب العالي حول الموقف بالقدس حتى لا يتنشر نفوذ الروسيا.

وتكونت في خضمّ هذا النزاع «كتلة ثالثة محايدة»، وهنا نسمع أواخر عام 1853، عن وصول كروزا نطولب (Crusentolpe) القنصل العام للسويد بالجزائر والمكلف بقنصلية الروسيا هناك في مهمةٍ لطنجة لمحاولة جس نبض الحكومة المغربية حول انتمائها...

1) محمد فريديك المحامي : تاريخ الدولة العلية ص 262 ـ خوري باسيليوس خرباوي : تاريخ روسيا ج 2 ص 487 وما بعدها... التازي : أوقاف المغاربة في القدس. مطبعة فضالة عام 1981 ص 3.

وقد وجدت محاولتهُ العون من طرف الدبلوماسية الأمريكية التي كانت تبحث للحصول على مساندة المغرب للكتلة المحايدة...

وقد كان هناك مخطط آخر أكثر اتّساعاً، يشغل كاتب الدولة مارسي، ويتعلق الأمر بإقحام المغرب في حلف روسيّ أمريكي، ولقد كان الهدف هذه المرة هو الثغور المحتلّة حيث تعود مليلية إلى الحكومة المغربية بينما تمنع اسبانيا من سبتة إلا عند تخليها عن كوبا ! وبما أن القنصل الأمريكي براون كان يعتبر هذه المجازفة من وحي الوهم فقد أُقصي من وظيفته في بداية عام 1855 ليحل ليحل محله كولينكز[2] (Collings) الذي أدركه أجله قبل أن يباشر المفاوضات حول الموضوع !!

لقد كان موقف المغرب يستجيب دون شك للموقف الموالي للعثمانيين... إن المثقفين في المغرب يحفظون جدا الوصية المنسوبة لبطرس الأكبر (1682 ـ 1725 وخاصة منها البند السابع الذي يقول : إن من يحكم استانبول يمكنه أن يحكم على الدنيا بأسرها، لذلك من اللازم إحداث المحاربات المتتابعة... وامتلاك البحر الأسود شيئاً فشيئاً... والاستيلاء على بحر البلطيق..!»

☆ ☆ ☆

وبعد نحو من ثلاثين سنة على الحرب الروسية التركية قام أحد الأمراء الروس بزيارةٍ للمملكة المغربية، وبالرغم من أن المصادر سواء منها المغربية أو الروسية تذكر أن باعث هذه الزيارة كان سياحياً فإن ما احتفّ بها من ملابسات ومادارفيها من أحاديث بين العاهل المغربي الملك الحسن الأول وبين الأمير الروسي فيازيمسكي أو «ولد سلطان الموسك» كما يسميه الأرشيف المغربي، يجعلنا نميل إلى الاعتقاد بأن الزيارة كان لها فائدة على العلاقات المغربية الروسية...

وقد تمت هذه الزيارة أواخر سنة 1881 على ما تفيده رسالة مرفوعة إلى جلالة الملك من نائبه بطنجة محمد بركاش...

Jean Luis Miége : Le Maroc et la Gerre de Crimée 1854/56 Hesp. T.XL VII 1959 3e/4 TRI M P. 261 (2

وتتحدث مذكرات الأمير عن أن مقامه في عاصمة الجنوب استغرق تسعة أيام زار خلالها معالم المدينة صحبة القائد (ماكلين) وأحد الضباط الفرنسيين كما تتحدث عن سؤال الوزير الكبير له عن مدى الاستعداد العسكري لروسيا، وأن الأمير أجابه بأن في استطاعة بلاده أن تجنّد مليون رجل عند الحاجة ![3]

☆ ☆ ☆

وبين هذا وذاك نجد أن الاهتمام بالمؤسسات الثقافية المغربية ينال قسطه في الدراسات الاستشراقية الروسية حيث نقرأ للأستاذ جوزي كريستوفتيش (J. Krestovitich) أستاذ أكاديمية قازان، مقالا بمجلة (الهلال) المصرية أول يوليه 1893 عن جامعة فاس (القرويين) يقول عنها : إنها أقدم مدرسة كلية في العالم، وإن جيربير الذي أصبح «البابا سيلفيستر» تلقى فيها علومه وإنه أول من أدخل الأرقام العربية إلى أروبا...[4]

☆ ☆ ☆

وقد اقتنعت روسيا أخيراً بفتح مفوضية خاصة بها في طنجة وهكذا بعثت بوزيرها السيد باسيل دوباخيراخط (B. de Bacheracht) الذي وصل مصحوباً بالأمير كَاكَارين يوم الجمعة 13 مايه 1898.

ونرى من الفائدة أن نشير هنا للتقرير الذي رفعه السفير الروسي إلى وزير الخارجية الكونط موارا فيوف ميخائيل نيكولا ييفتش بتاريخ 4 مايه 1898 (16 مايه بالتقويم الجديد).[5]

وما أن استقر المقام بالسفير الروسي بطنجة حتى أخذ يمارس نشاطه في انتظار موعد المقابلة بمراكش، وقد كان في صدر المطالب التي تقدم بها أن تأذن الحكومة المغربية لأمناء مرسى الدار البيضاء بالسماح له بوسق

3) التازي : العلاقات المغربية الروسية، ـ مجلة البحث العلمي ـ مايه ـ دجنبر 1967 ثم عدد يناير أبريل 1975م.
4) عبد الهادي التازي : تاريخ جامعة القرويين، المجلد 1 ص 115 ـ 140.
5) نشكر الأستاذ مكسيم كيكتوف ابن سفير الاتحاد السوفياتي في الرباط (1973) الذي زودنا بترجمة المذكرات...

كمية من الشعير والقمح، وقد كان الطلب على شكل رسالةٍ موجهة منه إلى النائب السلطاني، وكانت تحمل تاريخ 22 غشت 1898 = 14 ربيع الأول 1316، على ما هو محفوظ بأرشيف تطوان.

ولعل من المفيد أن نشير هنا للتقرير الذي رفعه السفير ـ بعد أن صدر له الإذن بالمقابلة الملكية ـ رفعه إلى وزير الخارجية الروسية بتاريخ 17 مارس 1899 ـ 25 مارس (بالتقويم الجديد)...

لقد تمت المقابلة يوم الثلاثاء 11 أبريل حيث قدم السفير أوراق اعتماده بمحضر المجلس الوزاري وحيث جرت أحاديث ودية بين العاهل والسفير، وقد أشارت المحاضر إلى أن العاهل المغربي سأل عن أحوال المسلمين في روسيا....

وبعد عودة السفير إلى طنجة كتب تقريراً إلى بلاده حول المقابلة الملكية وكان بتاريخ 25 أبريل = 28 مايه بالتقويم الجديد...

وهذا ترجمة لجواب السلطان المولى عبد العزيز إلى الأمبراطور :

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

من عبد الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين... ابن السلطان المولى اسماعيل.

(الخاتم الشريف)

أدام الله سعوده، وأبد في مراقي العز صعوده، إلى فخامة الحضرة السامية وقطب دائرة السلطنة القيصرية... جلالة المحب نكلاص الثاني... ملك جميع الروسية والموسكو وكييف...

وبعد أن تذكر الرسالة عدداً من الأقاليم والولايات تقول :

فقد وصلنا كتابكم الرائق... بأن المقصود من سفارتكم هذه إلى جانب حضرتنا هو تأكيد دعائم المحبة الودادية بين الدولتين، وتأسيسها لدى

الجهتين، واختياركم لتحملها وإبلاغها مستشاركم وحاجبكم المنيسطر والكبَلّيربزيل بش رخط مؤملاً بها من جنابنا الشريف مقابلته بلائق المبرة والاعتبار وتصديقه فيما يبلغه عن جنابكم الرفيع الآثار، وخصوصاً في إثبات مالكم من المحبة الصادقة في جانبنا ورجائكم دوام اقتران السعد لملكنا وبدو النجاح ونمو الخيرات لما فيه منافعنا، أما اهتمامكم بتأكيد المحبة بين الجانبين فذلك مصداق ما نسمعه عنكم منذ أزمان، وبرهان ما يتحدث به من سيركم ومآثركم الحسان... وأما سفيركم المنيسطرو المذكور... فقد تلاقى مع جنابنا الشريف على مقتضى ما تؤملونه من وتلقينا منه ما بلغه عن جنابكم من مقاصد الحب فصدقناه في ذلك وحل منا محلّ الاعتبار...

وحرر بحضرتنا الشريفة المراكشية في 11 الحجة الحرام عام 1316

☆ ☆ ☆

ويتأكد أن المغرب ـ وقد أقلقه تسرب الجيوش الفرنسية إلى قصور توات نظّم حملة «استرعاء» لدى الدول الأخرى أملاً في مساعدته، وقد كان من بين تلك الدول، روسيا التي كان المغرب يعلق أمله على تدخلها باعتبارها صديقة لفرنسا، وقد تلقت مذكرة مغربية بتاريخ 20 صفر 1318 = 19 مايو 1900 تتضمن شرح حقّ المغرب في إقليم توات...

لكن جواب الروسيا ـ وهي صديقةٌ كما قلنا لفرنسا ـ كان (26 جمادى الأُولى 1318 = 21 شتنبر 1900) يتضمن أن فرنسا لايهمها إلا بسط الأمن وتأمين التجارة..!! ولهذا فلا يمكن إذا للدولة الأمبراطورية إلا الاعتراف بعدالة ما اتخذه جناب والي الجزائر..!!

وتتطور الأُمور بالمغرب وتطرح قضية الإصلاحات التي شعر المخزن بضرورة إدخالها في المملكة، وتأتي مع هذه الرغبة، منافسات الدول فيما بينها : كلٌّ يريد أن يكون له في هذه الرقعة نصيب !

وقد حدث أن رجحت ذات يوم كفة الإنجليز والألمان فتقرر إرسال سفارة مغربية إلى هاتين الدولتين للاسترشاد بخبرتهما.

وقد هال الدبلوماسية الفرنسية أن تتلقى هذا النبأ فعملت على أن لا تغادر البعثة أروبا حتى تزور فرنسا وصديقتها روسيا...

ولا يهمني في هذا الحديث أن أنصرف إلى النتائج التي حققتها السفارة في زيارتها لباريز كما لا يهمني أن أتعرض كذلك لما حققته لدى زيارتها للروسيا .

ولكن المهمّ عندي أن ألفت النظر لتتبع خطوات السفارة وهي تزور معالم تلك الجهات وذلك من خلال مخطوطةٍ مغربية استأثرت بتفصيل الكلام عن تحركات البعثة المغربية...[6]

☆ ☆ ☆

وقد حصلت بعد ذلك على عددٍ من الوثائق التي تمس هذه السفارة، وفي أبرزها نسخةٌ من الخطاب العزيزي إلى الأمبراطور نيكُولا الثاني، وهو لا يزيد - بعد أن يحلّى نيكولا بأنه ملك لعدد من الأقاليم - على القول بأن العاهل المغربي كان يعتزم منذ عدة أشهر على إشخاص سفارة إلى روسيا لتجديد آثار المحبة... وأنه انتخب من أجل تلك السفارة الوزير النصوح السيد عبد الكريم ابن سليمان معززاً بالخديمين بناصر غنام، ومحمد الجباص...

ويلاحظ أن الرسالة محررة بمراكش بتاريخ متم محرم الحرام 1319 = 19 مايه 1901 الأمر الذي يؤكد أن السفارة تحركت في الشهر الموالي.

وقد عثرت كذلك على نص المذكرة التي رفعتها التشريفات في الساعة الثانية والثلاثين دقيقة ظهر الإثنين 21 يوليه 1901 إلى جلالة القيصر...

---

6) مخطوطة بالخزانة العامة قسم المخطوطات رقم 1463 وهي شرح الحاج المشرفي على بائية أبي المعالي الغالي ابن سليمان.

والطريف في هذه المذكرة أن نجد لائحة بأسماء أعضاء السفارة كاملة وما يتبعها من حاشية : وهكذا نكتشف أنه علاوة على ابن سليمان وغنام والكَباص يوجد شخص رابع معروف في الأرشيف المغربي ويتعلّق الأمر بالطالب السيد محمد الكعّاب الذي سبق له أن درس في أوروبا اللغة وتنعته المذكّرة بالترجمان.(7)

كما تنص المذكرة على الحاج محمد بن شقرون وتنعته بمحاسب المالية، وعلى السيد محمد الفاسي ابن المستشار. هذا إلى أربعة قواد، وبعدهم يذكر السيد ابن داحمان وطباخين وحلاق وخادمين للسفير وخادم واحد لغنام وخادمين للكَبّاص...

وقد حمل الوزير ابن سليمان معه جواب نيكولا الثاني إلى السلطان المولى عبد العزيز، وهو يحمل تاريخ 28 يوليه 1901، وقد جاء فيه على الخصوص أنه استقبل سفارة العاهل المغربي وهي أول بعثة مغربية تصل إلى بلادنا للإعراب عن عواطف المغرب نحو روسيا... وقد كان إرسال السفارة المغربية بالنسبة إلينا سروراً كبيراً. ولقد كان وزير خارجيتكم يتميز بخصال شخصية سامية وهو جدير بالثقة التي وضعتموها فيه فأهنئكم جلالة الملك وأتمنى لكم ملكاً سعيداً وموفقاً...

وبعد أن عادت السفارة إلى طنجة بتاريخ الأحد 25 غشت 1901 كانت محل تقارير من طرف الممثلين الأجانب، وفي صدرهم القنصل الروسي الجديد بطنجة السيد س.كانشين (S. Kanchin) الذي كتب إلى الدوك فلادمير نيكولا ييفيتش...

وبتاريخ 20 شتنبر 1901 نجد رسالة من القنصل كانشين إلى الدوك فاليريان سيركيوبس يخبر بأن الوزير ابن سليمان أرسل إليه بخطاب رسمي يعرب فيه عن تجديد الشكر وخاصة بعد أن اجتمع بجلالة الملك...

---

7) وقفت على وثيقة يحتفظ بها حفيده الحاج محمد الكعّاب تفيد أن السفارة كانت تنزل في فندق يحمل اسم الروسيا وقد كنت استفدت من وثيقة سابقة من حفيدته الأستاذة مارية، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2 ص 217.

علاقات المملكة المغربية بالولايات المتحدة الأمريكية
الاتفاقية الأمريكية المغربية الجديدة
بمكناس عام 1252 = 1836

لقد كان على معاهدة مراكش أن تنتهي عام 1837 ولهذا فقد توصل القنصل الأمريكي جيمس ليب بتعليماتٍ بتاريخ 10 غشت 1835 من أجل الشروع في المفاوضات لعقد اتفاق جديد بين المغرب وأمريكا، ووجهت في نفس الوقت هدايا من الولايات المتحدة، وقد عهد إلى القنصل المذكور أن يسعى للحصول على ضمانات أكثر نفعاً كلما أمكنه ذلك، كما طلب إليه أن يبذل قصارى جهده لكي يكون أمد الاتفاقية الجديدة نصف قرن على نحو سابقتها وأن يحصل فوق كل هذا وذاك على إضافة بند يقتضي استمرار الاتفاقية أي أن تتجدد من نفسها تلقائياً مادام أحد الطرفين لم يتقدم بطلب تعديلها أو إلغائها، قبل نفاذها بسنة على الأقل...

ولنكتف بذكر الفقرة الأولى الخاصة بالتمهيد، والفقرة الأخيرة الخاصة بتمديد الاتفاقية إلى غير أجل...

وهذا نصهما الكامل :

الحمد لله هذه نسخة شروط الصلح التي جعلناها مع الماركانوس وأثبتناها في هذا الدفتر ووضعنا عليها طابعنا الشريف لتبقى مستمرة إن شاء الله وكتبت بحضرة مكناسة الزيتون في ثالث جمادى الأخيرة عام اثنين وخمسين ومائتين وألف.

الشرط الخامس والعشرون :

إن هذا الصلح يبقى مستمراً إن شاء الله بحول الله وقوته مدة من خمسين سنة. ويبقى يجرى بين الدولتين على القانون الجاري حتى يخبر أحد الجانبين الآخر، في مدة من سنة، بأن مراده قطعه، فحينئذ ينقطع بعد تمام تلك السنة».

وبالإضافة إلى تجديد الاتفاقية الثنائية، نجد طائفة من القضايا الجارية التي كانت موضع مراسلات بين الحكومة المغربية والدولة الأمريكية كان فيها ما يتعلق بالهدايا المتبادلة وباعتماد السفراء ومشاكلهم وما أكثرها ! - وفيها ما يعالج بعض المشاكل الداخلية.

موقف الكَونكَريس الأمريكي من السباع المغربية..!

في إطار التقاليد الجارية، تلقّى العاهل المغربي هدية من الرئيس الأمريكي أندروجاكسون (Andren Jackson)، وكتعبيرٍ عن شكره على مبادرة الرئيس، قام السلطان المولى عبد الرحمن في بحر سنة 1250 = 1834 بإرسال طائفة من التحف المغربية، كان من بينها فَرَسان وأسد كبير، غير أن القادة الأمريكان لم يكونوا يتوقعون هديةً مثل هذه وخاصة «سلطان الوحوش» ' إن وصول الأسد إلى أمريكا يكلفهم دولاراً في اليوم ! وهذا ما لم تكن الخزينة الأمريكية تتحمله آنذاك ! وقد قامت ضجة بالكَونكَريس حول المشكل، هل ترد الولايات المتحدة الهدية إلى مهديها ؟ أم تتحمل هذه المصاريف الباهضة ؟ وأخيراً استطاع الرئيس الأمريكي أن يقنع الكَونكَريس بضرورة الموافقة على قبولها حتى لا يغضوا العاهل المعربي ! وهكذا وبعد مراسلات وبرقيات كتبوا للقنصل العام الجديد جيمس ليب (Jaims Leib) بأنه يمكنه أن يرسل الهدية..![1]

---

1) وقفت على ملفٍ ضخم حول هذا الموضوع في الأرشيف الوطني بواشنطن... وقد كان مما أقنع الرئيس الأمريكي به أعضاء الكَونكَريس أن فترة المعاهدة المغربية الأمريكية السابقة على وشك أن ينتهي أمدها... وليس من السياسة أن ترفض هدية المغرب في هذه الظروف التي تقل فيها الولايات المتحدة على طلب تجديد المعاهدة...

Leib to Secretary of State Nov. 7 / 1833/163/ March 1 / 1834 / 82.

July 27 / 1834 / 190 / 191. August. 4, 1834 Nov. 35 Apnl 26/1836.

Luella J. Hall : The United States And Morocco 1776/1956. 1971 T. 1 P. 122/145

وتمشياً مع فكرة التقارب الملحوظة نشاهد الدبلوماسية الأمريكية تقوم بمساعي لدى السلطان المولى عبد الرحمن من أجل حمل المغرب على الانضمام إلى «الكتلة المحايدة»، إزاء حرب القِرم بين روسيا من جهة وبين

بسم الله الرحمن الرحيم   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

بعد تقبيل حاشية بساط سيدنا الامام الله نصره وخلد في الصالحات
ملكه إنه وصلنا الكتابان الشريفان وفهمنا مضمنهما
وأعلم سيدنا أنه بلغتنا بقية المال الواجب على جنس دنمرك
على يد القونصو [illegible] جملة ما انعت بيدنا
وأدخلناه بيت المال وذلك خمسين ألف ريال
ثم اذ هي لديه علم سيدنا أن قونص جنس المريكان حمل
من رئيسه لسيدنا بعض الهدية المنعم بها سيدنا عليه
وهي لك أسد وفرسين وحيث وجه لسيدنا الكتاب الشريف
يتضمن تسريحها وجب علينا الاعلام بذلك
والخير على الخدمة الشريفة وفي 20 ربيع الاول
عام 1250

خديم سيدنا المنصور بالله

[illegible] وفقه الله بمنه [illegible]

رسالة القائد عبد الخالق أشعاش عامل تطوان للسلطان المولى عبد الرحمان في موضوع : الأسد المهدى من السلطان للرئيس الأمريكي أندرو جاكسون.

تركيا وحلفائها من جهة أخرى على ما قلناه في العلاقات المغربية الروسية والتركية[8]

☆ ☆ ☆

وقد حدث في بحر سنة 1271 = 1855 أن نفذ حكم بالإعدام في حق مجرم من وهران أصلاً، كان يقيم بطنجة تحت حماية فرنسية، فقتل مواطناً فرنسياً، وحينما تدخل العامل للمحافظة على الأمن قام القاتل المذكور بالاعتداء على حياة أحد رجال الشرطة المغربية، الأمر الذي قدّم بسببه للمحكمة التي أصدرت أمراً بإعدامه قصاصاً، وهنا طالبت فرنسا بتعويضٍ مالي مرهق.! ولما استعصى إقناع الفرنسيين بحق المغرب لجأ السلطان المولى عبد الرحمن إلى توسيط الأمريكان في الحادثة برسالة رسمية وجّهها العاهل إلى الرئيس الأمريكي فرانكلين بييرس بتاريخ 3 شعبان 1271 = 21 أبريل 1855...[9]

وقد آثرنا الإشارة إليها لما تتضمنه من حقائق :

«... أما بعد فاعلم أن عمنا أمير المؤمنين مولانا سليمان رحمه الله كان إذا وقع بينه وبين أحد القناصل بطنجة شيء كان ينوب عنه قونصو الماركان وذلك لما يعلمه من وقوفكم على الحق ولا تريدون الضرورة لأحد من عباد الله، والمحبة التي كانت بينكم وبين هذه الإيالة السعيدة لازلنا عليها كما كان الأسلاف.. وبعد أن تذكر الرسالة قصة القاتل تضيف : «والآن ها نحن جعلناكم واسطة في الكلام بيننا وبين دولة الفرانصيص في هذه الدعوى لتعرفوهم بالأمر على حقيقته لأنكم دولة مستقيمة واقفة على الطريق لاتحبون الضرر لأحد...»

8) تتحدث اللوائح الأمريكية عن طوماس هارت هيات (T. Hart Hiatt) الذي قام بالأعمال قبل براوان.

Jean Luis Miege : Le Maroc et La Gerre de Crimee 185/1856 Hesp. 1959 p. 261

9) وقفتً على نص هذه الرسالة في الأرشيف الوطني بواشنطن وهي من الوثائق التي اهتمّت بها : Talms...

Luella J. Hall : The United States And Morocco 1971. p. 178.

موقف المغرب من حركة الانفصاليين...

لقد اتسمت على العموم مواقف أمريكا إزاء المغرب بالمساندة ومن هنا لا نستغرب موقف المغرب من المحنة التي تعرضت لها الولايات المتحدة الأمريكية والتي كادت تهدد كيانها بالخطر، ونعني بذلك الحروب الانفصالية التي عرفتْها تلك البلاد ردحاً من الزّمان...[10]

«نحن أمام رسالةٍ تحمل تاريخ 27 شعبان 1278 = 27 يبراير 1862 من نائب السلطان محمد بركّاش إلى الوزير الأول لحكومة السلطان مولاي عبد الرحمن يخبره فيها «بشأن الإثنين اللذين قبض عليهما قونصو المركان وهما من الفرقة القائمة على جنسهم...».

ومن خلال المصادر الأمريكية نجد أن السلطات المغربية استجابت لطلب القنصل جيمس دولُونكَ بمتابعة الانفصاليَيْن اللذيْن حطا بطنجة لمحاولة الحصول على مساعداتٍ لسفينةٍ تابعة لهما بجبل طارق !

وقد جاء في رسالة للأمير مولاي العباس للقنصل دولونك De Long بتاريخ 13 دي القعدة 1278 = 14 مايه 1862 «إن ماقمنا به لتعزيز موقف القنصل الأمريكي ليس فقط لأنه واجب وحق من الحقوق ولكن لأن روابط الصداقة والود التي تجمع بين الدولتين منذ أيام أجدادنا تقتضي منا ذلك، نحن نكره أن يتعرض أي واحد على أرضنا للحيف والإهانة وإذا لم يبق إلا استعمال القوة لفرض الاحترام فإننا لن نتأخر عنه !!

---

10) كوّن الطيكساسيون جمهوريةً مستقلةً خاصة بهم منذ 2 مارس 1836 وقد ألحقت الطيكساس بالولايات المتحدة أول مارس 1845 لكنها انضمت عام 1861 لحرب الانشقاق إلى أن اضطرت للعودة للاتحاد عام 1870.

وقـــد ختم الأمير مـولاي العبـــاس رســـالتـــه بقـــولـــه : «أرجــو أن تعربــوا لحكومتكم عن عواطفنـا الطيبـة نحوهـا وتؤكـدوا لهـا أن الصـداقـة القـائمـة بين بلـدينـا ليست فقـط موجودة ولكنهـا بـالنسبـة إلينـا تزداد مع الـزمن قـوةً ودعمـاً، وأبلغوها متمنياتنا في النصر على المتمردين..».

وفي التعليمـات التي زوّد بهـا كـاتب الـدولـة القنصـل الجـديـد جيس مـاكُمَـاث Jesse Mcmath طلب إليـــه أن يبلـغ العـاهـل عـواطف الشعب الأمريكي وحكـومتـه إلى المملكـة المغـربيـة، وأن يـؤكـد لـه أن الشعـور بـالـود متبـادل بين البلـدين منـذ فجر تـاريـخ الـولايـات المتحـدة، وأن أي حـادث عـابر لا يمكنـه أن ينـال من تلـك الصداقة على حدّ تعبير تعليمات كاتب الدولة بتاريخ فاتح يوليه 1862.

وفي يـــوم 22 شـــوال 1279 12 أبريـــل 1863 أكـــد وزير الخـــارجيـــة المغربيـة النـائب بركَـاش للقنصل الأمريكي مـاك مـاث MCMATH بـأن سيـاسـة المغرب تتفـق مع وجهة النظر التي اتخـذهـا الكـونكَريس حـول التـدخـلات الأجنبيـة في الحرب الانفصالية.

وقـد صرح بركَـاش طبقـاً لمـا كتب بـه القنصل مـاك مـاث لـدولتـه في نفس اليـوم 12 أبريـل 1863 بـأن السلطـان يتـأسف كثيراً للحـالـة التي تعـانيهـا أمريكـا من جراء الخـارجين على القـانـون وهـو مقتنـع بـأنـه لـو حصـل نفس الحـال في المغرب، لا سمح اللـه، فـإن أمريكـا والحكـومـات الأخرى سـوف لا تشجـع المروق والتمرد...[11]

Likewise, The Sultan Would Expect, il There Were A Rebellion in His Empire, That The United States And Other Governements Would in no Way Encourage The Insurgents.

وقـد حصـل في هـذه الأثنـاء أن بلغت أخبـار للقنصـل الأمريكي مفـادهـا أن البـاخرة (290) التي عرفت بعـدُ بـاسم (ALABAMA) أخـذت طريـق البحر من أنجلترا للعمـل في صف المتمردين... فـأخطر نـائبـه بمراقبـة أخبـار

11) A Survey of United, States Relations With Morcco. Nov. 1957, Historical Division, Departement of State p. 37 Not 1 Mc Math to Secretary of State. April 12/1863.

Diplomatic Correspendance 1863, Vol II PP. 1220/1221.

الباخرة وأعطاه أمراً بالاتّصال فوراً بالجهات المغربية متى علم أنها أي السفينة تحطّ بالمغرب، وذلك لإلقاء القبض على ضباطها وربابنتها بل وللاستيلاء إذا ما أمكن على السفينة ذاتها...

وتحسُّباً لما يمكن أن يحدث من تأثير محتمل لبعض القناصل الأجانب والتجار المعادين للولايات المتحدة على السلطات المحلية قام القنصل بتحرير مذكرة رسمية بتاريخ 23 أبريل 1863 يطلب فيها منع الرسوّ بموانئ المغرب على أية باخرة تحمل علم «كونفيديرت سطيط».

وقد أعاد القنصل تحرير مذكرةٍ ثانية يثير فيها انتباه النائب بركَاش إلى الأسكندرية - وهي تابعة لدولة تربطها بالمغرب علاقاتٌ دينية - تمنع هي الأُخرى على سائر السفن الثائرة أن تدخل إلى مياهها متمنياً للمغرب أن يجنبه الله التعرض لمثل هذه الحركات الإنفصالية !

وهنا وجدنا أن النائب بركَاش يبعث برسالة تحمل تاريخ الاثنين 15 ذي القعدة 1279 = 4 مايه 1863 إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن مردّداً فيها طلب القنصل الأمريكي فيما يتعلق بمساعدة السفينة المحتمل وصولها إلى الموانئ المغربية... ويردّد بركَاش على الخصوص ماجرى من حديث بينه وبين القنصل الأمريكي :

فسألته : «هل هذا الأمر كائن مع جميع الأجناس ؟ فأجاب أن هذا القانون وُوفق عليه في الأسكندرية، وأن جنس المركان يطلبه ممن له محبّة قديمة معهم...».

وفي اليوم الموالي حرر النائب بركَاش رسالة لاحقة للعاهل المغربي يضمنها نتيجة استشارته مع السلك القنصلي لفرنسا وبريطانيا.

وهنا نجد كتاباً من العاهل إلى نائب في طنجة يحمل تاريخ 29 ذي القعدة 1279 = 18 مايه 1863 يقرر ما أشارتْ به الخطابات السابقة من الاستمرار في السياسة المتبعة...

وجواباً على طلبٍ مماثل قدمه نائب القنصل الأمريكي في آسفي إلى عامل المدينة الطيب بن هيمة الذي رفع مباشرة رسالة للعاهل حول

الموضوع، وجدنا أن السلطان سيدي عبد الرحمن يبعث بتاريخ 30 ربيع الأول 1280 = 14 شتنبر 1863 للنائب بركّاش يخبره برسالة ابن هيمة ويطلب إليه أن يجيبه على ضوء التعليمات.

رسالة السلطان مولاي عبد الرحمان إلى النائب بركّاش حول الولايات المتحدة.

وقد توصّل ماك ماث برسالة مخزنية بتاريخ 9 ربيع الثاني 1280 = 23 شتنبر 1863 تطمئنه بأن الأوامر قد صدرت لباشوات المراسي المغربية بأن لا يعطى أي إذن للإنفصاليين بالرسوّ في السواحل المغربية «إنهم غير معروفين لدينا، ولا يوجد أي قنصل بالمغرب يستطيع أن يجعلهم معروفين عندنا !! وإننا سنظل أوفياء للمعاهدات التي تربط بين بلدينا...

وقد لقى هذا التأييد استحساناً كبيراً من لدن الولايات المتحدة الأمريكية...

ومن الطريف أن نسمع، في إطار تتبع المغرب لهذه الحرب، عن رسالة موجهة بتاريخ 3 ربيع الأول 1281 = 7 غشت 1864 من الحاج سعيد

جسوس قنصل المغرب بجبل طارق إلى الحاجب السلطاني موسى بن أحمد يخبره بورود الخبر - عن طريق التلغراف - بأن الفريقين المتقاتلين بالولايات المتحدة الأمريكية يتفاوضان لإنهاء الحرب الأهلية !

أكثر من هذا أن نقف على تعريب الإعلان الذي يحمل تاريخ الجمعة 23 يونيه 1865 = 28 محرم 1282 والذي يخبر فيه أندرو جكسن ترفع الحظر الذي كان فرضه منذ يوم 19 ويوم 27 أبريل 1861 على بعض المراسي الأمريكية بسبب الحرب الإنفصالية، وقد رفع هذا الإعلان إلى الحكومة المغربية لتأخذ علماً به...».

وعندما بلغت أخبار اغتيال الرئيس ابراهام لينكولن رفع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن إلى الرئيس الأمريكي أندرو جونسن A. Johnson يعزيه بتاريخ متم جمادى الأخيرة 1285 = 17 اكتوبر 1868 .

أما بعد فقد كان بين أسلافنا قدّس الله وبين عظماء جنسكم محبة أوجبت اعتبارها وردها إلى ما كانت عليه وإحياءها ولا شك أن المحبة تقتضي أن يسر الحبيب بما يسر محبه ويكدره مايكدر قلبه، ولذلك تألمنا لما بلغنا ما وقع بالعظيم البريزيضنت ابراهيم لينكون كيف وكان بمكان من العقل والسعي في المصالح بين الناس والتحبب لجميع الأجناس حرصاً على أن يكون الناس ذاتاً واحدةً ونفساً متحدة، ومن هو على هذه الأوصاف المذكورة والمساعي المشكورة حقيق وجدير بأن يتكدر على فقده اهل محبته لكونهم فقدوا رجلاً قليل النظير وغاب عن أعينهم من يستحق الحزن والتأسف عليه من الكبير والصغير، وحق على من عرف سيرته أن يذكره بما كان عليه وينشر ماكان يفعله مع العباد وينسبه إليه ليبقى ذكره مخلداً، لكن من خلف أمثالكم مكانه لم يمت فإن ذلك الجنس العظيم فيه من العقلاء من يحيى مشاعر أسلافهم العظماء وكبارهم القدماء ونحن عرفناكم بما لنا من العناية بجانبكم والتأسف على هذا العظيم الذي ضاع منكم لتعرفوا أن المحبة المؤسسة بين الأسلاف باقية بحالها بل هي في الزيادة لا تزول عن محلها».

هل سعى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن لعقد حلف مع أمريكا لضمان استقلال المغرب ؟

يحتضن الأرشيف الوطني الأمريكي وثيقتين مكتوبتين باللغة الإنجليزية، الأولى عبارة عن تقرير رفعه القنصل الأمريكي بالمغرب فيليكس ماطيوس في صيف سنة 1871، والثانية كانت جواباً من نائب كاتب الدولة داول (Daoil) عن تقرير القنصل المذكور، وكلتا الوثيقتين تدور حول عرض تقدم به العاهل المغربي - حسب رواية ماطيوس - يتعلق بطلب مساعدة الولايات المتحدة من أجل حماية استقلال المغرب...

وقبل أن نسوق ترجمة الوثيقتين نشير إلى أن المغرب أخذ يشعر بأنه مطوق تطويقاً من طرف ثلاث دول أروبية كبرى : اسبانيا التي تحتل جانباً من ترابه وتهدده فيما تبقى ! وفرنسا التي حطت ركابها بشرقه تتربص الفرصة للانقضاض عليه، وأنجلترا التي بعثت في خريف 1835 بالسير Davidson بهدف إنشاء مركز تجاري على ساحل الجنوب المغربي...!

ولو كان سهم واحد لأتقيته ولكنه سهم وثان وثالث !

فهل يسوغ إذن اليأس من هذه القارة للاستنجاد بقارةٍ أخرى ؟! وهل هناك مانعٌ في أن يحصل العاهل المغربي على ضمانةٍ تمكنه من المحافظة على استقلال بلاده ووحدتها من أن تتوزعها تلك الدول الأروبية التي تفوقه استعداداً وتخطيطاً ؟

وهكذا ففي التقرير الذي يحمل رقم 30 وتاريخ 29 يونيه 1871.

يخاطب (ماثيوس) هاميلتون فيش (Hamilton Fish) وزير الخارجية :

...لقد علمت أن هذا الاستقبال الحافل الذي أعد لنا لم ير الناس مثيله من قبل لأية شخصية سياسية أوربية من التي قدمت على فاس لحدّ الآن، وكانت في الواقع مناسبة لرفع الراية الأمريكية لأول مرة بمدينة فاس !

وفي يوم (10 ربيع الأول 1288) 30 مايه 1871 استقبلني جلالة السلطان في احتفال عظيم بقصره «بدار الدبيبغ»، ودامت المقابلة حوالي عشرين دقيقة حيث تبادلنا التنويه بما يربط بلدينا من علاقات وهنا تم الاتفاق على تنظيم مقابلةٍ خاصة، فأريد أن أخبركم بما جرى في هذا القاء رأساً لرأس...

حين دخولي إلى القصر أخذوني إلى ردهة منفردة حيث وجدت السلطان وحده، وبعد أن أذن لي جلالته بالجلوس أخذ يحدثني هكذا : «أنا أعرف أنك تعرف العربية ولذلك فلا حاجة لنا بترجمان كما ولا داعي لحضور شخصيةٍ من الشخصيات الرسمية، وأضاف الملك : «إن احتفاظ مملكته بسلامتها إلى الآن لا يرجع إلى القوة التي يتوفر عليها لمواجهة العدوان الأجنبي، ولكن ذلك يرجع فقط إلى التنافس الموجود بين ثلاث أو أربع دول أروبية كبرى ! وأنه يعرف أن هذه الدول تطمع في مواقع معينة بالمملكة المغربية ولا سيما طنجة التي تشرف على البحر المتوسط والتي تنعم بأهمية استراتيجية بالغة، ولو أن هذه الدول توصلت إلى الاتفاق فيما بينها لاستطاعت أن تتوزع المملكة جميعها أو بعضها ! وأنه قرر أن يلجأ إلى استخدام ما يتوفر عليه من سلاح ضد الأطماع الأروبية وإنه ينتظر منا أن نقوم بدور الحكم أمام هذا الوضع، وأفهمني - يقول ماطيوس - أنه يرحب بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية، فأجبته على هذا النحو : «إن الولايات المتحدة ترغب بكل إخلاص في ازدهار المغرب وتقدمه تحت رعاية جلالتكم، وأنه فيما يتعلق بأمر المساعدة من الواجب عليّ أن أرفع القضية إلى علم الحكومة الأمريكية».

وبعد أن ودعتُ جلالة الملك غادرت مدينة فاس مباشرةً حيث وصلت إلى طنجة وبالطبع فقد حافظت على سرية الموضوع، وان في نيتي أن أعد لكم مذكرةً دقيقة عن بلاد المغرب ومواده الخام وعدد سكانه وعدد موانئه مع المواقع الأخرى ذات الأهمية الستراتيجية،(12) وسأبعثها لكم عن قريب».

12) وقفت في وثائق الأرشيف الوطني بواشنطن على أحد تقارير ماطيوس عن غرب افريقيا وقد طبعه بطنجة عام 1881 في نفس العام الذي انتهت مهمته الأولى بالمغرب...
مجلة البحث العلمي، العدد 31 ذي الحجة 1400 = اكتوبر 1980 : ساحل إفريقيا الغربي : سوس وادي نون، الصحراء...

لقد كانت أمريكا وقتئذ تعيش فترات مشاكلها الداخلية الكبرى في أعقاب الحرب الأهلية، وكانت إلى جانب ذلك تشكو من ضعف أسطولها البحري الذي تضرر نتيجةً لتلك الحروب ولعل هذا هو التفسير الصحيح لما نقرأه في جواب نائب كاتب الدولة الذي كان يحمل رقم 18 وتاريخ 22 غشت 1871.

«وبعد فجواباً على مذكرتكم رقم 30 بتاريخ 29 يونيه 1871 التي تحدثتم فيها عن جلستكم الخاصة مع جلالة ملك المغرب، والتي ظهر لكم - من خلالها - أنه يعرب عن الرغبة في أن تقوم الولايات المتحدة بحماية المغرب نظراً للتحديات المستمرة ضده من طرف الدول الأجنبية، جواباً على ذلك أخبركم بأن الحكومة الأمريكية إذ يؤسفها إقدام الدول المذكورة على محاولة تجزئة المغرب فإنها مستعدة أن تقوم بمساعيها الحميدة لدى هذه الدول حتى لا تقدم على أي عمل من شأنه أن يضر بالتراب الوطني ولكنها في الوقت ذاته تعتذر عن تقديم المساعدة التي طلبها العاهل المغربي».

فهل رفع محضر الجلسة الخاصة بأمانة ؟ أم إن هناك تصرفاً في صياغة العرض ؟ وهل كان السلطان يقصد إلى طلب مساعدةٍ عسكرية من الولايات المتحدة ؟ أم كان يقصد إلى تدخل أمريكا لضمان استقلال المغرب ؟ لكن الشيء الذي لا يمكن أن يخطر على البال هو أن يقصد العاهل إلى استبدال احتلال باحتلال !! فقد علمنا جيّداً عن الغيرة الشديدة للملوك المغاربة إزاء استقلال بلادهم وضمان حريتها، ووحدة ترابها... ويكفي أن نعرف أن باعث حديث سيدي محمد إلى ماطيوس هو الغيرة على ذلك الاستقلال...[13]

وقد كان من المبادرات الدالّة على حسن النية قيام الملك الحسن الأوّل عام 1876 بالاحتفال بذكرى مرور قرن على إنشاء العلاقات المغربية الأمريكية، وإرسال بعثة إلى الولايات المتحدة للتهنئة بالاستقلال

13) د. التازي : وثيقة سرية حول العلاقات المغربية الأمريكية... بحث مقدّم إلى الندوة الدولية حول العلاقات المغربية الأمريكية نورفولك فرجينيا من 13 إلى 15 نونبر 1986.

Le Matin 11 Nov. 1986. Maroc – Soir 14 Nov. 1986. Al Maghrib 16 Nov. 1986.

للولايات، وقد حملت الوفادة المغربية معها من جملة الهدايا المعروضة رسم مجسد للبيت المغربي (ماكيط) وكذلك مجموعة من الصناعات المغربية من أجل عرضها في فيلاديلفيا لعام 1976.[14]

القنصلية الأمريكية وحماية المواطنين...

وقد اتخذ المغرب موقفاً حاسماً من أمر «الحمايات» تجلّى في الرسالة الصارخة التي بعث بها السلطان مولاي الحسن - قبيل انعقاد مؤتمر مدريد إلى نائبه بطنجة الذي نراه يحولها بدوره - في شكل منشور - إلى سائر أعضاء السلك (بتاريخ 26 صفر 1297 = 9 يبراير 1880)، وكان في صدر أولئك القنصل الأمريكي فيليكس ماطيوس، وكانت الرسالة مصحوبة بما يمكن أن نسميه (ورقة إرسال) ضمّنها الطريس تمهيداً ثم خاتمة تذكّر القنصل الأمريكي بالتشريعات التي تسير عليها الدولة العثمانية التي لا تختلف عن المغرب في دينها،[15] وكانت هذه هي الوثيقة الأولى من نوعها التي يذكر فيها الوزير المغربي ببنود المعاهدة المغربية الأمريكية المبرمة عام 1252 = 1836 وبنود المعاهدة المغربية الإسبانية المبرمة عام 1278 = 1861، ويحتج كذلك فيها وزير الخارجية بما تقبله الدول الأخرى مع أمة إسلامية تقع في آسيا الصغرى... غير أن هذه المقارنة آثارت حفيظة القنصل الأمريكي الذي نشاهد ردّ فعله في رسالةٍ لاحقة تحمل تاريخ 12 ربيع الأول 1297 = 11 مارس 1880 وكانت تعتبر تدخّلاً في الشؤون الداخلية للبلاد...

قال القنصل الأمريكي في جملة ما قال باللغة العربية التالية :

...وأما قولك على رعية الترك فغير خافٍ عنك أن الترك عندهم (بْرْلمنط) (Parlement) المسمى بالعربية الديوان وأن جميع الشكاوي التي

---

14) د. التازي : الحسن الأول ملك المغرب والرئيس الأمريكي كليفلاند... الجامعة الصيفية - فضالة (المحمدية) 1987.

15) يعاد إلى الذاكرة أن القنصل الأمريكي سبق له أن ضرب المثل بالأسكندرية في موقفها في حروب الانفصال...

تكون في الرعية تجتمع في الديوان المذكور ويأخذ كل واحد حقه وعندهم جميع الشهادات الواقعة من المسلم واليهودي والنصراني كلها واحدة لا فرق بينهم فيها، ومراكش لا ديوان لها ولا برلمنط عندها... وأنت كنت كتبت لي في آخر مرة بأن (دار الشرع) عندكم لا تقبل إلا شهادة المسلم،[16] فلو كان الحق الذي هو عند الترك يكون عند رعية مراكش لم ينظر أحد حماية ولا يقبلها...».

وكأن المغرب لم تكفه محنته مع الدول الأوروبية التي تتزايد أطماعها فيه، لقد حرّك كل ذلك من أمنيةٍ قديمة للولايات المتحدة الأمريكية داعبتها بعد النزول الفرنسي بالجزائر، أن تجد لها بدورها موضع قدم بجزيرة المعدنوس[17] أو جزيرة تاورة !!

حيث نقرأ من خلال المصادر الأجنبية عن المخطط الأمريكي الذي تحدثت عنه التقارير البريطانية منذ عام 1836 وأعادت الحديث عنه عام 1855...

وهكذا فإلى جانب ما ظهر في جريدة تايمز أوف مورُوكُّو يناير 1888، وقفنا على تقرير وقعه سفير تركيا في واشنطون رفعه إلى بلاده بتاريخ 11 مايه 1888 حول الموضوع.[18]

---

16) في الرسالة لأبي زيد القيرواني : «ولا تجوز شهادة الكافر...».
تدخلي في ندوة الأكاديمية الخاصة بأسس العلاقات الدولية في الإسلام - الرباط 17 مارس 1988.

17) وقفت في بعض الوثائق المخزنية التي ترجع لتاريخ 24 رجب 1308 = 5 مارس 1891 على اسم لجزيرة تحمل اسم قنقوش.. كانت تؤجّر من لدن الحكومة لمن يريدها من الأجانب عن طريق المزايدة (وثائق تطوان س 1279 - مح 9 - 66) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 6 ص 146.

18) محمد المعزوزي جعفر بنعجيبة : سبتة ومليلية... شركة الهلال العربية للطباعة والنشر 1886 ص 198 - Morish Empire. p. 351 جريدة العلم 3 مارس 1975 - جريدة التحدي 2 أبريل - العلم 2 مايه 1986 - التحدي 28 مايه 1986 - 18 يونيه 1986. - خالد بن الصغير : معارضة بريطانيا للسياسة الأمريكية تجاه المغرب... مجلة دار النيابة المغربية، ربيع 1987.

وحسب رسالة من السلطان مولاي الحسن إلى الطريس نائبه في طنجة بتاريخ 13 رجب 1305 = 26 مارس 1888 فإن الحكومة المغربية تفكّر في إرسال سفير مغربي إلى أمريكا وهذا أيضاً ماتفيده رسالة أخرى تحمل تاريخ 22 شوال 1305 = 2 يوليه 1888 حيث نجد العاهل يأمر الطريس بمناسبة سفره إلى مدريد أن يتصل بسفير أنجلترا وأمريكا ويعلمهما بعزم الجناب الشريف على إرسال سفيرين مغربيين إلى دولتهما.[19]

وبعودة فيليكس ماثيوس من جديد إلى القنصلية طرحت قضية ملكية الدار التي تقيم فيها البعثة الأمريكية.

لقد سمعنا كثيرا من القول عن هذه الدار، على ما أسلفنا في المجلد السابق... لكن هذه الوثيقة العدلية التي بين أيدينا وهي بتاريخ 15 شوال 1308 = 24 مايه 1891 - حول هذه الدّار من شأنها أن تضفي الضوء على الحقيقة.

وهذا ما جاء فيها :

الحمد لله بإذن متولي الأحكام المخزنية حينئذ بثغر طنجة الأمجد الباشا الأرشد السيد الحاج محمد بن القائد الأجل المرحوم بمنه وعز وجل السيد عبد الصادق التمسماني بواسطة عونه ومشاوره القائد عبد الملك وحسين وبإذن من يجب سدده الله ورعاه بواسطة عونه سيدي محمد البقالي، يشهد الواضع شكله إثر تاريخه بأن للدولة المركانية وبيدها في حوزها وعلى ملكها وتصرفها جميع زينة[20] الدار بالثغر المذكور الكائنة بحومة بني يدير التي هي الآن على ملك مستر مطيوس مع خرْبتها المجاورة لديار ورثة التاجر الأبر المرحوم بكرم الله السيد محمد فتحا الخطيب، وتحدّ من جهة الخربة المذكورة بدار اليهودي عَرضون ؟ في القديم، وبدار ورثة حمان المدور وتحد أيضا بخزين اليهودي برنطي، يعرف الخزين بالطيطرو وبابها الذي تحت القوس يقابل دار الخطيب أيضا،

---

19) المكناسي - الكوش : وثائق لدراسة تاريخ المغرب ص 40 - 42.

20) الزينة : ما يستحدث من بناء وتجهيز في المكان...

فصلت بينهما الطريق التي يمر بها أهل تلك الحومة، شهرتها كافية، تملك الدولة المذكورة الزينة المذكورة وتتصرف فيها تصرف المالك في ملكه، وتنسبها لنفسها والناس لها كذلك مدة من نحو ثلاثين سنة من غير علم منازع لهم في ذلك ولا معارض طول المدة المذكورة ما بعلمهم باعوها ولا فوّتوها ولا خرجت عن ملكهم بوجهٍ من وجوه الفوت كلها وأسبابه إلى الآن وحتى الآن ممن علم ذلك كله وتحققه بالمطالعة على الأحوال المذكورة، قيده شاهداً به وعلى الواسطين المذكورين بالإذن المذكور وهما بحال كمال الإشهاد وعرفهما بمنتصف شوال عام ثمانية وثلاثمائة.

ويأتي بعد نص الوثيقة إلحاق وتصحيح وتوقيع العدول وعلامة القاضي..[21]

ومن المهم أن نسجل في هذا التاريخ وجود بعض المواطنين المغاربة في الولايات المتحدة الأمريكية، ويتعلق الأمر بالحاج عبد الله بن التهامي البقالي الذي كان يشارك في معرض شيكاغو لعام 1893، على ما يؤكده الجواب الذي أرسل للنائب الأمريكي بتاريخ 26 جمادى الأولى 1310 = 16 دجنبر 1892.[22]



قضية اختطاف بيرد بكاريس عام 1904

وقد حدثت في هذه الأثناء أزمة في العلاقات بين المغرب وأمريكا تعتبر من أول ما دشنه هذا القرن العشرين من حوادث غريبة..!

21) اعتماداً على الحوالات الحبسية لمدينة طنجة التي نشرها وترجم ملخصاتها إيدمون ميشوبيلير (Archives Marocaines. Vol XX III) فإن القاضي كان هو الشريف العلوي الذي ينعت بالفقيه والعلاّمة دون ذكر اسمه الأوّل، وقد عرفنا هذا من المقارنة مع الوثائق العدلية ص 448 - 449 وتتعلق بالقنصل البريطاني (Herbert White) وصفحة 450 - 452 وكلّها مؤرخة عام 1308... والجدير بالذكر أن الوثيقة المتعلقة بتمليك زينة الدار للأمريكان لا توجد في السجل المذكور. كما أنه من المهم التنصيص على أن أمد الشريف العلوي لم يطل في القضاء هناك...

22) أرشيف تطوان تحت رقم 67/55.

وهكـذا ففي يـوم 18 مـايـه 1904 أقـدم الشريف الريسـوني على عمليـة اختطـاف جريئـة، حيث اقتحم بيت بيرديكـاريس الأمريكيـة وأخـذه رفقـة زوج ابنتـه المـواطن الإنجليـزي فـارلي (VARLEY) من ضـواحي طنجـة إلى الريف حيث طلب الـزعيم الريسـوني زهـاء سبعين ألف دولار كفـداء، وقـد قام المنـدوب الأمريكي فور علمـه بالحـادث بالاتّصـال مع زميلـه البريطـاني في طنجـة كـذلـك من أجـل عمـلٍ مشترك كـان يتخلص في وضـع السلطـات المغربية أمام مسؤولياتها..!

وفي هــذه الأثنـــاء طلب كـلّ من الممثـل البريطـــاني والأمريكي إلى فرنسا استعمـال نفوذهـا والتـدخل لـدى السلطـات المغربيـة، وبمـا أن هـذه الأخيرة كـانت حريصـةً على أن لا تسمـح بـالتـدخـل لـدولـة أخرى في المغرب فقـد استجابت حينـاً لإرضـاء طلب الوسـاطـة ! وهكـذا تم إطلاق سراح بيرديكـاريس وصهره فارلي يوم 24 يونيه 1904....



وقـد كـانت الولايـات المتحـدة الـدولـة الـوحيـدة التي سجلت تحفظها قبـل أن تصـادق على اتفـاقـة مـؤتمر الجـزيرة الخضراء وذلـك في عبـاراتٍ مكتـوبـة تتضمن : «أن أمريكـا التي لا تـوجـد لهـا أطمـاع بـالمغرب إنمـا شـاركت في المـؤتمر من أجـل أن تضمن سـائر الـدول حقّهـا في التعـامـل مـع المغرب ومن أجـل المسـاعـدة على إنشـاء إصـلاحـات في البـلاد من شـأنهـا أن تضمن الاطمئنـان والاستقرار...».

وقـد أكـد مجلس الشيوخ الأمريكي هـذه التحفظـات مسجـلاً بـأن المشـاركـة الأمريكيـة في مـؤتمر الجـزيرة وتـوقيـع الاتفـاقيـة كـان لـه هـدف واحـد هـو الحفـاظ على المصالح التجاريـة بـالمغرب وتطـورهـا وتقـويتهـا، وكـذلـك حمـايـة حيـاة وحريـة وأمـلاك المـواطنين الأمريكـان... ولعـلّ هـذا المـوقف هـو الـذي كـان مـوضـوع حـديث البعثـة الأمريكيـة بقيـادة صـامـويـل كَـومّير (Gummere) التي قـامت بزيـارة السلطـان مولاي عبـد العزيـز في مـدينـة فـاس من تـاريـخ 27 شتنبر إلى 26 نونبر 1906...

☆ ☆ ☆

وقد لاحظنا أنه في مذكرةٍ سلمت للولايات المتحدة الأمريكية من طرف فرنسا يوم 3 نونبر 1911 ورد على الخصوص أنها أي فرنسا إذ تخبر أمريكا بالاتفاقية الفرنسية الألمانية التي ستوقع في اليوم الموالي، فإنها تطلب إليها الانضمام إلى الاتفاقية في مقابلة التزام فرنسا بأنها سوف لاتزيد شيئاً على أمريكا فيما يتصل بالدّيوانة... وأنّها ستضمن حقوق الرعايا الأمريكان.

وبتاريخ 15 دجنبر أجاب كاتب الدولة الأمريكي (Knox) الحكومة الفرنسية بأنه نظراً لكون سياسة أمريكا التقليدية تتجلى في عدم التدخل في المسائل ذات الطابع الأُروبي فإنها ستمسك عن إبداء رأي ضد هذا الفريق أو لصالح ذلك الفريق...

وبسبب هذا كانت أمريكا آخر الدول التي اعترفت بالحماية الفرنسية للمغرب التي وقعت بفاس يوم 21 ربيع الثاني 1331 = 30 مارس 1912.

☆ ☆ ☆

العلاقات المغربية بدول أمريكا الوسطى والجنوبية

لم تقتصر علاقات المغرب في القارة الأمريكية على الولايات المتحدة في الشمال ولكنها تجاوزتها أيضا إلى الدول التي تقع سواء في وسط القارة أو جنوبها ممن يتكلم أصحابها باللاتينية...

وهكذا فمن أمريكا الوسطى نجد الحديث عن آثار علاقتنا مع المكسيك (Mexique) وكَواتيمالا (Guatimala) وكوسطاريكا (Costa Rica)...

فهناك رسالة من الوزير الإسباني المفوض فيكَيرا (Figuera) إلى النائب السلطاني بطنجة محمد الطريس تخبر بأن السفير الإسباني كُلّف من لدن الجمهوريتين المكسيك وكَواتيمالا برعاية رعايا الدولتين.

وتذكر الوثيقة في الهامش أن الحكومة المغربية وافقت بتاريخ 28 رمضان 1307 = على قبول قيام اسبانيا بحماية مصالح رعايا

الدولتين، وقد كانت الرسالة تحمل تاريخ 10 رمضان 1307 = أبريل 1890...

ولكن المكسيك لم تلبث أن قامت باعتماد قنصل عام يقوم برعاية المصالح المكسيكية، وقد كان هذا القنصل هو ألبيرطو أ.سلامة (Alberto a Salama) حسبما يستفاد من رسالة رقم مح 110/62 بتاريخ 30 رجب 1317 = 4 دجنبر 1899، وقد كان مما جاء في هذه الوثيقة طلب القنصل بإعفاء عفشه من واجبات الديوانة في انتظار وصول رسائل اعتماده...

وقد سجلنا أن كوسطاريكا كانت من ضمن دول أمريكا الوسطى التي كانت تمنح حمايتها لبعض المواطنين المغاربة...

أما عن دول أمريكا الجنوبية فإننا نلاحظ أن للمغرب علاقاتٍ مع ڤينزويلا (Venezuela) والبرازيل (Bresil) وبوليڤيا (Bolivie) وباراكَواي (Paraguay) والأرجنتين (Argentine) وأوروكَوي (UruguaY).

ففيما يتعلق بفينزويلا وجدنا أن الجمهورية المذكورة تقوم بتعيين «السنيور ليفي أبراهام كَوهن (Levy A. Cohen)» قنصلاً لدولتنا الفخيمة بطنجة لمعرفته بذلك وسمناه بهذا الكتاب، إنا نطلب من الحضرة الشريفة العالية بالله أن تلقاه بالقبول وتعرف به ولاتها ليستعين على كل الأمور والخدمة القانونية... وقيد بكراكاس في 30 يناير 1884... ختم الرئيس إخوان بن مونصون ووزير الأمور البرانية رفايل سبس.

أما عن صلات المغرب بجمهورية البرازيل[23] على عهد السلطان المولى الحسن فسنجد له آثاراً عديدة في الأرشيف المغربي وهكذا فنحن أمام رسالة بتاريخ 22 ذي الحجة 1296 = 3 دجنبر 1879 من القنصل البرازيلي بالدار البيضاء إلى عامل المدينة الطريس حول دين ظل بذمة الهالك الحاج العباس الغازي لكاتب القنصلية الطيب بنيس، طالباً منه العمل على أدائه.

23)لا ننسى ذكر البرازيل منذ عهد السلطان مولاي سليمان في المجلد التاسع.

كما نجد جوابا بتاريخ 8 محرم 1297 = 12 - 1879 من قنصل البرازيل بالدار البيضاء إلى العامل الطريس حول مطالبه بمتخلف بقي في ذمة الهالك حّ العباس الغازي.

ونجد نسخة من رسالة بتاريخ 17 رمضان 1297 = 23 - 8 - 1880 كتبها السيد الهاشمي أجانا إلى القنصل البرازيلي حول إطلاق سراح المزامزي باعتباره الوكيل عليهم، في بعض القضايا..

ويحتفظ الأرشيف المغربي برسالة مرفوعة إلى الحكومة المغربية تخبر بقيام الجمهورية، وهي بتاريخ 11 يناير 1890 = 18 جمادى الأولى 1307 = 11 يناير 1890 وتحمل في وثائق تطوان رقم مح 13/62، ويتعلق الأمر بقنصل هامبورغ دانييل كولاصو (D. Colaço) الذي يخبر المخزن بأنه منذ عام 1861 وهو نائب لدولة (بْرَصِل) والآن تغير الحكم إلى «الجمهور الاتحادي» ويطلب إقرار اعتماده مع النظام الجديد...

وكانت قنصلية البرازيل من ضمن القنصليات التي خول لها أن تمنح الحماية لبعض مساعديها من السماسرة...[24]

أما عن بوليڤيا فإننا نرى من الطريف أن نشير هنا للرسالة التي بعثها وكيل القنصلية العامة لحكومة بوليڤيا من باريز بتاريخ 29 اكتوبر 1861 إلى جلالة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وهو يعيش متاعب التفكير في إرضاء مطالب اسبانيا - بعد حرب تطوان - ومن دون شك فإن الوكيل سيجير دوليب صار (S. De Lebssart) قام بهذه المبادرة عملاً بإشارة الحكومة الوطنية في بوليفيا التي كانت حديث عهدٍ بالتخلص من السيطرة الإسبانية.

إن الدبلوماسي البوليفي يتطوع بتقديم خطة للعمل إلى ملك المغرب ليتغلب على الأزمة : ينبغي تكثير دخل بيت المال بتحسين طرق الجبايات، وتنظيم الجيش على أحدث أُصول الفن العسكري باستعمال

---

24) ابن زيدان : العز والصولة في معالم نظم الدولة، مطبوعات القصر الملكي، 1961 ج 1، ص 317.

س.

Vale até 31 de Dezembro de 1899 فقد يبطل عمله في 31 دجنبر عام

CONSULADO DOS E. U. DO BRAZIL

EM MARROCOS.

PATENTE DE PROTECÇÃO.

O portador Abslam uld Hadj Eltaieb Garnit

residente em Mequinez

e reconhecido como protegido do Brasil

em sua qualidade de (Semsar) agente commercial do Sr Amram Marrache, cidadão brasileiro

Tanger 26 de Junho 1899

O Representante dos E. U. do Brazil

بسخرة الحماية

الحامل عبد السلام ولد الحاج الطيبي غرنيط

القاطن في مكناسة

فهو معروف حماية دولة البرازيل

بوظيفة سمسار للتاجر عمران مراكشي رعية البرازيل

مكتوبة في 26 يونيو سنة 1899

الموافق 17 صفر عام 1317

وكتبه نائب دولة البرازيل

بطاقة تعريف لأحد المحميين من لدن البرازيل، ويتعلق الأمر بالسمسار عبد السلام ولد الحاج الطيبي غرنيط، وهي بتاريخ 17 صفر 1317 = 26 يونيه 1899.

المدافع الجديدة وإحداث السكك الحديدية وطرق العربات بسائر جهات المغرب لتسهيل انتقال الجنود وتنشيط الحركة التجارية، وتأسيس مركز مالي يكون مقوياً للمشاريع الصناعية...

ويتخلص القنصل البوليفي إلى الأزمة المغربية الإسبانية ليقول للعاهل : «إن أول عمل مستعجل هو عقد قرض عام يخصص قسط منه لاسكات اسبانيا بينما يصرف النصيب الآخر منه في الإصلاحات التي تتطلبها الحالة داخل الإيالة المغربية...

وأخيراً يعرض الوكيل المذكور مساعدته على العاهل ويتطوع بأن يكون وكيلَه السري في فرنسا لمفاتحة الدور المالية في الحصول على القرض المشار إليه بأحسن الشروط...

وقد وجدنا اسم باراكَواي أيضاً ضمن الدول التي منحت حمايتها القنصلية لبعض المواطنين المغاربة ومثلها في ذلك أوراكَواي والأرجنتين.[25]

وإلى جانب اتصالات المملكة المغربية بهاته الدول نشير إلى الاتصال بجزيرة هايتي (Haiti)، ونذكر على الخصوص صدى جزيرة كوبا في المملكة المغربية، أواسط خمسينات القرن التاسع عشر أيام السلطان مولاي عبد الرحمن (1853 ـ 56) أثناء حروب القِرم بين تركيا وروسيا !

ويتعلق الأمر بالوفادة التي وردت عن روسيا لجس النبض حول موقف المغرب من تلك الحروب حيث وجدنا أن الولايات المتحدة تسعى لجر المغرب إلى الكتلة «المحايدة»... وحيث قرأنا ـ وهذا هو المقصود ـ عن وجود مخطط أمريكي للضغط على اسبانيا حتى ترجع مليلية إلى المغرب

---

25) لا ننسى أن هناك عدداً من القناصل كانوا يفضلون المقام بجبل طارق ومن هناك كانوا يتصلون بالمواطنين المغاربة، ومن المفيد أن نقف على دليل السلك الدبلوماسي والقنصلي لجبل طارق لنجد لائحة بأسماء ممثلي الدول الأجنبية هناك، وكان منهم اسم عبد السلام بوزيان إلى جانب سفير الأرجنتين والشيلي وكَواتيمالا وكوبا.

بينما تُقصى اسبانيا عن سبتة ولا يسمح لها بالعودة إليها إلا عندما تتخلى عن كوبا ! على ما قلناه في العلاقات المغربية الروسية والأمريكية !!

وفي أثناء التسعينات من القرن التاسع عشر كذلك وجدنا أن المملكة المغربية تتبع تطور الأحوال بجزيرة كوبا في أعقاب الثورة العارمة التي شبت في الجزيرة ضد الإسبان بعد انهيار سوق السكّر سنة 1895 كما أدى إلى تدخل أمريكا لمساعدة الثائرين حيث تمكنت الولايات المتحدة من حكم الجزيرة بعد أن تخلت اسبانيا عن حقوقها هناك بمقتضى اتفاقية 1898.

وقد كان مرد ذلك التتبع إلى أن الخارجية المغربية كانت مهتمةً بما تتعرض له اسبانيا من تحولات...

وقد شاع فعلاً أن اسبانيا تفكر بعد الحرب الأمريكية الإسبانية في التخلص من جزر كناريا، والجلاء عن الثغور المغربية المحتلة.(26)

ومن بين التقارير التي توصلت بها الخارجية المغربية عن الحالة في جزيرة كوبا... تقرير من ست صفحات يتحدث عنه «الأسباب القاطعة للمحبة بين دولة اسبانيا والدولة المريكانية بسبب جزيرة كوبة» يحمل تاريخ 26 ذي القعدة 1315 = 18 أبريل 1898.(27)



---

26) A. Duchesme : Léopold II Et Le Maroc P. 153.

27) محفوظات تطوان تحت رقم مح 185/36.

الاتفاقيات المغربية المتعددة الأطراف

- ☐ سوابق التاريخ الوسيط والتاريخ الحديث...

- ☐ اتفاقية المجلس الصحي الدولي 1256 = 1840.
  أول سطر كتب في تاريخ الإدارة الدولية لطنجة.

- ☐ اتفاقية منار أشقار 1282 = 1865...
  المنار تحت السيادة المغربية.

- ☐ اتفاقية مدريد 1297 = 1888.
  التوجيهات الملكية للبعثة المغربية.

- ☐ اتفاقية الجزيرة الخضراء 1323 = 1906.
  سياسة الباب المفتوح...

الاتفاقيات المغربية المتعددة الأَطراف

قامت المملكة المغربية منذ وقتٍ بعيدٍ بمبادراتٍ تعتبر في نظرنا من المبادرات الرائدة في تاريخ العلاقات الدولية، ويتعلّق الأَمر بإبرام اتفاقيات متعددة الأَطراف تشمل المملكة كما تشمل أكثر من جهةٍ في المجموعة الأَروبية، وهكذا يجوز لنا أن نذكِّر، في هذا الصدد، بالرسالة التي بعث بها ملك المغرب أبو يوسف يعقوب بتاريخ 20 رجب 681 = 24 اكتوبر 1280 إلى ملك فرنسا فيليب الثالث في موضوع الانضمام إلى الحلف الموجود سلفاً بين ألفونس العاشر ملك اسبانيا وبين العاهل المغربي المذكور.(1)

ولابد مع هذا أن نشير إلى المحاولات المشابهة من التي كانت تهدف إلى دعوة طرف ثالث إلى الانضمام إلى اتفاقية مَّا من الاتفاقيات على ما قرأنا عن المعاهدة المغربية الإسبانية بتاريخ 26 جمادى الأُولى 1194 = 30 مايه 1780 التي التحق بها ملك نابولي وصقلية فكانت بذلك اتفاقيةً متعددة الأَطراف...

وإذا ما انتقلنا إلى التاريخ الحديث أي أواسط القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فسنشهد طائفةً عن الاتفاقيات المتعددة الأَطراف... علاوةً على ما قرأنا عنه من عشرات المعاهدات الثنائية...

وهكذا كانت اتفاقية المجلس الصحي الدَّولي 1256 = 1840، واتفاقية منار أشقار 1282 = 1865، واتفاقية مدريد 1297 = 1888، واتفاقية الجزيرة الخضراء 1323 = 1906.

---

1) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 7 ص 190/189.

1) اتفاقية المجلس الصحي 1256 = 1840

فيما يتصل بالمجلس الصحي نرى أن المغرب يوافق على إنشاء هذا المجلس بطنجة في التاريخ المذكور أيام السلطان مولاي عبد الرحمن اعتباراً لدوافع إنسانية تستهدف حماية صحة المواطنين والأجانب المقيمين بالمملكة المغربية...

وقد كان المجلس الصحيّ يتألف من ممثل عن كل مندوبية أجنبية[2] إضافةً إلى اثنى عشر عضواً منتخبين من طرف المشتركين... ويُعتبر هذا المجلس أول سطر كتب في تاريخ الإدارة الدَّولية لطنجة.[3]

وبالرغم من أن المجلس عرف وجوده بمقتضى إذنٍ ملكي إلا أنه ما لبث أن أخذ يحشر بأنفه في بعض القضايا التي أخذت تزعج المواطنين..!

وتحتفظ الوثائق المغربية بعددٍ من الرسائل التي ترفع العقيرة بالشكوى من مضايقات «جماعة السّنيدة» كما تسميها الرسائل المخزنية (خونطة دي سانيداد) وقد كان من هذه الرسائل رسالة للسلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمن لنائبه بركّاش بتاريخ 17 ربيع الثاني 1232 = 6 شتنبر 1865 وكانت الرسالة الملكية تعتمد على شكوى تحمل نفس التاريخ من ادريس السراج عامل فاس الذي وقّع معه اثنا عشر نفراً من كبار تجار العاصمة...[4]

وقد تجدّد تدخل السلطان المذكور بتاريخ 24 ربيع الثاني 1282 = 16 شتنبر 1865 في أعقاب ما أخبر به القنصل المغربي بجبل طارق الحاج سعيد جسوس،[5] وكان موقف السلطان مولاي الحسن من «السانيدة» نفس

---

2) كان فيهم البرتغال والسويد والنرويج والدانمارك وأنجلترا والبندقية وهولاندا وإسبانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وسردينية...

3) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 159.

4) مجلة الوثائق المغربية، عدد 4، سنة 1977، ص 333/332.

5) الإتحاف 5 ر 153 (Nehlil : Corresp N° XV III).

الموقف على ما نقرأه في رسالة منه بتاريخ 12 رمضان 1295 = 1878/9/9 ورسالة بتاريخ 24 شوال 1295 = 20 اكتوبر 1878.[6]

غير أن العاهل المغربي - وقد أحس بتحسنٍ في الموقف الأجنبي - عاد ليعترف بالسلطة المخولة لهذه المؤسسة التي تعمل - «نيابةً عن الجناب العالي» - حسبما نقرأه في ظهيره بتاريخ 7 ربيع الأول 1296 = 3 مارس 1879.

ومن هنا نرى أن الرسائل تتكرر حول «السانيدة» على ما هو محفوظ في وثائق تطوان التي نجد فيها بعض محاضر «مجمع العافية» أما التقارير الأجنبية فهي طافحة بأخبار هذه «الخونطة...»[7]

2) اتفاقية منار أشقار 1282 = 1865

وفيما يتصل بالاتفاقية المتعلقة بمنار أشقار نذكر أن ممثلي الدول الأجنبية عقدوا لهم اجتماعاً بطنجة لدراسة القيام بتشييد منار في رأس أشقار (Cape Spartel) لتسهيل حركة الملاحة في أعقاب الاتفاقية التجارية المغربية الإسبانية المبرمة عام 1278 = 1861 التي يقضي البند الثالث والأربعون منها بإنشاء المنار المذكور.[8]

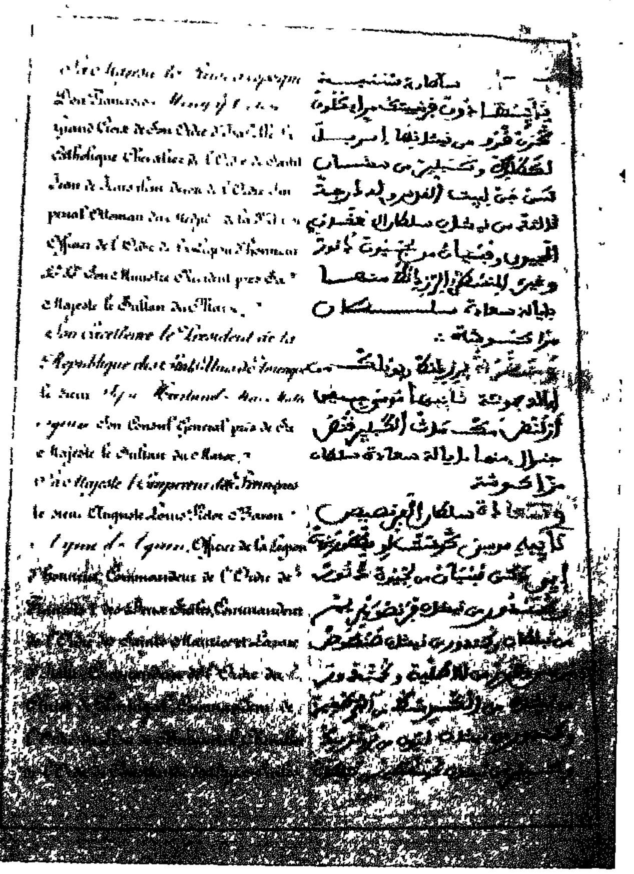
وهكذا وجدنا العاهل المغربي يأمر بجلب «الماكينة» التي تزود المنار بالاستصباح على ما يقتضيه خطابه بتاريخ 29 ربيع النبوي 1279 = 23 اكتوبر 1862.

6) كان من المضاعفات التي أفرزتها تصرفات المجلس الصحي أن المواطنين أخذوا يميلون إلى الأخذ بموقف الطرطوشي وغيره ممن قالوا بأن الحج ساقط عن أهل المغرب !!
الكتاني : سلوة الأنفاس ج 2، ص 217/216.

7) محمد الأمين البزاز : المجلس الصحي الدولي بالمغرب (رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا بكلية الآداب بالرباط 79 - 1980.

8) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 160.





من الوثائق المتعلقة
بمنار أشقار، عن (الخزانة الحسنية)

وقد شاهدت العاصمة الدبلوماسية ميلاد اتفاقية دوليةٍ يوم خامس محرم 1282 = 13 مايه 1865 وقعتها عشر دول : أمريكا - النمسا - فرنسا - بريطانيا العظمى - إيطاليا - هولاندا - البرتغال - اسبانيا - السويد - النرويج. وتذكر الاتفاقية التي وقعها عن المغرب النائب محمد بركاش : «أن دولة مراكش بما أنه لم تعد لها مراكب حربية ولا أسطول تجاري فإن المصاريف الواجبة لهذا المنار... على الأجناس المذكورين..».

وقد التحقت الولايات المتحدة بالاتفاقية المذكورة عام 1866 على نحو ما كان من ألمانيا عام 1878.

وقد عُنيت الوثائق المغربية بأمر هذا المنار وما يتصل به حيث نجد رسالة من الحكومة المغربية حول الاتفاقية، كان من مضمونها أن المكان المذكور تحت سيادة المغرب، وتحمل هذه الرسالة تاريخ 19 جمادى الثانية 1311 = 28 دجنبر 1893 أي على عهد السلطان مولاي الحسن...

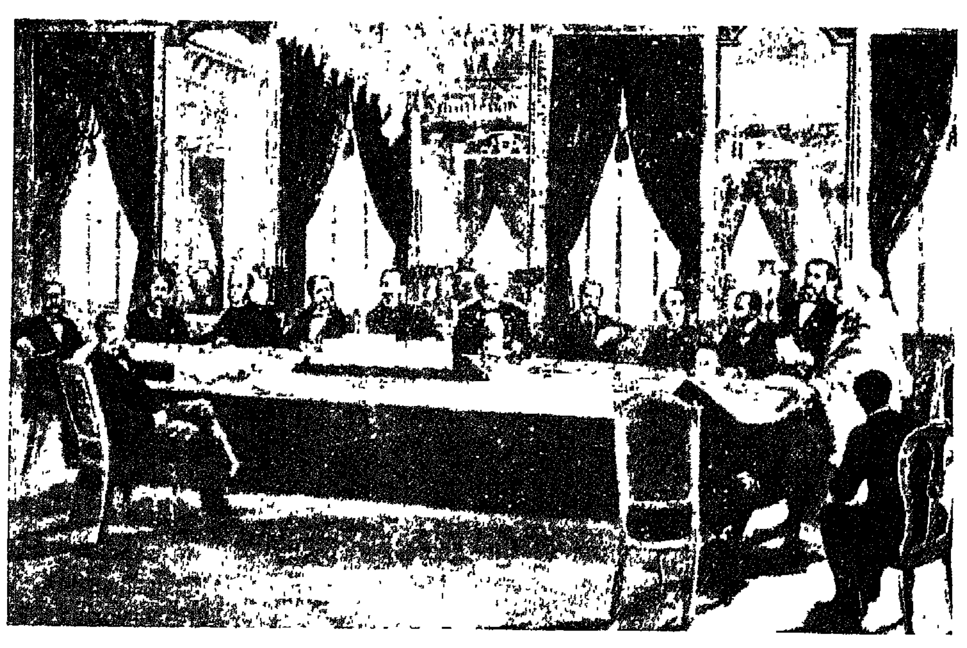
3) اتفاقية مدريد 1297 = 1888

أما عن الاتفاقية التي تمخضت عن مؤتمر مدريد لسنة 1297 = 1880 فقد كانت تهدف ـ كما أشرنا مراراً ـ إلى الحد من الحمايات القنصلية الممنوحة بدون قانون إلى المواطنين المغاربة...

لقد تجلى أن بعض القنصليات أساءت استعمال الحقّ الذي تضمنه لها المعاهدات السابقة من «إعفاء المغاربة المساعدين للقنصل من ضرائب الحكومة».

وهكذا فبعد المحاولات المتكررة من لدن والده العظيم لإقناع القناصل بضرورة التقيّد بالقانون قام السلطان مولاي الحسن بإرسال سفارة الزبيدي عام 1876 بكلّ من فرنسا وأنجلترا وبلجيكا وإيطاليا حول عقد مؤتمر دولي...

وقبل أن نرحل مع الوفد المغربي لحضور مدريد نحيل على رسالة الاعتماد الهامة التي سلّمها السلطان مولاي الحسن إلى رئيس الوفد المغربي محمد بركَاش الذي كان معزّزاً بالأمين عبد الكريم بريشة... بتاريخ 14 ربيع الأول 1297 = 25 يبراير 1880



صورة مؤتمر مدريد الأول المنعقد سنة 1880 ويرى فيها نواب الدول المشاركة فيه ومن بينهم النائب المغربي محمد بركَاش أثناء عرضه وجهة نظر المغرب في مشكلة حق منح الحماية للرعايا المغاربة.

المقصودُ من مشاركتكم تطهير المغرب من هذا الرجس لا إبداله بما هو أنحس ! وفي المثل «كمن غسل دماً بدم، وفي المثل أيضاً «جاء يطبّه فأعماه» وفيه أيضاً «ذهب الحمار يطلب قرنين فراح بلا أذنين !!»[9]

لقد عقد المؤتمر جلسةً افتتاحيةً بقصر رئاسة الحكومة بمدريد يوم 6 جمادى الثانية 1297 بحضور جميع الدُّوَل المشاركة : فرنسا، ألمانيا، النمسا، بلجيكا، اسبانيا، الولايات المتَّحدة بريطانيا العظمى، الدانمارك، إيطاليا، المغرب، هولاندا، البرتغال، السويد، النورڤيج.

وأخيراً انفضّ المؤتمر يوم 3 يوليه = 25 رجب، بعد أن وقّع الحاضرون على اتفاقية دوّنت قانون الحماية والتجنيس في فصولها الثمانية عشر التي نأتي عليها في «الملاحق» إن شاء الله.

اتفاقية الجزيرة الخضراء 1323 = 1906

ولقد دفع التنافس المستعرّ بين فرنسا وألمانيا إلى الدعوة لعقد مؤتمر دولي يهدف لمناقشة الإصلاحات المزمع إدخالها في المملكة المغربية، وهكذا كان المؤتمر الذي انعقد بالجزيرة الخضراء والذي استمرت أعماله من 15 يناير 1906 إلى 17 أبريل حيث تمَّ التوقيع على العقد من طرف جميع المشاركين باستثناء الوفد المغربي الذي كان على رئيسه النائب محمد الطريس أن يرجع للسلطان مولاي عبد العزيز لاطلاعه على التقرير الكامل المتعلق بالمؤتمر...

وقد شارك في المؤتمر نواب عن قيصر ألمانيا وقيصر النمسا وملك بلجيكا وملك اسبانيا وعن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية الفرنسية والمملكة المتحدة، وملك إيطاليا وسلطان المغرب وملك هولاندا وملك البرتغال وقيصر الممالك الروسية وملك السويد.

---

9) الإتحاف 2، ص 406.

لقد بلغت الاتفاقية ثلاثةً وعشرين ومائةَ بنـد وعرفت في اصطلاح العـامـة باسم «شروط الخَزَيرات» وأمست هذه الكلمـة شعـاراً يخفي وراءه كلّ مـا هو مجحف وطويل من غير طائل !!(10)

لقد تألف العقد من ستة أقسـام، وكـان الإصلاح المـالي وإنشـاء البوليس أهم قرارات المؤتمر...

لقـد وضع البـوليس مبدئيـاً تحت إشـارة السلطـان... وفيمـا يتعلـق ببنـك المغرب فقد أنشيء من رأس مال موزّع على أربع عشرة حصـة، فيهـا 12 للـدُّوَل المـوقعـة على العقـد وفيهـا حصتـان اثنتـان لهيئـة البنـوك التي قـدمت قروضـاً للمغرب في بحر سنة 1905...

وفي إطـار تنميـة مـوارد المملكـة المغْربيـة فقـد قرّرَ المـؤتمر أن على الأجـانب المقيمين بـالمغرب أن يخضعـوا لأداء الضرائب... وسيكـون على المستوردات الخارجية أن تؤدي ضريبةً تصل إلى اثنين ونصف في المائة، الأمر الذي يعني سياسة «الباب المفتوح»...

وينبغي أن نشير إلى نصٍّ في العقـد المـذكـور يتحـدث عن أن سـائر المعاهدات والاتفاقيـات والتسويـات المعقودة بين الـدول الموقعـة وبين المملكـة المغربية تظل نافذة المفعول ولا يبطلها هذا العقـد بَيْـد أنـه في حـالـة تعـارض بين النصوص الموجود في تلك الأوفاق وبين هذا العقد العام فـإن «شروط الخزيرات» تقدّم...(11)

10) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2 ص 304.

11) مجلة الأنوار «التطوانية عدد أبريل 1946 ص 3 - 4.



البعثة المغربية في مؤتمر الجزيرة الخضراء.

علاقات المغرب بالعثمانيين والإيالات التابعة... ومع حيدر أَباد ـ مع السُّودان... مع بقية البلاد الإفريقية

- ◻ تبادل السّفارات بين المملكة المغربية والباب العالي.
- ◻ استمرار مساندة المغرب للعثمانيين بطنجة ؟
- ◻ علاقات المغرب بالإيالات التابعة للعثمانيين : تونس، طرابلس، مصر، أرض الحجاز، بلاد المشرق.
- ◻ مع إمارة حيدر أباد.
- ◻ مهديّ السودان يراسل العاهل المغربي...
- ◻ المغرب وباقي الدول الإفريقية.

علاقات المغرب بالعثمانيين

لقد استمرت علاقات ملوك الدولة العلوية بسلاطين الدولة العثمانية حتى بعد استسلام الجيش العثماني في الجزائر أمام الجيش الفرنسي فإن المغرب يقدر جيّداً تَبِعَته إزاء إخوانه في المشرق....

وبهذا نفسر وجود سفيرٍ للسلطان مولاي عبد الرحمن لدى بلاط العثمانيين، حيث نجد اختياره يقع على إحدى الشخصيات المشرقية التي ترددت على ديار المغرب في عددٍ من المرات، كانت أولها عام 1257 = 1841، وآخرها عام 1261 = 1845 على ما نقرأه في مخطوطة «الابتسام عن دولة ابن هشام لأبي العلاء...» ويتعلق الأمر بالشيخ يوسف بن بدر الدين الذي صادفته إحدى الزيارات للمغرب مع وجود شخصيات مشرقية أُخرى : أبو الربيع سليمان بن محمد الشيبي القرشي المكي، وأمين الأنصاري المدني حيث استمعنا إلى قصيدةٍ فيهم للأديب المغربي النقيب العربي البلغيثي...[1]

لقد كان هدف السفارة أداء التعزية في السلطان الراحل محمود خان وتهنئة السلطان الجديد...

وقد قام الشيخ يوسف بالمهمة التي أُنيطت به حيث رفع الخطاب الملكي الذي كان له وقع كبير في نفس السلطان عبد المجيد الأول حيث نجده يكلف الشيخ المذكور بمهمة إبلاغ جوابه إلى العاهل المغربي وكان الجواب يفيض شكراً وتذكيراً بالصلات المتينة التي كانت تجمع بين السلطان عبد الحميد الثالث والسلطان محمد الثالث...

وقد وقفتُ في اسطامبول على ثلاث وثائق بهذا الصدد الأُولى مذكرة بالتركية حول مهمة الشيخ يوسف من أجل إطلاع سلطان تركيا، والثانية نص الجواب باللغة

1) مخطوطة الابتسام، تقديم د. التازي : مجلة (المناهل) المغربية سنة 1987 ـ الإتحاف 5 ر 156.

العربية المرفوع للسلطان المولى عبد الرحمن بتاريخ أواسط ربيع الثاني 1258 = 25 مايه 1842 والثالثة ترجمة بالتركية لهذه الرسالة...

وقد سجّل التاريخ أن السلطان مولاي عبد الرحمن هنّأ آل عثمان بانتصارهم على الروسيا في الحرب التي كانت تعززهم فيها أنجلترا وفرنسا وقد أسفر عنه للباب العالي عبد الكريم راغون التطواني...[2]

ولم يتغير الموقف المغربي من العثمانيين بعد أن جلس السلطان مولاي الحسن محمد بن عبد الرحمن على كرسي الحكم... وهكذا فقد ظل تبادل العواطف ظاهرة الصلات التي تجمع بين الطرفين حيث شاهدنا المغرب يأسف لضياع أطراف السلطنة العثمانية.

ومن جهة أُخرى فقد ظلّ «التحفّظ المغربي» من التدخل العثماني في شؤونه ملحوظاً عندما كان الأمر يتعلق بالحديث عن إقامة علاقاتٍ رسمية على الصّعيد الدبلوماسي..!

وقد يتساءل المرء عن السرّ في هذا «التحفظ...» والواقع أنه بالإضافة إلى الآثار العميقة التي خلّفتها تلك المماحكات على الحدود المغربية طوال ثلاثة قرون أو تزيد... هناك أسباب أخرى لا نرى مناصاً من الإشارة إليها ويتعلق الأمر أولاً بأن المغرب كان غير حريص على أن يخلق له مشاكل جديدة قد يسببها له اتصاله مع تركيا التي أمسى أمرها إلى ما نعرفه من ضعفٍ أصبحت معه الآستانة نفسها مهددة بالاحتلال..!! سيما أيضاً وأن جل الدول الأُروبية كانت ضد إنشاء مفوضية تركية بطنجة، بل كانت تسعى جاهدة لإخطار المخزن بما قد يترتب على وجود المفوضية العثمانية من متاعب للمغرب.!!

على أن هناك سبباً ثانياً كان وراء فتور المغاربة إزاء الاستجابة لوجود بعثة تركية مقيمة على أرضه فنحن نعلم ما كان يعانيه المغرب من أمر الحمايات القنصلية التي كانت تُمنح للمغاربة بسخاء من الدول الأجنبية....

---

2) عبد الكبير الفاسي ـ دعوة الحق، يناير 1960 / HESP. 1956 p. 261.

وقد كان الشعار الذي ترفعه الحكومة يعتمد على ما أفتى به العلماء المغاربة بأن هؤلاء «المحميين» يعتبرون «موالين للكفار !»، فلو سمح المغرب للأتراك بإقامة قنصليتهم لما كان يسعه أن يستثنيهم من حق إعطاء الحمايات للغير وحينئذ فسيجد المغرب نفسه أمام مواطنين يوالون مسلمين لا كفاراً..!!

وهكذا يتسع الخرق على الراقع... ومن ثمت عمل المغرب على تفادي الاحتكاك مع الأتراك مكتفياً بضروب المتاعب التي يواجهها يومياً مع الآخرين..!!

ولا بد أن نلاحظ الاهتمام البالغ الذي كانت توليه الخارجية العثمانية للتحركات المغربية، عن طريق السفراء العثمانيين الذين يرفعون تقاريرهم للباب العالي عن نشاط الدبلوماسية المغربية في أروبا وعما يجري في الساحة المغربية كذلك...

وهكذا وجدت عدداً من التقارير السرية المرفوعة للباب العالي من مختلف الدول الأروبية الأربع التي زارتها سفارة الزبدي عام 1876..! كما وقفت على عدد من المكاتب وأحياناً الرسائل الشفرية المنطلقة من سفارة تركيا بمدريد حول ما يروج في المغرب الأمر الذي تحتضنه وثائق رئاسة الحكومة ((باشْ بَاكَانْلّك أرشيف)) في اسطامبول، ولعلّ من الفائدة أن نشير هنا للرسالة التي عهد الأتراك بحملها للمغرب إلى أحد الذين كان لهم اتّصال قوى ببلاط السلطان عبد الحميد، ويتعلق الأمر بالشيخ ابراهيم السنوسي.[3]

وقد أشفعت هذه الرسالة بخطاب آخر من السيد حسن خير الله شيخ الإسلام بالدولة العثمانية مرفوع إلى الحاجب السلطاني موسى بن أحمد بإذن السلطان عبد الحميد راغباً فيما يؤدى للتواصل والاتحاد مجدداً عهود الآباء والأجداد، وهو الذي أورده النقيب ابن زيدان في الاتحاف...[4]

وقد تضمن جواب العاهل المغربي السلطان المولى الحسن تهنئة السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد بالجلوس على كرسي الحكم... والإشادة بمبادرته للسؤال عن إخوته في المغرب تجديداً للعهد...

---

3) أرشيف الباب العالي... تراجع «الملاحق»...

4) الإتحاف 2 ر 359 ـ 360.

ولقد استمر المغرب على صلته بأخبار الباب العالي... وهكذا وجدناه يتلقى بفرحةٍ عارمة أخبار انتصار الغازي عثمان باشا في پيبڤنة (PIEVNA) حيث أصدر السلطان عبد الحميد «فرمانا عاليا» بالتنويه به في تاريخ 20 رجب 1294 = 1 غشت 1877...

ولعلّ من الطريف أن نشير إلى الرسالة الصادرة عن الوزير الأوّل موسى بن أحمد بتاريخ 5 شعبان 1294 = 15 غشت 1877 حول الإعراب عن السرور بهذا الانتصار الذي حققته تركيا...

وقد تجددت كتابة الرسائل حول انتصار پيبڤنة (PIEVNA) عند تجدد الإخبار من طرف باشا فاس بتوالي النصر، وقد وجدنا رسالة أخرى تحمل تاريخ 22 شعبان 1294 = 1 شتنبر 1877.

إبراهيم التادلي في اسطامبول والقدس

كثيرٌ هم الحجاج الذين استهوتهم الجولة في ديار «الأمبراطورية» العثمانية فزاروا اسطامبول... وقد عرفنا من هؤلاء الشيخ ابراهيم التادلي الذي تحدّث أثناء تأليفه الطريف حول «الموسيقى» عن إقامته في اسطامبول ضيفاً على السلطان عبد الحميد حوالي عام 1298 = 1880 ـ 1881.

لقد قال التادلي إن السلطان عبد الحميد أنزله في بيتٍ لضّق بيته في داره فما رأى أعجب منه زينةً للنظر.. وانه عندما طلب تغيير الدار بأخرى متواضعة أُنزل في بيت أعظم وأفخم.. وان السلطان عبد الحميد ألفه حتى لقال له بعض الخاصة : «إن السلطان يعتزم الاحتفاظ بك» !!

وعندما كان التادلي يتحدث في مخطوطته (زينة النحر بعلوم البحر) ذكر أن رؤوف باشا والي الباب العالي على القدس ورد بإيعاز من السلطان ـ على التادلي وهو في منزل مقامه... وأنه أي الوالي أطلع التادلي على برقيةٍ وردت عليه آنذاك، وقال معلقاً : إن هذه البرقية كتب مضمونها منذ نصف ساعة ومع أنه بين اسطامبول والقدس نحو الشهرين !! وقد قال التادلي معلقاً : وهو من عجائب الدنيا، وبه صارت الدنيا مدينة واحدة !!!

ويذكر أن التادلي وضع معجماً للكلمات التركية التي ترددت على مسامعه وجعل لها مرادفاً باللغة العربية كما أنه وضع تأليفاً في تاريخ ملوك بني عثمان وأرض الرافدين...

التازي : دور الطرق الصوفية في المحافظة على التراث الموسيقي، بحث قدم لمؤتمر تستور. (التونسية) مجة المناهل المغربية عدد 13 محرم 1399 = دجنبر 1978.

وقـد عثرت على تقرير بعث بـه السفير العثمـاني من مـدريـد بـاللغـة الفرنسيـة إلى البـاب العـالي وهو يحمل تـاريخ 13 ـ 25 يـونيـه 1882 ويتعلـق بسفارة عبد الكريم بريشة الذي أدى زيارة للسفير التركي... بتكليف من عـاهل المغرب....

وقد أكد السيد ديوسضاضو (Diosdado) سفير اسبـانيـا بـالمغرب والـذي حضر المقابلة بين سفير تركيا والمغرب أنه سيبـذل من جهتـه كل الجهود حتى يحمل سلطان المغرب على الاقتناع بفكرة التخلي عن المدرّبين الفرنسيين !

وقد عثرت كذلك على رسالةٍ من السفير العثمـاني في مـدريـد مرفوعـة إلى البـاب العـالي بتـاريخ 26 نونبر 1885 تتحـدث عن وصول سفـارة مغربيـة إلى مدريد برئاسة عامل طنجة السيد عبد الصادق وقد صادف وجودها بـالبلاد، وفـاة العاهل الإسبـاني...

ومن جهة أخرى فقـد رأينـا أن الحكومـة التركيـة ترشح (شمس الـدين بـك) للحضور في مؤتمر الجزيرة الخضراء الذي دعـا المغرب لعقـده، وقـد سلم للسيـد المذكور ما يشبـه أن يكون اعتماداً مشفوعاً بمنح وسام عثماني.

وقـد عيل صبر الحكـومـة العثمـانيـة وهي تحـاول أن تجـد لهـا ممثليـةً في المملكة المغربية تهدف لتحقيق أغراضها...

وهكـذا وجـدنـا رسـالـة جديـدة تحمـل تـاريخ 15 ربيـع الآخر 1304 = 11 ينـاير 1887 تتوجه من وزير خارجيـة الـدولـة العثمـانيـة محمـد سعيـد إلى وزير الخارجية المغربية مطالبة بإنشاء علاقات ساسية...[5]

وقـد بلـغ هـذه الرسـالـة بتـاريـخ 15 يبراير 1887 إلى النـائب الطريس المندوب الألماني سالديرن (Saldern) الذي كان قد عوض طيسكـا، وتفيـد المصـادر الألمانية أن جواب الحكومة المغربية تأخر طويلاً، لهذا وجدنا الحكومة التركيـة تفكر في أن ترسل بشخصيتين بارزتين من ولايـة طرابلس إلى العـاهل المغربي لإقنـاعـه بـأن «الأخـوة» الثـابتـة بين الـدولتيـن تقتضي أن يكـون هنــاك تمثيـلً

---

5) الإتحاف 2، ص 360 ـ الحركات الاستقلالية ص 87 ـ 88 مجلة تطوان 2،47 ـ L'Allemagne et le Maroc .p. 181

دبلوماسي، وقد عثرت على برقيةٍ تحمل تاريخ 13 شتنبر 1887، حول الموضوع كانت ضمن تقارير مدريد...

وقد بعث بيسمارك سنة 1888 برسوله (ملحمة) مصحوباً ببعض الشخصيات المغربية إلى مكناس في محاولةٍ جديدة لإقناع العاهل... لكن جواب وزير الخارجية المغربية محمد المفضل غريط لم يلبث أن صدر بتاريخ 24 ـ 5 ـ 1888 إلى الخارجية التركية[6]

وقد تجدّدت المحاولات مرةً أخرى على ما تفيده رسالة السفير العثماني إلى اسطامبول بتاريخ 4 يناير 1889 وهكذ رأينا في شهر مايه 1889، واسطةً جديدةً من الباب العالي كانت هذه المرة الشريف عمر الوزاني.

وفي هذا الوقت بالذات كان السفير التركي في مدريد مهتماً كثير الاهتمام بزيارة سفارةٍ مغربية إلى اسبانيا كانت برئاسة القائد الحاج المعطي بن عبد الكبير المزامزي، وهكذا ففي تقريره للباب العالي بتاريخ 21 اكتوبر 1889 بعث السفير التركي بقصاصات الصحف التي تحدثت عن هذه السفارة مع الخطاب الذي ألقاه السفير المغربي والترجمة الحرفية له باللغات التركية.[7]

وكان من الرسائل التي احتفظت بها المكتبة المغربية رسالة من الباب العالي من دائرة الخارجية، إلى النائب السلطاني الطريس حول الانتصار للحاج علي بوطالب «الجزائري» الذي تعرض لإغارة من الحاج عبد السلام الوزاني وهي تحمل تاريخ 6 ربيع الأول 1320 = 13 مايه 1902..!

وفي مقابلة هذا نجد رسالةً محررة بطنجة من طرف الحاج علي بوطالب الحسني إلى وزير الخارجية التركية توفيق باشا يخبره فيها بحركة المعارضة الموجهة ضد العاهل من طرف بعض العلماء..! وكانت الرسالة باللغة الفرنسية وتحمل تاريخ 4 اكتوبر 1902...!

وبالرغم من أننا لم نتوفر لحد الآن على المصدر الذي يتحدث عن الاتصالات الأولى للسلطان المولى عبد الحفيظ الذي جلس على العرش مكان

---

6) (المؤيد) السنة الأولى (1890 ـ 1307 ـ ص 423 ـ 424.

7) وثائق تطوان تحت رقم مح 72/35 بتاريخ 3 جمادى 1313 = 22 اكتوبر 1895.

أخيه المولى عبد العزيز... فإنه عملاً بما ورد في بنود البيعة المعقودة له كان مدعوّاً للاتصال بتركيا ومن ثمت قرأنا عن السفارة التي بعث بها السلطان المولى عبد الحفيظ إلى اسطامبول في محاولةٍ لإيجاد صيغةٍ لوحدة إسلامية ولضمان عدم الاعتراف بالإصلاحات الفرنسية المتحدث عنها آنذاك...(8)

ونعتقد أن لوجود البعثة العسكرية التركية بالمغرب لأول مرة علاقةً بتلك الاتصالات، وقد وقفت في طرابلس الغرب على وثائق مصورة للقائد جمال بك الغزي الذي ورد على رأس البعثة، والذي استقبل من طرف السلطان المولى الحفيظ... قبل أن يباشر مهامه.(9)

بيد أن جلّ أعضاء السلك الاجنبي في المغرب تمالأوا ضد الوجود التركي على الأرض المغربية وهكذا أجهضت سائر المشاريع التي كانت تعمل على تقرب المغرب من تركيا... وقد كان مما زاد في ضعف تركيا ووهنها الثورات التي قامت ضدها في بلاد الشرق الأمر الذي أثبت لمن كانوا يدعون إلى الوحدة مع تركيا أن اسطامبول اليوم لم تعد هي اسطامبول الأمس !!

ومع الإيالات التّابعة لهم...

بالرغم من أن العثمانيين كانوا يبسطون نفوذهم على جلّ الإيالات المشرقية فإننا نلاحظ أن للمغرب صلاتٍ خاصةً ببعض تلك الإيالات على نحو ما نراه مع تونس وطرابلس ومصر وأرض الحجاز وبلاد المشرق...

وهكذا ففيما يتصل بتونس نلاحظ أن عدد الجالية المغربية بتلك الدّيار استدعى تعيين قنصلٍ للمغرب مقيم بتونس لرعاية مصالح المغاربة هناك.

---

8) تتحدثت بعض المصادر عن إرسال الحاج العربي بريشة التطواني للاستانة واستقباله من لدن السلطان عبد الحميد وذلك في إطار استمزاج الرأي حول الاتحاد الإسلامي المذكور.
علال الفاسي : الحركات الاستقلالية ص 88 محمد المنوني مظاهر يقظة المغرب الحديث 1 ص 48 ـ 49.

9) حسب رسالة من القنصل الفرنسي بفاس بتاريخ 4 ذي الحجة 1309 = 30 يونيه 1892 نجد أصداء لضابط تركي استقال من الجيش العثماني وقصد مدينة فاس ليجد له وظيفةً مع الحكومة المغربية وثائق ـ تطوان مح 72/35.



بالرغم من إدراك الجهات العليا المغربية لمدى جدوى العون الذي يمكن لتركيا أن تقدمه لبلادنا على ما توجد عليه تركيا نفسها وعلاوة أيضاً على طول المسافة بينها وبين الشاطئ المغربي فإن السلطان المولى عبد الحفيظ قد بعث سفارة لتركيا برئاسة شمس، كتجربة للاستعانة بإخواننا القدامى..
وهذه صورة للقائد جمال بك الغزي الذي ورد على رأس بعثة عسكرية لتدريب الجيش المغربي على الأساليب الحديثة وقد استقبل عدة مرات من قبل العاهل المغربي خلال عام 1327 ـ (1909)، بالرغم من الاحتجاجات التي رفعت إلى العاهل من البعثات الدبلوماسية على استقدام البعثة التركية...

وقد ظلّت العلاقات بين البلدين طافحةً بالذكرياتِ الجميلةِ التي تترجم عنها المراسلاتُ التي استمرت بين البلدين، وهكذا نجد رسالةً من الباشا أبي العباس أحمد باي إلى السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام تحمل تاريخ شهر رجب 1253 = اكتوبر 1837 في أعقاب وفاة والده مصطفى باشا ومبايعة أبي زيد.

وقد ساق المؤرخ ابن أبي الضياف نصّ الرسالة المسهبة التي بعث بها الباي المذكور...

وقد أجاب العاهل المغربي السلطان المولى عبد الرحمن على هذه السفارة، بسفارة مماثلة حيث نجده يبعث إليه بقصيدة سينية من شعر الأديب المغربي أبي عبد الله محمد بن أحمد كنسوس أوردها صاحب فواصل الجمان،[10]

وقد حركت هذه القصيدة من شاعرية الأديب التونسي الشيخ قباذ الذي أجاب بسينية أخرى...

وقد كان جواب العاهل المغربي على خطاب باي تونس يتلخص في التعزية في الراحل والإعراب عن التهنئة للجالس على كرسي الحكم..[11]

وقد استمرتْ المراسلات بين الطرفين حتى حطّت بتونس ركاب الحماية الفرنسية سنة 1298 ـ 1881 أيام السلطان المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمن حيث أخذنا نلاحظ أن الصلات اقتصرت على مرور ركب الحاج الذي كان يلقى مع ذلك ضروب التكريم والترحيب من حاشية الباي....

☆ ☆ ☆

وفيما يتصل بطرابلس التي كان لنا فيها كذلك وكلاء يرعون المصالح المغربية، فقد عثرت في جملة ما عثرت عليه على رسالة ترجع لتاريخ 24 ذي الحجة 1285 = 7 أبريل 1869 أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن عبارة عن احتجاجٍ صارخٍ موقع من لدن واحدٍ وأربعين مغربياً منهم الريفي والسوسي والسلاوي والزمراني والشرادي والأوذيي والشياظمي والسرغيني

10) محمد غريط : فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان المطبعة الجديدة فاس 1346 ص 13 ـ 14 ـ 15 17.

11) الاتحاف 3 ـ 51.

والحيـاني والحريـزي والـدادسي والـدراوي والحيحي والنتيفي والطنجـاوي والفيلالي الخ... الاحتجـاج كـان مرفوعـاً إلى سعـادة متصرف لـواء بنغـازي ضـد تـدخل القنصل الفرنسي في شـؤونهم وكـان القنصـل يعتقـد أنـه في استطـاعتـه أن يَعُدَّهم من الجزائر التي احتلتها فرنسا..!!

«نحن - يقول المغاربة في احتجاجهم - من رعايـا دولـة مولانـا السلطـان سيـدي محمـد وهي دولة إسلامية، ولما خرجنا من حكومته صرنا الآن مستظلين تحت راية الدولـة العليـة... مقصوده، أي القنصل الفرنسي، أن يحكم فيما كان في رعاياه والحال أنه ليس له يد علينـا ولا يحكم فينا ولا في بلدنا...»[12]

وقد بلغت علاقة المغرب بمصر كذلك درجـةً أصبح لـه فيهـا قنصلٌ مقيم يرعى مصـالح المغـاربـة بمن فيهم التجـار والصنـاع وكـذلـك الطلبـة الـذين سمعنـا عن تخرجهم من المعاهد الطبية...[13]

وقد سجل التـاريخ اسم الحـاج محمـد الرزيني الـذي كـان وكيلاً هنـاك أيـام وجّه السلطان مولاي عبد الرحمن سفيره الحـاج عبـد السلام أقلعي ليقـدم لبـاشـا مصر محمد عليّ طائفةً متنوعة من الهدايا التي كـان لهـا وقع حسن عنـد البـاشـا الذي أمر بإهداء السلطـان مولاي عبـد الرحمن خمسـةً وثلاثين كتـابـاً من «كتب النّظام» على حدّ تعبير الرسـالـة، (10 ربيع الثـاني 1264 = 16 مـارس 1848) وضمنهـا كتـاب جيّـد في الطب... وتتخلص الرسـالـة بعـد هـذا إلى ذكر أخبـار الفرنصيص..»[14]

وكما كانت الصلات والمهادة عهد محمد علي فقد استمرت أيـام خلفـه عباس باشا (الأول) تـأكيـداً لعواطف الود والحب، وهكـذا نجـد أن العـاهل يبعث مع ركب الحج الذي نزل على ضيافة الأمير الجديد لمصر سنة 1265 = 1849 بهدايا سنّيـة كانت تحتوي على عدد من الخيول الرفيعـة والسروج المـذهبـة والبغـال الفـارهـة والتحف الرفيعة من مختلف طرائف المغرب.[15]

12) د. التازي : أمير مغربي في طرابلس أو ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحـاقي، مطبعـة فضـالـة (المحمدية) 1976 ص 29/28.

13) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2، ص 214.

14) الاتحاف 5، 154 ـ 155.

15) الابتسام عن دولة ابن هشام مخطوطة ص 235 تقديم عبد الهادي التازي مجلة المناهل.

وفي كل سنة كان ركب الحج المغربي الرسمي يمر بمصر كان عليه أن يحمل معه التحف والهدايا لملوك مصر والصلات والهبات لعلماء الأزهر الشريف على نحو ما تحدثت به كتب التاريخ التي كان في ضمنها ما روي عما حمله سنة 1274 = 1857 ـ 1858 الشيخ المهدي ابن سودة الذي[16] ذهب صحبة ركب الأمراء عبد الله وجعفر وعلي وابراهيم أبناء السلطان المولى عبد الرحمن حيث نزلوا أيضاً في ضيافة صاحب مصر، في أعز مساكنه وأبهاها وأبهجها علاوة على مارتبه من أنواع الأطعمة والأشربة الفاخرة المناسبة، وقد أباح لهم الدخول إلى كلّ محل أرادوا رؤيته من الأبنية والمصانع والرياض والبساتين الملكية إلى أن عبروا بحر القلزم إلى جدة على ما يحكيه أكنسوس...[17]

رواق المغاربة بالأزهر الشريف

لم يكن مرور الركب الأميري بمصر عبوراً عادياً، ولكنه كان مظاهرة علمية تهتز لها رحاب القاهرة سيما الأزهر الشريف، وبخاصة رواق المغاربة الذي ظل هناك عبر العصور بمثابة بعثةٍ علميةٍ دائمة للمغرب بمصر.

وهكذا، فمتابعةً للعمل الذي قام به أجداده وجدنا السلطان مولاي عبد الرحمن يعهد إلى شيخ الإسلام وقاضي الحضرة سيدي المهدي بن سودة في رحلته الثانية (1274 = 1857 ـ 58) للبقاع المقدسة صحبة أبناء السلطان مولاي عبد الرحمن بتسليم الصلات السنية التي اعتاد الملوك المغاربة إرسالها إلى علماء الرواق المغربي الذي يهتم في أبرز ما يهتم به : بنشر المذهب المالكي...

ومن الطريف أن نجد أن تلك الصلات لم تقتصر على السادة المالكية ولكنها ـ تشجيعاً للبحث العلمي ـ تناولت كذلك السادة الشافعية والحنفية والحنابلة...

وهكذا من خلال مذكرات الشيخ المهدي نقف على أسماء شيوخ كل مذهب سواء أكانوا من الطبقة الأولى أو الثانية أو الثالثة...

كما نقف على المبالغ التي وزعت على حملة العلم بمحضر القنصل المغربي الرزيني والحاج بوجنان البارودي...

التازي : رواق المغاربة بالأزهر الشريف : دعوة الحق، عدد 229 شعبان ـ رمضان 1403 = مايه ـ يونيه 1983، مجلة الأمة القطرية، يناير 1984 مجلة المصور عدد 2 مارس 1984 في العلاقات بين المغرب ومصر ـ ندوة جمعية أبي رقراق ـ سلا يوليه 1988.

---

16) التازي : تاريخ جامعة القرويين 3، 813.

17) الاستقصا 9، 74 ـ 75.

ولما خلف السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن والده على عرش المغرب اتجه نحو تنفيذ ما كان عزم عليه والده من إدخال تنظيمات جديدة على المملكة وخاصة بعد أن أصبح مهدداً بفرنسا التي كانت تجاوره في الجزائر.

وهكذا وجدنا في المملكة المغربية ضابطاً مصرياً يعمل كخبير في الجيش النظامي المغربي... وإلى جانب هذا شاهدنا عدداً من الخبراء في عصر قصب السكر عندما شعر العاهل بتشغيب بعض العناصر الأُروبية في المصانع التي أنشأها...

وقد خطا العاهل أكثر من هذا نحو مصر حيث نراه يبعث إلى اسماعيل باشا لطلب المساعدة على تشغيل المطابع بالمغرب وقد كانت المطبعة جلبت للمغرب من مصر لأَول مرة سنة 1281 = 1864 بواسطة القاضي الروداني الذي أهداها للعاهل المغربي... وإن المراسلات المتعلقة بالمطبعة بلغت من الكثرة بحيث نرى من التطويل إيرادها ومع ذلك نشير إلى الرسالتين اللتين بعث بهما الخديوي للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بتاريخ شوال 1283 = يبراير مارس 1867 من إنشاء عبد الله فكري باشا.

وكما سجلنا اسم الرزيني كقنصلٍ مغربي بمصر نسجل كذلك اسم الحاج عبد الغني التازي الفاسي الملقب «المزعلك» الذي أصبح وكيلاً للمغاربة أَيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ثم ابنه السلطان مولاي الحسن...

وقد توفي القنصل عبد الغني بمصر عام 1294 = 1877 وتولى القنصلية بعده الحاج عبد الواحد التازي أيام السلطان المولى الحسن وأوائل عهد ابنه المولى عبد العزيز حيث أدركه أجله بفاس عام 1313 = 1895، ثم كان الحاج محمد بن قاسم الحلو الفاسي الذي كان في البداية نائباً عن القنصل التازي ثم خلفه بعد وفاته أوائل عام 1313...[18]

18) كان مما يذكر أن عبد الواحد التازي هذا تطوّع بالقيام بعمليات ترميم في المشهد الحسيني بالقاهرة حيث نقش داخل القبة : «الله خير مجازي لعبد الواحد التازي» وقد اختفى هذا النقش اليوم على ما وقفت عليه في ربيع 1988 وعبد الواحد هذا كانت له مطبعة أصدرت دلائل الخيرات.

وكدليل على اهتمام مصر بأخبار المغرب نقدم هنا نص القصاصة الصحفية التي صدرت في الجريدة اليومية السياسية التجارية : «المؤيد» بتاريخ يوم الثلاثاء 3 رمضان 1318 = 25 دجنبر سنة 1900 :

«جاءنا تلغراف ظهر اليوم من الأسكندرية بأن السيد عبد السلام التازي وزير مالية مراكش حضر إلى الثغر قاصداً الحج ومعه 15 رجلاً حاشية له، وسيزور العاصمة قبل سفره إلى السويس...

وفي تصريح له لاحق أكّد وزير المالية : «أن المغرب ليس عليه في الظرف الراهن أيّ دين لأية دولة».(19)



جاءنا تلغراف ظهر اليوم من
الاسكندرية بأن السيد عبد السلام التازي
وزير مالية مراكش حضر الى الثغر قاصداً
الحج ومعه ١٥ رجلاً حاشية له وسيزور
العاصمة قبل سفره الي السويس

المؤيد

١٣٠٧

مصر في يوم الثلاثاء ٣ رمضان سنة ١٣١٨
٢٥ دسمبر سنة ١٩٠٠

جريدة يومية سياسية تجارية

---

19) التازي : رسائل مخزنية ج 1 ص 64 تعليق 112.

الشيخ محمد صالح البُخَاري
في زيارته للمغرب...
1844 ـ 43 ـ 42 = 59 ـ 1258

لقد كان من الشخصيات الهامة التي زارت المغرب على عهد السلطان مولاي عبد الرحمن حوالي سنة 1259 = 1843، أبو عبد الله الشيخ مَحمد صالح البخاري الأَصل والمنشأ الذي قصد الحرمين لطلب الحديث والتفسير وانتقل إلى اليمن ثم الهند حيث قضى عشرين سنة ثم جبل الأكراد الذين أثنى على علمهم وفضلهم... وقد صحبته زوجته... حيث أقام بفاس سنة أو تزيد في التدريس، كان عالماً مشاركاً بارعاً في التعبير حافظاً للأسانيد متوقد القريحة.

استقبله السلطان مولاي عبد الرحمن في جنانه الكبير المعروف بجنان أبي الجنود حيث كان العاهل يحضر أحد مجالس الحديث الصحيح.

ولما انتهى المجلس جرى حديث بين العاهل وبين الشيخ صالح : سأله العاهل : أعندك بضاعة ؟ أجابه نعم عندي خير كثير... وعندما لحقته صلة السلطان قال : ادفعوها لزوجتي تقضي بها مآربها. وقد ودعه العاهل حيث سافر إلى مدينة العرائش التي أقام فيها عدة أشهر في ضيافة عاملها بوسلهام بن علي أزطوط. سمع الناس عنه هناك الكتب الست، ثم اتجه نحو طنجة وأقام بها نحواً من نصف شهر حيث كانت له مجالس مشهودة كان يحضرها أبو عبد الله المجاوي قاضي المدينة والشريف سيدي أحمد بن الشيخ عجيبة المدرس بالمدينة وأبو العلاء ادريس صاحب مخطوطة الابتسام.

وفي الوقت الذي كان يتهيأ فيه لمغادرة طنجة (15 رمضان 1259 = 9 اكتوبر 1944) صادف حديث الناس يروج حول عزم فرنسا إلى الانتقام من المغرب عقاباً على مناصرته للجزائر، فقال الشيخ صالح : «لا تطأ حوافر خيله المغرب إن شاء الله.!!»

أما عن علاقات المغرب مع الجزيرة العربية فإنّ أحداً لاينكر تفوق المغاربة في التعلّق بتلك الديار، وقد ظهر أثر هذا التعلق فيما دوّنوه من رحلات، وفيما كانوا يرسلونه، ولا يزالون، من وفادات، بل وما يخصصونه من استقبالاتٍ صادقةٍ لكل الواردين عليهم من تلك الديّار التي شدتهم إليها أكثر من وشيجة.

ولقد وجه السلطان المولى عبد الرحمن أيضاً في سنة 1274 ـ 1858 وفادة كبيرة إلى الديار المقدسة تحدث صاحب الاستقصا عنها[20] وهي التي اختيرت من سائر جهات المغرب لتصحب الأُمراء الذين حجوا هذا العام...

20) الاستقصا ج 9 ص 72 ـ 73 ـ 74 الاتحاف 4، ص 360.

وقد بعث معهم قاضي مكناسة الفقيه السيد المهدي بن الطالب بن سودة المري الفاسي وأخاه الفقيه السيد أحمد بن سودة في جملة من الفقهاء الذين كانوا يوالون الدرس طوال الرحلة وقد زودهم العاهل - على ما جرت به العادة كلما تعين وفد رسمي للحاج - بتعليماته بعدما كان أكد للوكيل الرزيني أن المال الذي خصصه لهذه المهمة هو من الحلال وأن بعضه من أصول تافلالت وبعضه من غيرها مما هو من أصل طيب قائلاً له : احتفظْ به واجعل السخاء فيه بمنزلة الملح في الطعام ! وإزاء هذا زود الأمراء بوصيةٍ مكتوبة بتاريخ 6 رمضان 1274 = 10 أبريل 1858 يذكرهم فيها بواجبهم ويطلب إليهم أن يكونوا عند إشارة أخيهم الأكبر المولى عبد الله، ويزكي خديمه الحاج محمد الرزيني الذي اجتمع فيه من الأوصاف ما تفرق في غيره، والذي آزره بالحاج بوجنان البارودي... وبعد هذا يذكرهم بواجبهم في الرعاية لسائر من صحبهم من الأصحاب والأتباع، كما يختمها بتقليد عهدٍ من لدن الملوك المغاربة القدامى وهو اشتراء بقعة في الحرام، وهكذا نجده يخصص عشرين ألف ريال بقصد أن يشتري بها حبس في سبيل الله : عشرة منها ما يكون حبساً بمكة ومثلها لما يكون حبسا بالمدينة... وهي من جملة ما حاز الحاج محمد الرزيني ورفيقه فيما حاز من الصائر...

> دار المغرب... وقف على المؤذنين
> بالمسجد الحرام
>
> بأمرٍ من العاهل المغربي السلطان مولاي عبد الرحمن اشتُريت دار بمكة حبس ريعها على مؤذني المسجد الحرام، وقد حرر في هذا الصدد عقد للبيع يعتبر من الوثائق التاريخية والاجتماعية والأركيولوجية بالنسبة للمهتمين بتاريخ مكة...
>
> لقد كانت الوثيقة تحمل طابع قاضي المدينة المذكورة السيد أحمد عزت، واسم الحاج محمد الرزيني الوكيل عن العاهل المغربي بشهادة الحاج صالح بن الشيخ عبد الغني المزبور... ويحتوي العقد على تحديد الدار التي كانت تقع بحارة الشامية سفح جبل الهندي...
>
> وقد تلا هذا العقد عقدٌ آخر للوقف نص على أن أحمد أفندي شيخ المؤذنين هو متولى الوقف وفي حالة تعذر انتفاع المؤذنين فإن فائدة الوقف تعود على الفقراء ويكون النظر حينئذ للحاكم الشرعي للبلاد...
>
> ابن زيدان : الاتحاف 172/126

وعلى عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن توالى إرسال البعثات الرسمية علاوة على القاصدين الذين كانوا يغشون تلك الديار بأعداد ضخمة

كثيرة رغم الأخطار البرية والبحرية، وهذه رسالة بتاريخ 11 ربيع الثاني 1282 = 3 شتنبر 1865 موجهة من السيد العياشي بن محمد بنيس بطنجة إلى قريبه الأمين الحاج محمد بن المدني بنيس تخبره بالباخرة المصرية التي كانت تقل ألفاً وثمانمائة حاج مغربي من ميناء الأسكندرية والتي استحرّ الوباء فيها وهي في عرض البحر حيث استشهد ألف من المغاربة قبل أن يصلوا إلى بلادهم ويخضعوا للحجر الصحي الذي كان قد أُنشيء بالعاصمة الدبلوماسية...

☆ ☆ ☆

ولعل مما يناسب ذكره، ونحن نتحدث عن العلاقات التي تربطنا بتلك البقاع أن نشير إلى المبعوث الذي ورد من الحجاز : محمد بن مسعود الدباغ الحسني الفاسي الأصل المجاور بالحرمين الذي ورد على السلطان مولاي عبد العزيز يطلب مساعدة المغرب في بناء السكة الحجازية الأمر الذي استجاب له العاهل المغربي الذي رأيناه يسهم بمبلغ خمسمائة ألف درهم، حسب رسالة بتاريخ 13 شوال 1320 = 13 يناير 1903 مرفوعة من الطريس النائب السلطاني بطنجة للوزير التركي سعيد باشا.[21]

حول رسالة مهديّ السودان إلى السلطان مولاي الحسن...

لقد شعرت جماعة من السّودان كان على رأسها محمد أحمد بن عبد الله الذي أصبح معروفاً بالمهدي - منذ غرة شعبان 1297 = 9 يوليه 1880 - شعرت بتردّي الوضع في بلادها حيث رأيناها تخوض معارك ضد الإدارة التّركية المصرية التي استعانت في بعض الحملات بالضباط البريطانيين...

والذي يهمنا في هذا العرض الموجز هو الحديث عن مسارّ الدعوة المهدية خارج السودان وخاصة ببلاد المغرب الأقصى.

لم يقتصر المهدي علي اتصالاته مع أقاليم بلاد السودان ولكنه حاول أن يربط له علاقات مع المغرب عن طريق بعض المواطنين ممّن صادفتهم ظروفهم

---

21) وثائق خزانة تطوان الوطنية مح 88/18.

يتعـاطـون التجـارة بين مصر والسـودان حيث صـودرت أمـوالهم وقبض على مساعـديهم من أحرار ومعـاتيـق على مـايفهم من الرسـالـة التي رفعهـا المهـدي بتاريخ 5 رجب 1302 = 20 أبريل 1885 :

وهكذا فقد وصل «المهـدي» مع البنـاني إلى «تسويـة» حيث نقف على الإذن في إرجاع «خال أولاده..!».

ويبدو أنه في هذه الأثناء قام بعض التجار المغاربة المعروفين قـديمـاً في المنطقة، بدافع أو آخر بترشيح المسمّى محمـد الغـالي بن عبـد السّلام للقيـام في مراكش بنشر الدعوة المهدية، الأمر الذي وافق عليه المهدي الذي وجـدنـاه يحرر رسالة بتاريخ 25 رجب 1302 = 10 مايـه 1885 إلى من ينعتـه الخطـاب بوالي فاس السيد الحسن بن محمد بن عبد الرحمن الذي لم يكن في الواقع غير العـاهل المغربي السلطان مولاي الحسن (الأول) !

وقـد أجمل المهـدي في هـذه الرسـالـة الظروف التي أدت إلى ترشيـح السيـد محمد الغالي عاملاً على فاس (كذا !)...

لكن المهـدي ـ يقول البـاحث السوداني الأستـاذ الزميل يوسف فضـل حسـن ـ استدرك الأمر خشية من الولوج في خضم السياسة الداخلية لتلك المـنطقة، فقـال في رسالة له ثانية بتـاريخ 25 رجب 1302 = 10 مـايـه 1885 مخـاطبـاً محمـد الغالي ابن عبد السلام : «ثم انّه لا يخفى عليك أن جهات فاس فيها أكابر من أهل الخير الذين يقتدي بهم في الدّين، فلهذا ولمحبتي اتفاق أئمـة المسلمين في اللـه جعلت تفويض الأمر إليهم...!».

وفي رسالة ثـالثـة بتـاريخ 11 شعبـان[22] 1302 = 27 مـايـه 1885 وجـدنـا المهدي يـدعو هـذه المرة كـافـة أهل مـدينـة مراكش إلى الانخراط في جمـاعتـه وهو يخبرهم فيها بتعيين الطيب البنـاني عاملاً عليهم !!!

---

22) في نفس العام بعث رسالة لا يختلف مضمونها عن الرسائل السابقة إلى عشرة من أمراء شنقيط... يخبرهم بتعيين محمد تقّي الله عاملاً عليهم...
نعوم شقير : تاريخ السودان وجغرافيتـه ـ محمـد ابراهيم أبو سليم : المرشـد إلى وثـائق المهـدي، دار الوثائق المركزية ـ الخرطوم 1969.
يوسف فضل حسن : مسارّ الـدعوة المهـديـة خـارج السودان على ضوء رسـائل المهـدي وخليفتـه، دراسات في تاريخ المهدية، المجلد الأول أعدّه للنشر د. عمر عبد الرزاق النقر 1981 ص 166.

وقد زُوِّد البناني بما يشبه أن يكون رخصةَ مرور كانت تشمل معه أيضاً الشريف ادريس بوغالب «بأولادهم وعائلتهم».

فهل وصلت تلك الخطابات إلى من وجّهت إليه ؟

لقد أوقف الخليفة الأوّل للمهدي عبد الله التعايشي[23] حامل الرسائل الطيب بناني بعد موت المهدي مباشرة عام 1302 = 1885، وظل الرسول في الحبس ردحاً من الزمن..!

لقد ذكر الزميل يوسف فضل حسن أنه لايدري الظّروف التي دفعت الخليفة عبد الله التعايشي لاتخاذ ذلك الإجراء الذي أوقف بلوغ دعوة المهدي إلى المغرب كما كان مرجوّاً لها... ونحن نقول للزميل العزيز :

أولاً : إنه لايوجد ـ على ما في علمي ـ أثر لمثل تلك الرسائل في الخزائن العامة بالمملكة المغربية وبخاصة في الخزانة الحسنية والوثائق الملكية التي تعتبر مرجعاً أساسياً حول هذه المراسلات ولو أنني مع كل هذا أعتقد أن صدى تلك المحاولات وصل إلى مجلس أمير المؤمنين الذي كان على صلة بحركات المشرق آنئذ.

ثانياً : أريد التأكيد على أن معلومات المهدي ـ رحمه الله ـ عن المغرب كانت خاطئة وإلا لما كلّف نفسه عناء التفكير في تصدير حركته إلى بلادٍ أسهمت بل كوّنت عبر الزمن بنية الأسرة السودانية مجتمعاً ومذهباً وطريقةً، الأمر الذي يشهد به انتشار المغاربة في معظم أصقاع السودان على ما هو معروف ومشهور....

ومن المصادفات التي لا تخلو من ملاحظات أن نجد مثل هذه الرسائل تتزامن ومطلع القرن الهجري الثالث عشر[24] الذي وجدنا فيه العاهل المغربي

23) ينبغي أن نذكر بأن المهدي عيّن في منصب خلفائه : عبد الله التعايشي الخليفة الأوّل الذي أعطاه رتبة أبي بكر الصديق، وأعطى منصب الخليفة الثاني لعلي الحلو وجعله في رتبة عمر بن الخطاب، وعرض منصب الخليفة الثالث عثمان بن عفان على محمد المهدي السنوسي، وجعل محمد الشريف في خلافة عليّ...

24) عبد الهادي التازي : الإلمام بمن وافق حكمه للمغرب استهلال المائة عام (مستل من مجلة دعوة الحق بمناسبة عيدها الفضي العدد 23 رمضان، شوال 1402 = يوليه 1982، مطبعة فضالة (المحمدية) المغرب.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم

وبعد فمن العبد المعتصم بالله محمد المهدي بن عبد الله إلى حبيبه في الله السيد الحسن بن محمد بن عبد الرحمن والي فاس وما جاورها وفقه الله

أيها الحبيب مني إليك جزيل السلام ومزيد الاحترام ثم اعلم وفقني الله تعالى وإياك إلى ما يحبه ويرضاه وعصمني وإياك في جناب محبته ورضاه أن الدين خير المرء من نفسه وماله وهو الرفيق الذي ينفعه عند هول المحشر قال الله تعالى لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم الآية والعاقل لا يرى الاسلامة يوم تزل الأقدام ولا ينظر لمتاع الدنيا الذي مآله العدم وإنما يكون مطمح نظره إلى ما عند الله في دار كرامته وأنسه من النعم فإن هذه الدنيا لو كانت ذهبا يفني والآخرة خزفا يبقى [illegible] لاختار العاقل ما يبقى على ما يفنى [illegible] فكيف إذا كان الأمر بالعكس وكيف لا وقد أعد الله فيها لعباده المؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم الدائم الذي لا يشوبه فناء ولا كدر وهذا النعيم الأخروي إنما يتوصل إليه بالزهد في الفانيات والتمسك بسنة سيد المرسلين في جميع الأوقات ولا يخفى ما حصل على الدين في آخر الزمان من الإهانة وتعطيل الأحكام وإهمال العمل بالشريعة المطهرة ولكن المسموع عن أهل جهتكم أنكم أهل خير وإلى الآن متمسكون بشريعة خير الأنام وحيث أنكم كذلك فقد جاءكم الهدي والرشاد ودعاكم داعي الله إلى طريق السداد إذ قد طوقني الله بالخلافة المهدية وأمرني بدعاية الخلق إلى إحياء السنة المرضية وقد لبى دعوتي من أسعده الله بأقطار السودان وأعرض عنها من اشتقاه فأهلكه واشتعلت فيه النيران وقد وفق الله جماعتكم الذين بمصر والصعيد رشادهم فخاطبوني بالتسليم التام للأمر المهدية والرغبة الكاملة في نشرها في الأقطار المصرية وقد التمسوا تولية السيد [illegible] من طرفنا على تلك الجهة [illegible] الخير للمؤمنين فقد حررنا للمذكور بالإمارة على تلك الجهة ولكن فوضنا الأمر لأهلها فإن اتفقت كلمتهم عليه فبها ونعمت وإن اتفقت كلمتهم على غيره من الفضلاء فقد أذنا لهم في ذلك وحيث أنك والي تلك الجهة من سابق وراعي أمرها فقد حسنا بك الظن وخاطبناك بهذا التبشير لكي تبادر إلى الفلاح وفوزك ونجاحك وتجيب دعوتنا على إقامة الدين وجهاد أعداء الله الكافرين وإن اتفقت كلمة أهل البلد على توليتك عليهم من طرفنا فقد وليناك عليهم ولكن تكونا مع السيد الغالي المذكور يدا واحدة ونفسا واحدة وتحابوا في الله ولا تتنافروا فإن المقصود واحد وهو إقامة الدين [illegible] وإن اتفقت كلمة أهل البلد على غيرك سواء كان الغالي المذكور أو غيره من المسلمين فكن أنت كرجل منهم ولا تكترث بزوال الملك فإن ذلك رحمة من الله حفك بها ألم تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذمه في غير ما حديث وقال عليه السلام في الإمارة أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها عذاب يوم القيامة إلى غير ذلك من الأحاديث التي لا تحصى وحيث كان أمر الإمارة كذلك فلا تحزن لفواتها واعلم أنك إن أجبت دعوتنا فأنت مقبول ومكرم عندنا ومنا والينا دنيا وأخرى وأبشر بخير الدارين وحرز مجيئي عليك أن تعمل بالكتاب والسنة وأن تنفذ جميع ما في الأوامر المحررة إلى أهل جهتك وليكن في علمك أن [illegible] قريب إن شاء الله حاصن بحرب الله للجهات المصرية فإن أمر السودان قد انتهى فإن بادرت أمري هذا بالتسليم وطلبت سلامتك عند الله وما رثت ما في الآخرة من النعيم فقد حزت السعادة الأبدية وأمنت على نفسك ومالك وعرضك [illegible] ومن يجيب الدعوة معك وإن أبيت إلا الإعراض عن طريق الرشاد فإنما عليك إثمك وإثم من معك وأمر الله واقع وفيما هو مسطر لك في الأوامر الواصلة

[illegible]

صورة من خطاب الإمام المهدي إلى الملك الحسن الأول

الملك الحسن الأول يصدر وصيته إلى الولاة مذكّراً بمركزه الشرعي في الخلافة ومشيراً إلى نفسه كمجدّد على رأس المائة سنة...

هذا إلى الوفادة التي بعث بها العاهل إلى حاضرة الفاتيكان تهنيء البابا ليون... والتي كانت تمثل ـ على ماذكرته المصادر الأروبية الخلافة الإسلامية بالرغم من حضور مصر وتركيا وإيران...[25]

علاقات المملكة المغربية
بمملكة (حيدر آباد)

لم تقتصر صلات المغرب على القارة الإفريقية والأروبية والأمريكية ولكنها تعدّت ذلك إلى القارة الأسيوية إلى بلاد السند والهند...

ونحن نتحدّث هنا عن أيام السلطان مولاي الحسن 1290 ـ 1311 = 1873 ـ 1894 الذي سجل عهده تعرف المغرب على معظم الدول التي عرفها المعمور آنذاك في أمريكا الشمالية وأمريكا الوسطى والجنوبية...

وها نحن مع دولة حيدر آباد التي استقلت منذ سنة 1724 بفضل جهود «نظام الملك» حاكم أسعف شاه الذي شارك أبناؤه وأسباطه في الحرب الفرنسية الإنجليزية للقرن الثامن عشر....

وقد ظل «نظام» حيدر آباد هو الأقوى في أمراء الهند الشرقية المستقلة بالنسبة للإدارة الداخلية...

ومن حيدر آباد (الدّكن Decan) ـ صانها الله تعالى عن الفتن والمحن ـ بعث محمد نظام الدين حسن عن بلاط حيدر آباد إلى سلطان المغرب مولاي الحسن رسالة بتاريخ 4 جمادى الثانية 1315 = 31 اكتوبر 1897 كلُّها عاطفة وود،

(25 Mohamed IBN AZZUZ une Embasada Marroquie en el Vaticano Cuadernos de Estudios Africanos Nadin 1949 N° 5 P. 73-84.

دعوة الحق العدد 268 رجب 1408 = مارس 1988 V. Caillé : Ser le Rapports de Maroc Avec le Saint-Siège H.T. 1961 Vol X Fasc. 1-2 – P. 9194.

وقد أُصحبت هذه الرسالة بهدية لطيفة كانت عبارةً عن يومية سنوية تسجل الأَحداث الهامة طوال الشهور، وقد كان حاكم حيدر آباد يقصد بهذه الهدية إشراك العاهل المغربي في التفكير في نفس ما يفكر فيه إخوانه في القارة الأسيوية كلّ يوم...[26]

علاقات المغرب بسائر البلاد الإفريقية

بالرّغم من أنّنا لم نقف على اتفاقياتٍ مكتوبة بين ملوك المغرب على هذا العهد وبين قادة الأقاليم التي تتاخم الصحراء المغربية، بالرغم من ذلك فإنّ أحداً لا يمكنه أن يتجاهل الصلات القوية التي تربط المغرب الأقصى بتلك الجهات بالرغم من توجُّه الأَطماع الأروبية إليها هي الأُخرى، فقد استمرت تدعو على منابر مساجدها الكبرى، كلَّ ظهر يوم جمعة، لملك المغرب تذكره باسمه ولقبه... سجل هذا حتى الأَجانب الذين كتبوا عن تلك الجهات...

كما أن أحداً لا يسعه أن ينكر تأثر تلك الجهات بطريقة الرسم المغربي للحرف العربي، وبعادة التمسُّك بالمذهب المالكي كوسيلةٍ لِمَعرفة الإسلام...

هذا علاوةً على العادات والتقاليد التي تظل نسخةً طبق الأَصل مما عرف في ديار المغرب...

وقد دأب الأَفارقة في تلك الجهات على أن يختاروا المغرب أداة وصل بينهم وبين الأَماكن المقدّسة، حيث نجدهم يقومون بزيارة ملوك المغرب عند الذهاب والأَيّاب وفيهم من سجلت عنه روائع القصائد التي تفيض بالعواطف التي يكنها المسلمون هناك لملوك المغرب...

ومعظم أولئك الجيران كانوا يجدون من واجبهم أن يزوروا مدينة فاس حيث ضريح الشيخ أحمد التيجاني الذي تدين له بعض الجهات كداعية إسلاميٍّ

26) وثائق خزانة تطوان رقم مح 47/63.

كبير... والذي أصبح نتيجةً لذلك جسراً من الجسور التي تربط المغرب ببلاد السودان.

ولا ننسى أن نشيد أيضاً بأثر تلك الجهات على ديارنا في عاداتها وفي سلوكها وفي ثقافتها وهكذا فقد كنا نشعر بأنه يوجد هناك تجاوب قويّ بين الشمال والجنوب في كلّ مناحي الحياة...

ونرى من المفيد أن نذكر في ختام هذا العرض الموجز بأن جمهورية ليبيريا (Le Liberia) بعثت بتاريخ 15 يبراير 1888 = 2 جمادى الثانية 1305، بواسطة سفيرها المقيم في لندن تلتمس من السلطان مولاي الحسن (الحسن الأول) بواسطة نائبة في طنجة محمد الطريس الموافقة على اعتماد المستر ماكلين كقنصل عامٍّ لجمهورية ليبيريا بالمملكة المغربية.



بين فرض الحماية واسترجاع الاستقلال

- ملحمة الـ 44 سنة من 1912 إلى 1956.
- أيام فاس الدامية وحرب الريف والسهول والجبال والصحراء.
- التحام الملك والشعب والمطالبة بالاستقلال.
- نفي جلالة الملك محمد الخامس وإعلان الثورة.
- قضية المغرب بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي
- عودة جلالة الملك إلى عرشه.
- استرجاع الاستقلال، وتصفية الوجود الأجنبيّ.

ملحمة الـ 44 سنة...

1912 ـ 1956

كلُّ تلك القرون الماضية بما عرفتْه من «وجود» لنا متميّز على الساحة العالَمية، «وجودٍ» بسفرائنا ومواقفنا وآرائنا واتّفاقياتنا التي أسهمت بنصيبٍ وافر في بناء المجموعة الدّولية، كلّ ذلك الوجود العملاق، حاولتْ معاهدة الحماية أن تنسينا إياه وأن تنسفه على مرأىً ومسمع من العالم الذي يزخر أرشيفه بمئات الوثائق التي تحكي عن أُمّةٍ أَصيلةٍ عريقةٍ ضاربة في جذور التاريخ...

وهكذا وبكلّ بساطة وجدنا أن الفصلين الخامس والسادس من عقد الحماية الموقّع بفاس (11 ربيع الثاني 1330 = 30 مارس 1912) ينصان على أن «المندوب المقيم العام هو الواسطة الوحيد بين جلالة السلطان ونواب الأَجناس...» وهكذا أمست السفارات الفرنسية هي التي تتحدث باسم هذا المغرب !!

وقد فوجئت البعثة الفرنسية يوم 17 أبريل ـ ولما يمض على توقيع الاتّفاقية ثمانية عشر يوماً، فوجئت بالثورة العارمة التي انطلقت من الثّكنة العسكرية بفاس لتأتي على كلّ ما تجده في طريقها من أَجانب ! وقد انضمت إلى الجنود الثوار حشودٌ غفيرة من سكان المدينة : خمسة وستون قتيلاً من بينهم إثنا عشر ضابطاً فرنسياً... تلك كانت حصيلة الأَيام التي حملت في التاريخ إسم «أيام فاس الدامية» فكانت بذلك طالعَ نحس على عقد الحماية !!

وعلى عكس ما سمعناه وقرأناه عبْر التاريخ من نعوتٍ جميلة لفاس عن عبد الواحد المراكشي الذي نعتها بأنها : بغداد المغرب !! وابن أبي زرع الذي قال عنها : إنها دار علْم على مرّ الزمان، ولُوبليش الذي ذكر أنها تضاهي أثينة في أوربا...

على عكس ذلك وجدنا الجنرال موانيي Moinier يعطي لفاس وصفاً لم تعرفه في تاريخها الحضاري الطويل، لقد قال عنها ـ ظلماً وعدواناً ـ إنها «المدينة المجرمة !».[1]

وقد كانت تلك الأحداث مما عجّل بمقدم أول مقيمٍ عام لفرنسا بالمغرب في شخص الجنرال ليوطي الذي اتخذ من دار المنبّهي في قلب المدينة محلّ إقامةٍ له !!

فهل خفت صوت الثورة ؟

لم تكن أيام فاس «الدامية» إلا إيذانا بأيام مماثلة في جهات أخرى !! في كل مدينة وفي كل قرية، في البادية والسهول والجبال والصحراء...

وهكذا سمعنا عن ثورة رجال الجنوب ورجال الشمال، وسمعنا عن المعارك والملاحم، وما انفكت الصحف والمجلات الفرنسية تتحدث عن المقاومة المغربية التي اندلعت في سائر النواحي... وهكذا كنا على موعد كل يوم مع الركن الذي يتحدث ـ في الصحافة ـ عن عمليات التهدئة في المغرب (La Pacification au Maroc) ونحن نعلم سلفاً عن المدلول الذي توحي به كلمة (باسِيفِيكاسْيُون) من فرض حالات الاستثناء وشن غارات الإحراق والإبادة والقمع والفتك..!

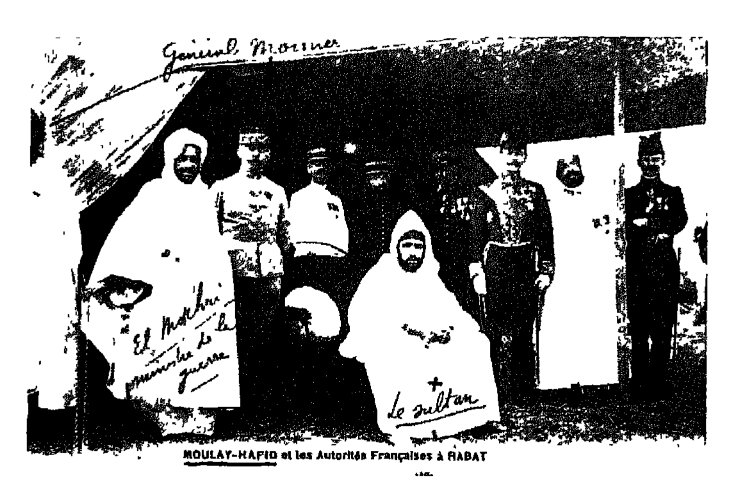
لقد غدا السلطان مولاي حفيظ غير متحمّل للاستمرار في الحكم بعد أن شعر بأنه جُرد من كل شيء ! وهكذا بارح مدينة فاس إلى الرباط صبيحة يوم الخميس 20 جمادى الثانية = 6 يونيه 1912 ولم يلبث أن تنازل عن العرش يوم 27 شعبان 1330 = 11 غشت 1912 «لأسباب صحية»، حيث أُخذ طريقه في نفس اليوم إلى باريز على متْن سفينةٍ فرنسية !!

---

1) Hubert – Jacques : Les Journées Sanglantes de Fes, Librairie Chapelot, Paris 1913.

A.G.P. Martin : Quatre Siècles, Histoire Marocain. Paris 1923, P. 566.

د. عبد الهادي التازي : الحماية الفرنسية بدؤها، نهايتها، مطبعة دار الرشاد الحديثة، البيضاء 1986.



السلطان مولاي حفيظ مع السلطات الفرنسية بالرباط

وهنا وقع الاختيار على أخيه الأمير مولاي يوسف الذي تلقّى بيعة أهل الحل والعقد يوم 29 شعبان = 13 غشت من نفس التاريخ...

لقد وُزّع المغرب بمقتضى هذا الوضع الجديد على مناطق، فهناك المنطقة الخاضعة للحماية الفرنسية، وهناك منطقة الشمال الخاضعة للنفوذ الإسباني والتي ينوب فيها عن العاهل المغربي خليفته...

خليفة السلطان في منطقة الشمال

لما تم عقد الحماية أبرمت فرنسا مع اسبانيا اتفاقيةً من تسعة وعشرين بنداً وبمقتضاها قامت الدولة الإسبانية باحتلال مدينة القصر الكبير والعرائش وأصيلا... وهنا أصدر السلطان مولاي يوسف ظهيره بترشيح الأمير مولاي المهدي بن مولاي اسماعيل ابن السلطان سيدي محمد بن السلطان مولاي عبد الرحمن لِمنصب الخلافة عنه في المنطقة الإسبانية، وهذا نصّ الظهير اليوسفي :

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

يعلم من كتابنا هذا ـ رفع الله قدره... أننا قد رشحنا مولاي المهدي بن عمنا المرحوم مولاي اسماعيل لوظيفة خليفة عن جنابنا العالي بالله في المنطقة المعينة في الفصل الأول من الاتفاق الإسباني الفرنساوي.. بتاريخ 27 نونبر من سنة 1912 من التاريخ المسيحي ومنحنا المذكور مصادقتنا وبمقتضى ما هو مذكور مقرر في الفصل المذكور نعهد إليه **باقتداراتنا** في المنطقة المنوّه عنها بشكل مستمر متواصل ليقوم **بإدارة الشؤون** بصفة **ينمو معها** سلطاننا ونفوذنا في مقاطعات إيالتنا الشريفة تلك التي يوجد مندوباً لنا ها بنوع دائم، فنأمره أن يقوم بما عهد إليه في هذه الخلافة بالشكل الأتم مستعملاً كل الاجتهادات للحصول علكينة العامة والنظام الأحسن، منحه الله معونته وهداه سبيلَ الشريعة ووفقه لطريق الاستقامة، والسلام في 6ثانية عام 1331 موافق 14 مايو سنة 1913م.

عن عمدة الراوين في تاريخ تطاوين للفقيه أحمد الرهوني.

وهناك المنطقة الدولية : طنجة التي «سيفوض» فيها العاهلُ سلطته إلى المندوب...

ومع كلّ هذا لابد أن نلاحظ منذ البداية أن العاهل المغربي ظل يعتبر نفسمتمتعاً بسيادته، ونفس الشعور كان يسود المجتمع المغربي... والناس جميعاً يعيشون مع الأمر الواقع في انتظار الغد..!!

وبهذا نفسّر بعض «المستجدات» التي كانت تشهدها الساحة المغربية مثل توقف اعتماد القناصل الأجانب على موافقة المخزن وظهير السلطان...[2] لاستمرار في عادة تقبل ملك المغرب للأوسمة التي ترفع إليه من الملوك والرؤساء الأمر الذي كان يشعر باستمرار الوجود المغربي على الصعيد الدولي...[3]

يضاف إلى كلّ هذا ما كنا نقرأه ونسمعه عندما تقوم شخصية كبرى بزيارة المغرب على نحو ما رأينا عند استقبال جلالة السلطان مولاي يوسف لجلالة ملك بلجيكا ألبير الأول الذي زار صحبة عقيلته، المملكة المغربية عام 1916 ـ 1917 حيث وشحه السلطان مولاي يوسف بالحمالة الكبرى للوسام العلوي.[4]

ومع هذا لم يفت المعلّقين أن يلاحظوا احتجاج العاهل المغربي ضد بعض المحاولات التي لم يرتضها أو التي كان يرى فيها مسّاً بالمقومات المغربية...[5]

☆ ☆ ☆

---

2) رسالة الوزير الكَبّاص للقنصل البلجيكي بتاريخ 2 ذي الحجة 1330 = 12 نونبر 1912 ـ ظهير مولاي يوسف بتاريخ 2 شعبان 1334 = 4 يونيه 1916 ـ ظهير السلطان سيدي محمد بن يوسف حول ترشيح ملك إيطاليا. وأمبراطور الحبشة للقنصل بتاريخ 2 ربيع الأول 1358 = 22 أبريل 1939.

3) أهدى أمبراطور الرُّوسيا للسلطان مولاي يوسف وسام أليكساندر، وقد حمله المبعوث الروسي من طنجة إلى فاس لإبلاغ ذلك رسمياً للحضرة الشريفة التي استقبلته استقبالاً رسمياً في قاعة السفراء بدار المخزن (جريدة السعادة عدد 9 نونبر 1916) هذا إلى استقبال السلطان مولاي يوسف للسفير البريطاني الذي ورد يحمل إليه وساماً سامياً من بلاد أنجلترا...

4) جريدة الأنباء المغربية 21 اكتوبر 1968.

5) د. التازي : جامع القرويين، مجلد 3 ص 743 طبعة دار الكتاب اللبناني ـ بيروت 1972 ـ نضال السلطان مولاي يوسف من أجل حق المغرب الدّبلوماسي مجلة (اللقاء) المغربية عدد 11 مارس 1969.



جلالة السلطان المولى يوسف بن السلطان الحسن يستقبل ملك بلجيكا البير الأول (Albert) الذي زار المغرب سنة 1921 صحبة زوجته الملكة.

ويلاحظ المارشال ليوطي إلى جانب زوجته وقد وقفت إلى جانب الزوار جوقة (الخمسة والخمسين) التي عزفت على شرف الزائرين نوبات من الطرب الأندلسي.

الصورة عن مجلة (فرانس ماروك نونبر 1921).

وإلى جانب هذا قرأنا عن اعتصام عدد من الوطنيين الصادقين المخلصين بالجبال لإعلان الجهاد... وتندلع حروب الريف عام 1921، بزعامة البطل محمد بن عبد الكريم الذي أعلن عن مصرع الجنرال سيلڤيستر في معركة أنوال الشهيرة 21 يوليه 1921...[6]

---

6) من أشعار المغاربة في حرب الريف رائية للمؤرخ السليماني يقول في مطلعها :

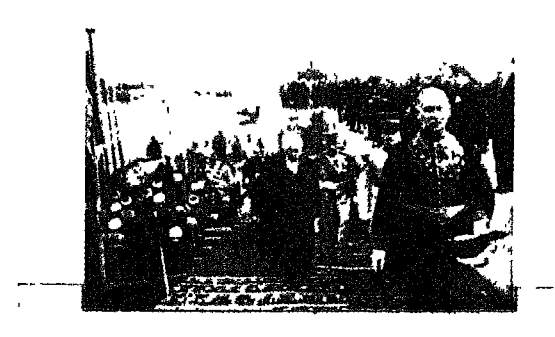
دع الفتيات يمرحن في القصور ويمم مسعفاً وادي النكور !!

وفائية للحاج محمد الناصري بمناسبة عيد المولد والحرب الريفية على أشدها :

سل البرانس والتسول وجاية والسبت والكيفان والاكتافا

تلك المواقع حطمت أبطالهم وأرثهموا من ويلها أصنافا

أحمد سكيرج : الظلّ الوريف في محاربة الريف مخطوط بخزانة أسرة سكيرج أطلعني عليها مشكوراً الأستاذ الزميل عبد الكريم حفيد المؤلف... ملحق العلم الثقافي 22 يوليه 1977.





زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية للمغرب 1922

تزامنت زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية السيد أليكساندر ميّيران (A. Millerand) للمملكة المغربية (9 أبريل 1922) مع مرور عشر سنوات على قيام نظام الحماية...

وفي أثناء الحديث الذي دار بين جلالة السّلطان مولاي يوسف وبين الرئيس ميّيران بالخيمة الملكية بالدار البيضاء، عبر الرئيس عن سروره بالاجتماع بالعاهل مجدّداً شكر فرنسا للشعب المغربي على المساعدة القيمة التي قدمها المغرب لفرنسا خلال الحرب...

وبعد أن وصل الرئيس الفرنسي لمدينة الرباط زار جلالة الملك السلطان مولاي يوسف الذي استقبله على نحو ما استقبل الممثلين الدبلوماسيين بطنجة : بلجيكا، بريطانيا، إيطاليا، الولايات المتحدة، البرتغال...

وفي قاعة العرش ألقى جلالة السلطان مولاي يوسف كلمةً أمام الرئيس الفرنسي، ذكّر فيها على الخصوص باحترام المارشال ليوطي لمشاعر المسلمين وتقاليد البلاد ومدّه يد المساعدة التي «لا تتنافى والمسؤوليات التي نتحملها بصفتنا أميراً للمؤمنين... والتي كذلك لاتمس بمؤسساتنا ولا بعاداتنا... انه لا يمكن أن نترك، في صمت، حقوق العرش الشريف التي لا ينبغي تعطيلها والتي تتصل بصيانة مملكتنا وممارسة امتيازاتنا السّامية التي نؤكّد عليها أمامكم.!!»

وفي جوابه على خطاب العاهل المغربي قال الرئيس الفرنسي على الخصوص، إن هذه النتائج يرجع تحقيقها في الأوّل إلى جلالة السلطان الذي يُفضّل مصالح شعبه على مصالحه الشخصية، وراجع كذلك إلى التعلق المتين والّلا متناهي للشعب المغربي بعاهله...»

وبعد تبادل الخطب أقام العاهل بالقصر الملكي حفل شاي على شرف الرئيس الفرنسي قبل أن يودع الرباط في اتجاه الجزائر عبر مكناس وفاس وتازة.

RENSEIGNEMENTS COLONIAUX
Supl de L'Afrique Française de Mai 1922 : Le Voyage du Président de la Republique dan L'Afrique du Nord

تضاف إلى كل هذا حركات التوعية التي انتشرت في المغرب عن طريق بعض المصلحين من أمثال الشيخ أبي شعيب الدكالي.....[7]

وحتى نأخذ فكرة عن التجاوب بين حركات النضال في المغرب والمشرق ينبغي أن نذكر بأنه بالرغم من المنشور الأول للثورة العربية الكبرى بتاريخ 16 يونيه 1616 والذي بعث لعددٍ من الشخصيات السامية منها السلطان مولاي يوسف، فقد ظل نَفَس المغرب مع تركيا بالرغم مما كان له من مواخذات عليها...[8]

ومن المهم أن نشير هنا لتقريرٍ إنجليزي سري حصلتُ على صورته من الأرشيف البريطاني يتحدث صاحبه مستر كلارك كين (KLARK KEN) القائم بأعمال المعتمد البريطاني في طنجة إلى وزير الخارجية ماركيز كورزون (CURZON) بتاريخ 8 دجنبر 1921 عن زيارته الأخيرة إلى المحمية الفرنسية وعن دهشته البالغة عن الدعاية الموالية للإسلام التي تنظمها في الوقت الحاضر السلطات الفرنسية والصحافة الفرنسية بشأن الاتّفاقية المعقودة مع حكومة أنقرة... وأن تلك السلطات تستغل الاتفاق كأساس تبني عليه الادعاء بأنها وحدها صديقة المسلمين الحقيقية...!

وفي ذات الوقت فقد فهمتُ من الدكتور الأُسترالي ڤيردون (VERDON) الذي عاد من فاس أن دعاية مماثلة ضد جلالة ملك بريطانيا شاهدها في ذلك المكان ومن المعلوم أن د.فيردون قضى سنوات عديدة بفاس عندما كان طبيباً للسلطان مولاي عبد العزيز الذي كان يوادّ به بعض المرضى من أُحبّائه...[9]

لقد باعت أنجلترا المسلمين إلى اليونان وغدرت بالأتراك... كما فرضت على العراق أميراً أجنبياً عنهم... وبدأ أغلب سكان فاس يخضعون للمؤثرات التي تفرض عليهم..!

7) محمد الجزولي : ذكريات من ربيع الحياة، مطبعة الأمنية، الرباط 1391 = 1971.
8) المجلة التاريخية المغربية، تونس، العدد 8/7 يناير 1977.
9) Fo 371 – 70 86 P. R. O. ابراهيم شحاتة حسن : أطوار العلاقات المغربية العثمانية، المعارف الأسكندرية، 1981 ص 520 د. التازي : رسائل مخزنية 1979 صفحة 57.

رسالة من السلطان مولاي يوسف بن الحسن
إلى الشريف حسين
12 شوال 1334 = 22 غشت 1916

ورد في «الرحلة المكّية بالنيابة عن الجلالة اليوسفية في تهنئة جلالة الملك حسين وتأسيس أوقاف الحرمين التريفين، للقاضي أحمد سكيرج نص الرسالة التي بعثها العاهل المغربي إلى أمير مكة الذي نعته «بابن عمنا...»

وقد هنَّأه بما خوَّله الله من الاستيلاء على عرش المملكة بتلكم الأنحاء الحجارية، وفي الحقيقة نهنىء أنفسنا وسائر المسلمين برجوع السيطرة العربية إلى مقرها الأسنى... وقد تفاءلنا خيراً بهذه النهضة الإسلامية الميمونة... إذْ تسنَّى في هذه السنة المباركة للوفد المغربي الوصول إلى بيت الله الحرام... بعد انحباسه عن ذلك مدة عامين... وحيث زالت بحمد الله موانع المواصلة اغتنمنا الفرصة لتوجيه أحد أعيان علماء العاصمة الفاسية... السيد أحمد سكيرج... لرفيع حضرتكم نائباً عن جنابنا العلي بالله في تجديد الروابط الودية والتذكير فيما مضى لسلفنا الطاهر، مع سلفكم الصالح من المصاهرة التي ما زالت آثار بركتها ظاهرة وبادية، وعزّزناه برئيس إدارة التشريفات بأعتابنا العاليه الطالب عبد القادر ابن غبريط، وكلفاهما بالمذاكرة مع جنابكم المحبوب في كيفية إنجاز ما شرح الله إليه صدرنا من تأسيس وقْف هناكم إقتداء بأسلافنا الكرام... ليمضي فيه بعد المذاكرة على وفق ما تشيرون به إن شاء الله...



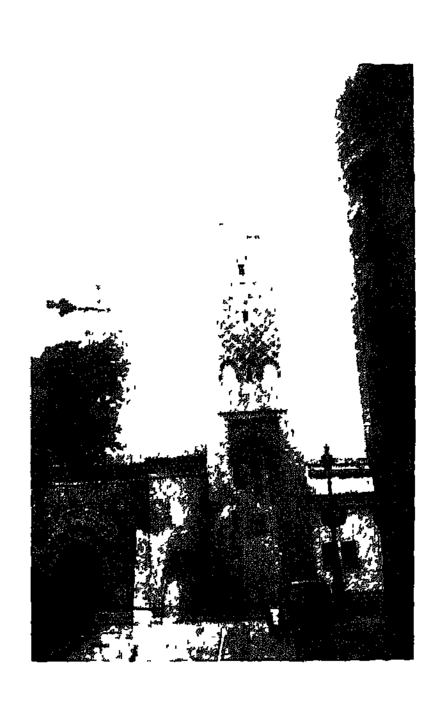
السلطان مولاي يوسف في تدشين مسجد باريز وخلفه الحاجب الفقيه عبابو بينما وقف في أقصى الصف وزير الأوقاف الفقيه السيد أحمد الجاي ويرى الحاج محمد المقري في الوسط..

زيارة السلطان مولاي يوسف بن الحسن لباريز

قام السلطان مولاي يوسف بن الحسن بزيارة لباريز عام 1926 حيت استقبله رئيس الجمهورية الفرنسية يوم 12 يوليه 1926 بمحطة ليون، علاوة على استقباله من لدن رئيس مجلس الشيوخ ومجلس النواب والوزراء ورئيس المجلس البلدي...

وبهذه المناسبة قام العاهل بتدشين مسجد باريز على ما أشرنا إليه في المجلّد التاسع وكان من حطاب الافتتاح :

وإذا جئنا بصفتنا أمير المؤمنين لتدشين المعهد الإسلامي وجامع باريز فلكي نعرب عن إحساسات إخواننا الكثيرين مؤكدين تشكراتنا على مساعدة الجمهورية الفرنسية ومساعدة الذين اكتتبوا من سائر أعضاء الجامعة الإسلامية... إن الفكرة الأُولى لإنشاء مسجد في فرنسا كانت في عهد جدّنا السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي ضمّن الاتفاقية المغربية الفرنسية عام 1180 = 1767 هذا المعنى...».



عندما وقفنا أمام صومعة مسجد باريز لأوّل مرة يوم 12 غشت 1952 كنا نتصور أننا في مدينة من المدن المغربية... لقد كان أول خطيب للجمعة فيه هو القاضي الأديب أحمد سكيرج الذي رافق ركب السلطان مولاي يوسف والذي تنسب إليه أيضاً سائر الأشعار التي نقشت على جدران الجامع... من مذكّرات رحلتي الأُولى لأُروبا.

وقد تتبع المغاربة أصداء الزحف التركي بقيادة مصطفى كمال - على الجيش اليوناني - إلى أن تم تحرير أراضي الأناضول واحتلال أزمير وباقي السواحل التركية يوم 9 شتنبر 1922...

وينبغي كذلك أن نشير إلى الدالية التي أنشدها الشاعر المغربي الجزولي ويقول في أولها مشيراً لجروج لويس وهو رئيس مسنّ لوزراء أنجلترا على ذلك العهد.

ضراغمة الإسلام أرعبتُم العدا وأسقطتم شيخاً وراهم ترصدا !
ولم تَكُنِ اليونان في حربها سوى قناعٍ تـوارى خلفَه مبْعثُ العداء

السلطان سيدي محمد بن يوسف أو الملك محمد الخامس

ولقد كان في صدر ما واجهه مما فتح عيونه جيّداً على الانحراف الذي وقعت فيه الإدارة الفرنسية، محاولة هذه الأخيرة خلْق كيانٍ جديدٍ داخل الدولة المغربية بهدف تمزيق الوحدة التي عاشتها البلاد طوال القرون الماضية، ومن هنا كان المرسوم الذي حمل في التاريخ اسم الظهير البربري عام 1930 والذي هزّ البلاد عن بكرة أبيها... ودوت أصداء هذه «الانتفاضة» في مختلف الجهات بخاصة في العالم الإسلامي الذي شجب الموقف بواسطة المقالات والمؤلفات التي كانت تصلنا سرّاً...

وتبعت تلك الانتفاضة مثيلاتٌ لها أقوى وأعنف فكانت مظاهرات 1936 التي تبعتها مظاهرات 1937 بما صحبها من نفي الرئيس علال الفاسي.[10]

10) كان من مظاهر المقاومة التي تطوعتُ بها شخصياً آنذاك، إنشاء سلسلة مقالات بعنوان : «إخواننا المغاربة !» وعنوان «صوت الوطنية المغربية» وبتوقيع «لجنة الرابطة الشعبية» نشرتها جريدة «الإدارة» التونسية بتاريخ 18 دجنبر 1937 - 27/20/7 يناير 1938 كنت أرسلها بواسطة البريد الإنجليزي إلى أن منعت الجريدة من الدخول للمغرب. ولقد كنتُ أجد متعة وأنا أسمع إلى بعض الرفاق وهو يتحدث عن «لجنة الرابطة الشعبية...»

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

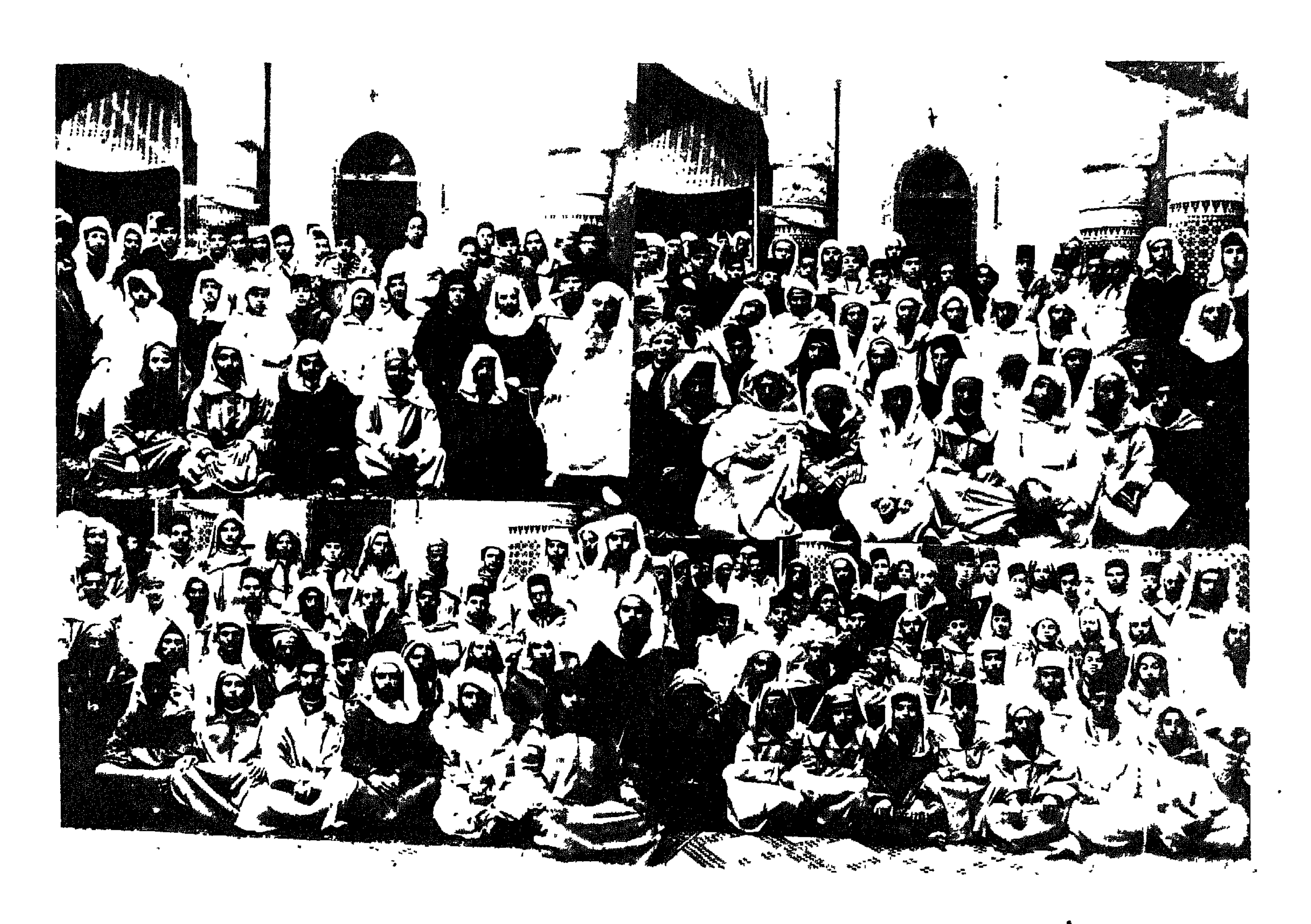
خديمنا الأرضى الحاجب محمد المعمري بن يعيش سلام
عليك ورحمة الله أما بعد فقد وصلنا التلغراف
الذي أعلمتنا فيه بالبشرى الذي أكرمنا الله به
له الحمد والشكر على فضله الجم آمنه سبحانه وليجعل
النسل الذكور تتعدد ولا تحصى وقد أجبناك اليوم
بالتلغراف لتعلموا الآن عن هذا ونحب أن تطلعنا دائما
على صحة وعناية القابلة الفرنسوية إن لا وكيف
كانت حالته الصحية وابننا المولى الحسن حيث
نتشوف عن الجواب [illegible] والسلام [illegible]

محمد بن يوسف

عندما كان السلطان سيدي محمد بن يوسف يقوم بأول زيارة خاصّة له لفرنسا تلقى برقية تخبر بازدياد ولده (مولاي الحسن) أول صفر 1348 = 1929/7/9، وجواباً عن هذه البرقية بعث في اليوم الموالي بهذه الرسالة إلى الحاجب ابن يعيش يشكر الله على فضله الجمّ ويسأل عن الحالة الصحية للمولود...



عندما كان السلطان سيدي محمد بن يوسف يقوم بزيارة خاصة أُخرى لفرنسا تم لقاء بينه وبين الأمير سعود بن عبد العزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية، (جريدة السعادة 3، يونيه 1937).



أعضاء الحركة الوطنية بعد خروجهم من السّجن عام 1936 بفاس (المغرب) إثر المظاهرات العارمة للمطالبة بتحرير الزّعماء الثلاثة : محمد علال الفاسي ـ محمد بن الحسن الوزاني ـ محمد اليزيدي.
يلاحظ أن الصورة تتكون من أربعة أقسام، وقد ظهر في القسم الأوّل على اليمين من الجالسين بالصف الأوّل : عبد العزيز بن ادريس ـ محمد بن الحسن الوزاني ـ محمد علال الفاسي ـ أحمد الوزاني ـ إبراهيم الكتاني ـ إبراهيم الوزاني ـ عبد الهادي الشرايبي... وممن ظهر في هذه الصورة الفقيه بن عبد الله والهاشمي الفيلالي وحمدان التازي وعبد الوهاب بن منصور وإدريس الجاي ويظهر في القسم الأعلى على اليسار المهدي بن سليمان وحمزة التسولي وحماد بوعياد ومحمد السّباعي... وممن ظهر في القسم الأسفل على اليمين أحمد المصمودي وعبد الله الحبابي وعبد السلام بن عبد الجليل... وظهر في القسم الذي على اليسار من الجالسين امحمد بناني وإدريس الرّيفي وعبد الهادي التازي (مؤلف هذا الكتاب)...

وعلى نحو ما كان في الحرب العالمية الأُولى فإن المغاربة شاركوا ـ بشجاعة ـ في الحرب العالمية الثانية التي اندلعت شرارتها عام 1940 وقد رأينا أن الجنرال دوكَول يستقبل الملك محمد الخامس كرفيقٍ له في حمل وسام التحرير... إلا أن المغاربة أخذوا يتساءلون عن «الفوائد» التي يحصلون عليها من تلك المناصرات ؟ ! إن كلاً من فرنسا واسبانيا ماضٍ في طريقه نحو إحكام القبضة على هذا المغرب !! وليس للعمل على الخروج به من المحنة التي يعيشها... ويجب أن نذكر هنا أنه عندما تقدم سمو الأمير ولي العهد مولاي الحسن للباكالوريا عام 1947 ـ أي بعد خمس وثلاثين سنة من نصب الحماية ـ لم يكن بالمغرب كله غير أربع ثانويات... لقد كانت الإقامة العامة تخاف حقا من تعليم المغاربة ! ومن هنا ابتدأ الصراع على أشده بين الإقامة العامة والقصر الملكي الذي كان يعززه إجماع الشعب المغربي....

وبمقدار ما كانت الإدارة الاستعمارية مقتنعةً بأن خططها قمينة بتوفير عمر لها أطول، بمقدار ما كان العاهل المغربي يؤمن عميق الإيمان بأن المغرب في طريقه لا محالة إلى استعادة استقلاله.!!

ولما حاولت الإدارة أن تربط المملكة المغربية بوزارة المستعمرات الفرنسية تعالى صوت احتجاج السلطان سيدي محمد بن يوسف على نحو ما كان عندما حال دون أن يكون للفرنسيين تمثيل سياسي في المغرب !!

وقد اتسم موقف الملك محمد الخامس أثناء نزول القوات الحليفة بالمغرب (عملية طوروش 8 نونبر 1942) بالحكمة والتعقل الأمر الذي أعاد إلى ذاكرة القادة أصالة المغرب ومكانته ومركزه...

وهنا سجل التاريخ اللقاء المثير الذي تمّ في أنفا (الدار البيضاء) يوم 22 يناير 1943 بين جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف وبين الرئيس الأمريكي روزڤيلت والوزير البريطاني الأوّل تشورشيل....

وفي نهاية المأدبة تمسك الرئيس الأمريكي بالعاهل المغربي ورجاه أن يبقى بعد أن انصرف المدعوون بمن فيهم المقيم العام الفرنسي...

وهكذا بقي الملك محمد الخامس ومعه ولي عهده مولاي الحسن بالإضافة إلى الوزير البريطاني الأول وروبيرت مورمي ممثل الولايات المتحدة في إفريقيا الشمالية...

يقول جلالة الملك الحسن الثاني في كتابه «التحدّي» عن هذه المقابلة :

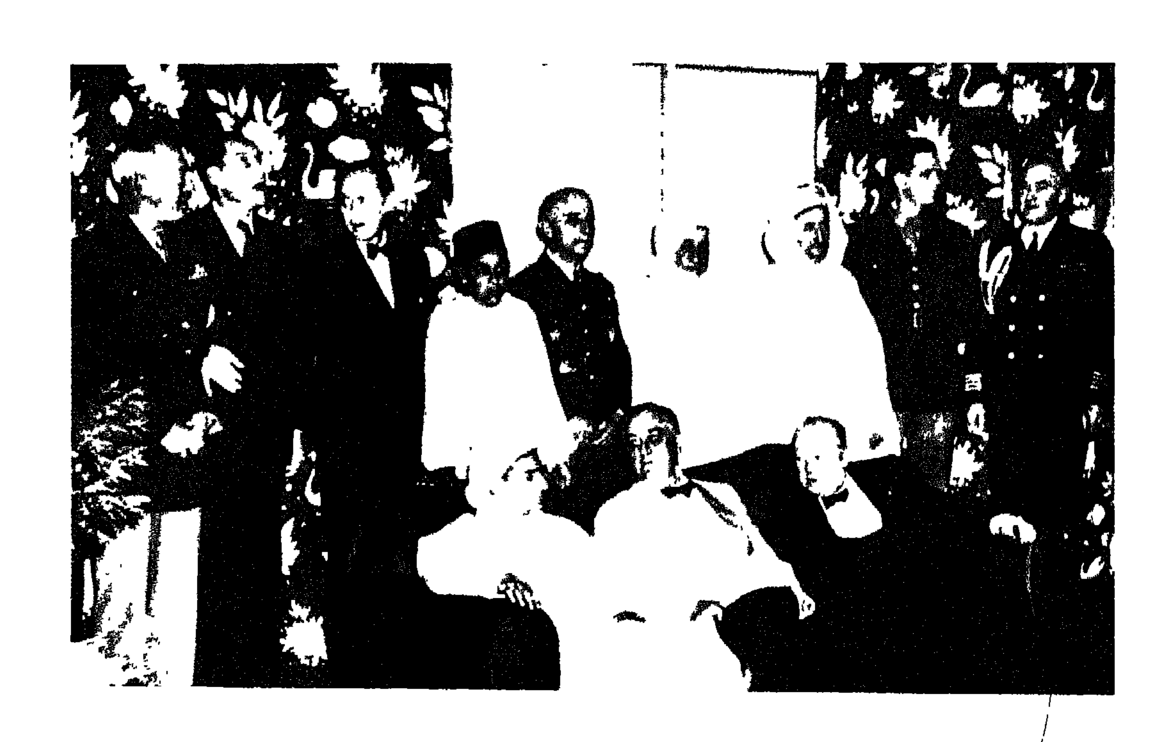
«... وبعد حديث دار عن الحالة العامة أخذت المُحادثة شكل حوار بين الرئيس ووالدي وكان السيد المعمري يترجم للآخر ما يقول الأول، وفي الواقع أكد الرئيس الأمريكي أن النظام الاستعماري قد عفا عليه الزمن، وبالتالي أصبح محكوماً عليه بالزوال في رأيه ! ولكن تشرشيل أكد في البداية على ضرورة التدقيق في وجهة النظر هذه !! وقال بعدها : أنه بعد الغزو الفرنسي للجزائر «قامت بريطانيا خلال نصف قرن بوظيفة الحارس لسلامة الأمبراطورية الشريفة !» محاولاً بذلك «أن يغرق السمكة» كما يقول المثل الفرنسي.

ولكن روزفيلت علّق حالاً على ذلك قائلاً : إننا لم نعد الآن في سنة 1830 ولا في سنة 1912... وتطلّع إلى اليوم الذي سيصل فيه المغرب بيسر إلى الاستقلال وفقاً لمبادئ الحلف الأطلسي متمنياً أن يكون هذا اليوم قريباً يوم أن تضع الحرب أوزارها، وأضاف مؤكداً أنه بعد الحرب ستصبح إعادة التنظيم السياسي - الاقتصادي للمجتمعات الإنسانية ضرورةً ملحة، وقال : إن الولايات المتحدة لن تكتفي يومئذ بعدم وضع أية عراقيل في وجه استقلال المغرب فحسب، بل إنها - كما أكد - ستخص المغرب المستقل كذلك بمعونات اقتصادية مناسبة...



ولا بد أن نتصور من الآن درجة الخلاف العميق بين المقيم العام الجديد الذي ورد بعد ذلك اللقاء يردد كلمة «الإصلاحات» المزمع القيام بها في بلادنا وبين جلالة الملك الذي أمسى يؤمن بأن عهد «الإصلاحات» مضى، وان حلّ المشكل لن يكون إلا عن طريقٍ غير نظام الحماية !

ولم يكن غريباً علينا أن يُنشأ في السر يوم 10 دجنبر 1943 حزب وطني يحمل اسم حزب الاستقلال ويرفع سرّاً كذلك إلى الملك بيانه فيدرسه هذا ويقر صيغته. قبل أن يطلب إلى أُولئك «الاستقلاليين» إرسال عريضتهم في وقتٍ واحدٍ يوم 11 يناير 1944 إلى فرنسا وأمريكا وبريطانيا، وإلى القائم بأعمال الاتحاد السوڤياتي في الجزائر...



الرئيس روزفيلت مع جلالة الملك محمد الخامس وابنه سمو وليّ العهد الأمير مولاي الحسن أثناء مأدبة عشاء أُقيمت على شرف العاهل أثناء مؤتمر الدار البيضاء 1943.

وبعد يومين اثنين من جمع حاشد جمعنا معه في القصر الملكي نحن أساتذة التعليم الحر،[11] ورد المقيم العام الفرنسي (بيو Péo)) مهدّداً ومتوعداً وسأل الملك : هل أنتم مع فرنسا أو ضدها ؟ وأجاب الملك عن هذا السؤال بكل هدوء قائلاً :

أنا لست ضد فرنسا كما تعرف أنت ذلك ! ولكني أقف مع حرية شعبي واستقلال بلادي !!

وقد اعتُبر هذا الموقف جناية لا تغتفر... وهنا تقرر استعمال القوة ضد القصر الأمر الذي دعا الملك إلى أن يوعز لحزب الاستقلال ـ بعد أن ترأس العاهل مجلسه الوزاري ـ أن ينشر يوم 19 يناير توضيحاً يسجل فيه أن الشعب المغربي قاطبةً يؤيد بقوّةٍ ما جاء في عريضة الاستقلال...[12]

وقد اعتقدت الإقامة العامة أو حاولت أن تعتقد أن زيارةً للعاهل المغربي لفرنسا من شأنها أن تخفّف من هول المواجهة، لكن الذي حصل أن الجنرال دوكَول كتب في مذكراته حكايةً عن الملك : «إن الحماية قَبِلها عمي مولاي حفيظ ووالدي مولاي يوسف، أما بالنسبة لي فأعتقد أن الوقت حان لتخطي هذه المرحلة للوصول إلى الهدف، إن هذا ما ينتظره شعبي.. !»

ويحل بالمغرب مقيم عام آخر يحمل اسم أبريك لابون (E. Labonne) الذي كان يريد أن ينقذ الموقف ويحقق بعض الإصلاحات... وهكذا استجاب للعاهل في إطلاق سراح الزعيم الوطني علال الفاسي الذي كان منفيا في الكابون والزعيم محمد ابن الحسن الوزاني الذي كان منفيا في جنوب المغرب...

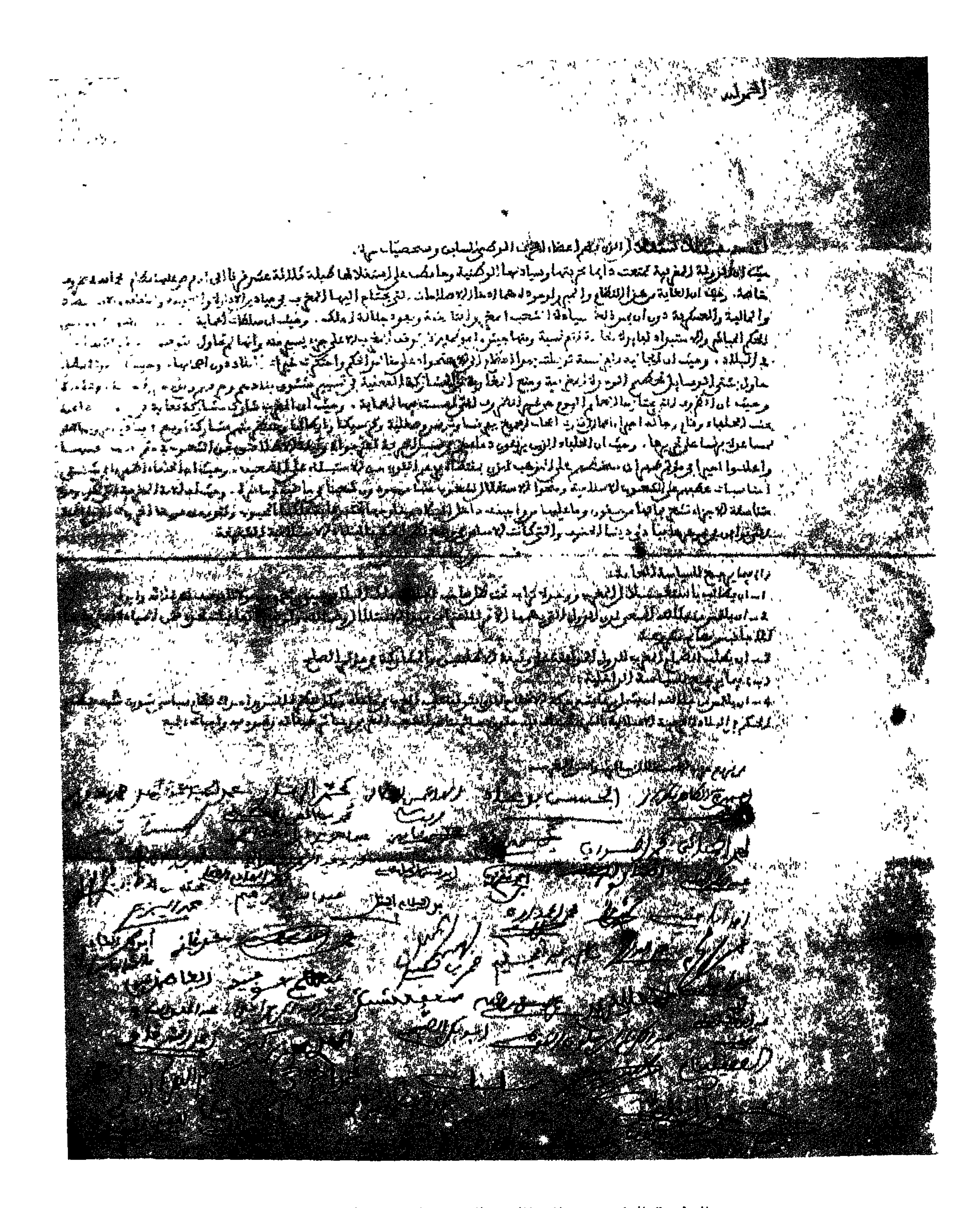
ويبدي العاهل رغبته في زيارة طنجة التي لم يزرها ملك منذ نهاية القرن الماضي... وتتحقق هذه الزيارة في أبريل 1947 بالرغم من مذبحة الدار البيضاء...[13]

11) محمد اليزيدي : كيف تمت الاتصالات مع الدول الكبرى والاتّفاق معمحمد الخامس ؟ جريدة العلم يناير 1973.

12) الحسن الثاني : التحدي ص 55/54.

13) Charles – Andre Julien :

Le Maroc Face Aux Imperialismes 1415-1956, Edition J.A. P. 200.



الوثيقة التاريخية للمطالبة بالاستقلال 11 يناير 1944



وفي طنجة حصل ما لم يكن بحسبان الإدارة الاستعمارية فقد ظهر للعالم كله أن المغرب في طريق غير طريق الحماية ! وتبين من خطاب الملك حق المغرب في الاستقلال ! أكثر من هذا وجدنا العاهل المغربي يثني على جامعة الدول العربية التي كانت قد أسست منذ سنتين... ووجدنا العاهل في خطبته بالمسجد يوم الجمعة يتحدث عن تصوره لرابطة العالم الإسلامي التي تجعل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يشعرون شعوراً واحداً...[14]

إنّ الذين كتبوا عن هذه الزيارة بما صحبها من نشاطِ وليّ العهد الأمير مولاي الحسن ونشاط الأميرة لالّة عائشة، وما صحب الزيارة من الاستقبالات

---

14) كان في صدر المحاولات الأُولى التي جرت بالمشرق في منتصف القرن الرابع عشر الهجري (1351 = 1934) من أجل الوحدة الإسلامية ما يعبر عنه خطاب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله بمناسبة موسم الحج لذلك العام حيث رأيناه - بعد أن تمكن من حكم أطراف البلاد - يطرح الخلافات الإسلامية ويعبر عن آماله في التغلب عليها...
د. التازي : الخطاب التاريخي لجلالة المغفور له الملك عبد العزيز عبد الرحمن آل سعود (مجلة الحرس الوطني) السنة الخامسة العدد 22، ذو الحجة 1404 = شتنبر 1984.

والتّصريحات[15] يجعلونها، أي الزيارة، بدايةَ منعطفٍ حاسمٍ ليس في تاريخ المغرب السياسي فحسب ولكن في تاريخ القارة الإفريقية كلها..!



جلالة الملك محمد الخامس يستقبل السلك الدبلوماسي بطنجة

15) أحمد الكردودي : الرحلة السلطانية لطنجة، مخطوط بالخزانة الحسنية، وقد صدر أخيراً عن (جمعية تنمية طنجة) في أبريل 1988 كتاب يحمل عنوان (طنجة أبريل 1947) بتقديم رئيس الجمعية عمر أقلعي يتضمن الخطاب التاريخي الذي ألقاه جلالة الملك محمد الخامس يوم الخميس 10 أبريل 1947 وخطبة الجمعة التي ألقاها بالمسجد الأعظم يوم 11 أبريل... والخطاب الذي ألقاه صاحب السمو ولي العهد الأمير مولاي الحسن بالمدرسة المحمدية في طنجة 10 أبريل 1947، ثم خطابه الذي ألقاه بمعهد مولاي المهدي في نفس اليوم... وفي وضع الحجر الأساسي لبناء المدرسة الإسماعيلية يوم 12 أبريل والكلمة التي ألقاها في جمعية كشاف (طنجة) «الشروق» والخطاب الذي ألقته صاحبة السمو الملكي الأميرة لالة عائشة في طنجة 11 أبريل... والخطاب الذي ألقاه صاحب السمو الأمير مولاي الحسن ابن المهدي بين يدي جلالة محمد الخامس بأصيلا يوم 9 أبريل 1947، هذا إلى عددٍ من الصور الفريدة التي تسجل الحدث.

لجوء الزعيم مُحمد بن عبد الكريم
إلى مصر صيف 1947...

بعد استسلامه للفرنسيين في مايه 1926 ونقله إلى جزيرة رينيون (Reunion) شرقيَّ مدغشقر، طلب مُحمد بن عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف نقله من هذه الجزيرة إلى فرنسا الأمر الذي قبلته الحكومة الفرنسية في يبراير 1947.

وفي طريقه إلى فرنسا على متن الباخرة (كاتومُبا) قام أعضاء «مكتب المغرب العربي» في القاهرة ـ عندما وصل إلى بور سعيد ـ بالاتصال به حيث أقنعوه باللجوء السياسي بمصر... وقد ورد في بعض التقارير أن هدف فرنسا من تحريره كان هو «التشويش» على العاهل المغربي الذي أخذت الإدارة الفرنسية تشعر بأنه يسير ببلاده نحو التحرر من الاستعمار ! وخاصةً بعد الحديث الذي كان له مع الرئيس الأمريكي روزڤيلت ومع موقفه من عريضة الاستقلال... وأخيراً خطابه التاريخي بطنجة.!!

فعلاً قبل الملك فاروق طلب لجوء ابن عبد الكريم على ما نقرأه في الرسالة التاريخية التي بعث بها المرحوم عبد الخالق الطريس من القاهرة إلى تطوان بتاريخ 1947/6/4 أي أربعة أيام بعد نجاح العملية...![1]

ومن المهم أن نذكر هنا أن الزعيم المغربي أعلن في تصريح له وهو ما يزال في السويس يوم 30 مايه 1947 عن ولائه للسلطان سيدي محمد بن يوسف :

«أؤيد سلطان المغرب في الموقف الذي اتخذه، وإني خادمه المطيع» وقد كرر أخوه محمد بن عبد الكريم نفس التصريح في اليوم التالي :

«وسنبقى مخلصين لاستقلال بلادنا كما سنبقى مخلصين لجلالة السلطان الذي أطّلعنا على خطابه في طنجة بطريقة غير مباشرة» على ما ذكرته جريدة لوفيكَارو عدد 1، 2 يونيه 1947.[2]

---

1) يراجع التحقيق القيّم الذي كتبه د. امحمد بن عبود ابن الشهيد امحمد بن أحمد بن عبود الذي كان له دورٌ مهم في نجاح العملية نظراً لصلته الخاصة بالملك فاروق، وحسب الرسالة المذكورة نقرأ أسماء عبد الخالق الطريس، وعلال الفاسي، ومحمد الفاسي الحلفاوي، والحبيب، وعبد المجيد بن جلون... الخ.
(المجلة التاريخية المغربية) تونس جوان 1982 ـ 1984 ـ 1986.

2) في جلساتٍ متتابعةٍ مع مُحمد بن عبد الكريم رحمه الله أيام سفارتي في ليبيا كان يؤكد ـ قبيل التحاقه بالمغرب يوم 1967/9/9. عن الولاء والإخلاص اللذين ما انفكا ـ هو وأخوه الزعيم ـ يدينان بهما لجلالة الملك محمد الخامس وجلالة الحسن الثاني باعتبار أن هذين هما المنقذان الأساسيان للمغرب.

ومن هنا وجدنا الجنرال يمنع الصحف من ذكر اسم الأمير مولاي الحسن على أنه ولي للعهد بالرغم من أنّ هذا اللّقب صحبه منذ أوائل الثلاثينات !!

وهذا ما يفسّر وجود شكوى بعثها العاهل المغربي بتاريخ 18 محرم 1367 = 2 دجنبر 1947 إلى رئيس الجمهورية الفرنسية (فانسان أوريول) حول هذه التصرفات الرخيصة من الجنرال !!

ولقد أثارت تلك التجاوزات إخواننا في شمال المغرب أيضاً حيث سمعنا عن حوادث تطوان في يبراير 1948 المنطقة التي يهيمن عليها الإسبان...

وتأكيداً للصّمود المغربي إزاء مطالبه وجدنا الملك محمد الخامس في خطاب العرش لعام 1949 يؤكد بالتعبير الواضح الصريح على كيان البلاد وحقوقها ووحدة ترابها !!».

وبمناسبة حديث الجنرال جوان في دجنبر 1949 عن السيادة الفرنسية المغربية «المشتركة» استنكر العاهل المغربي ذلك مذكراً ومؤكداً بأن السيادة المغربية لا شريك فيها لأحد غير المغرب !!

وكان كلّ هذا تمهيداً للمفاوضات التي افتتحت في باريز بين جلالة الملك والحكومة الفرنسية في غضون عام 1950 والتي انتهت إلى الباب المسدود !!

ومن هنا وجدنا السلطان في خطاب العرش لهذه السنة نونبر 1950 يستعمل هذه الجملة التي كانت كافيةً لتلخيص الموقف الصريح للمغرب أمام الرأي العام الدّولي من عقد الحماية الفرنسية :

«... إنّ أفضل حكم ينبغي أن تعيش في ظله بلاد تتمتع بسيادتها وتمارس شؤونها بنفسها هو الحكم الديموقراطي الذي تقوم عليه الدول المعاصرة... لقد عرضنا مطلبنا على من يهمهم الأمر من رجال الدولة الفرنسية بالكتابة والقول... وما زلنا نؤمل بأنه سيظفر في مستقبل الأيام بالآذان الصاغية !!

ولم يكن غريباً علينا أن نسمع لأوّل مرة (1950) صدى المغرب في مبنى الأمم المتحدة في دورتها الخامسة التي انعقدت برئاسة الأمير الطايلاندي

ڤان ويثاياركون (Van Waithayarkon) عندما تدخل مندوب الاتحاد السوڤياتي السيد تاجيبيڤ (Tajibaev) ضد السياسة المتبعة في المغرب، كان هذا في نيُويُورك يوم 20 نونبر 1950.

وقد تبع هذا تدخّل السيد جميل مكاوي من لبنان، والسيد عوني الخالدي من العراق، ولما عقب على هؤلاء المندوب الفرنسي مسيو كَاروا (Garreau) تصدى له السيد ابراهيم فَرَج مندوب الوفد المصري، على ما نقرأه مفصلاً في أرشيف الأُمم المتحدة...[16]

ولما قامت (الإقامة العامة) بتوجيه الدعوة لعددٍ من الصحافيين الأَجانب للوقوف على ما يكذّب إشاعة هدم مساجد فاس[17] في أعقاب أزمة 25 يبراير 1951 التي انتهت بوضع جلالته كلمة «صَارَ بالبال»[18] على البروتوكول المقدم إليه !! وجدنا أن العاهل المغربي يقوم بحركةٍ رائدة زعزعت أركان الاستعمار... ويتعلّق الأَمر بتسليم أجوبةٍ مخطوطةٍ عن أسئلةٍ رفعت إليه سرّاً من لدن الصحفي المصري د. محمود عزمي عن جريدة «الأَهرام» التي نشرت تلك الأَجوبة» بتاريخ 1951/3/27[19] تلك الأَجوبة التي تعني أن كلمة «صار بالبال» لم تكن تعني شيئاً !!

«...إنّ رغبتنا شديدة - يقول سيدي محمد بن يوسف - في تقديم البلاد ورقيّها رقياً ديموقراطيّاً، وجميع أعمالنا ومساعينا تهدف إلى إحلال بلادنا العربية الإسلامية المكان اللائّق بماضيها المجيد، وأملنا عظيم أن تنظر حكومة الجمهورية الفرنسية إلى مطامح شعبنا المشروعة بما يليق بها من العناية...».

---

16) د. التازي : القضية المغربية أمام الأُمم المتحدة، وقد أسهمت بملخصها في الندوة الدولية حول محمد الخامس الملك الرائد التي نظمتها جمعية رباط الفتح في منتصف نونبر 1987.

17) طيّرت بعض البرقيات خبراً مفادهُ أن سلطات الحماية هدّمت جامع القرويين وكانت الإقامة تعتقد أن زيارة الصحفيين لفاس ووقوفهم على سلامة المساجد يفيدها لكن الوطنيين تجندوا لتزويد الصحفيين بحقيقة الوضع المزري في المغرب والضغط الذي استهدف له العاهل المناضل الأَمر الذي كان بالنسبة للصحفيين أهمّ وأعظم من الإتيان على بنايةٍ يمكن أن تُشيد من جديد !!

18) جرت تقاليد ملوك المغرب على وضع كلمة «صار بالبال» على مقترح من المقترحات، وكان ذلك يعني أنهم أخذوا علماً به وأنهم سيدرسونه... وقد تأكدت الإدارة الفرنسية أن كلمة «صار بالبال» أصبحت بالنسبة لمقترحاتهم تعني : «زال من البال !».

19) Le Monde, 27 Fev. 1951 التازي : وفاء بولاء، دعوة الحق - مارس 1974.

لقد كان هذا التصريح شجْباً علنياً لسياسة الإقامة وكان بالنسبة إلينا نحن الوطنيين المغاربة مادّةً خصبة لنا في توجيه خلايا الحزب وإلهاب الحماس..!

وما نسيتُ لا أنس عصر يوم 14 يوليه 1951 عندما جمعتني الصدفة في (ضاية عوّة) مع جلالة الملك محمد الخامس الذي كان في جولة خاصة مع ثلة من حاشيته...

كنا في أشد الشوق إليه بعد تلك الأزمة الحالكة، وقد قرأ الفرحة العارمة على وجوه أفراد أسرتي فأخذ يسلّي عنا : يسأل الكبير ويداعب الصغير.[20]

☆ ☆ ☆

وقد قامت «الوصاية الأجنبية» بعملين اثنين : أحدهما على الصعيد الداخلي بنقل جوان من المغرب وتعويضه بالجنرال كَيوم الذي استهل تصريحاته عن المغاربة بأنه سيطعمهم التّبن ! بعد أن قال سلفه جوان : إن جدودنا كانوا يأكلون الجراد ! وثاني العملين كان على الصعيد الدبلوماسي باستضافة باريز للدورة السادسة للأمم المتحدة عام 1951.

إن كل واحد كان يعرف أن القصد من هذا العمل الثاني إلى كتم أنفاس الذين كانوا يخططون للنّيل من السياسة المتبعة في المغرب على نحو ماتم في الدّورة الخامسة التي انعقدت في نيويورك عام 1950...

لكن الذي حصل هو أن أصوات الحق تعالت أيضاً في قصر شايُو وهناك في ذلك القصر سجّل التاريخ الدولي للمغرب الحديث صفحاتٍ مشرقة، لقد توصل الأمين العام للأمم المتحدة السيد تريكَف لي (TRYGVE LIE) منذ 22 غشت 1951 من المندوب الفرنسي بما يمكن أن يسمى «أطروحة جامعية» حول الحالة «الممتازة» للمغرب من جميع الجوانب، ولم يدر بخلد هذا المندوب أنّه قدم لأنصار القضية المغربية مادةً ثريةً وجدوا من خلالها ما يقولون وما يعلّقون !!

لقد أصبح البندان الخامس والسادس من عقد الحماية معطلين فعلاً فإن الطريق إلى المنتظم الدولي أصبح مفتوحاً، ومن هنا تحققت استراتيجية جلالة

---

20) د. التازي : ثمانية لقاءات مع المغفور له محمد الخامس، دعوة الحق، عدد مارس 1967.

الملك محمد الخامس في الخروج بالنّزاع من هذا المحيط الضيّق إلى تلك الأبهاء الواسعة الأرجاء...

لقد كانت جلسة ما بعد ظهر يوم الإثنين 12 نونبر 1951 برئاسة السيد لويس بادياً نيرفو (L. Padilla Nervo) من المكسيك...

وقد كان في أبرز المتدخّلين السيد فاضل الجمالي مندوب العراق الذي كان فارس الحلْبة...

وكان في جملة المعقّبين صباح يوم 22 نونبر 1951 مندوب اليمن السيد عدنان الترتيسي الذي انتقد بشدة ما يوجد عليه الحال في المغرب...

وبالإضافة إلى هذا رددت أخبار الأُمم المتحدة يوم 27 نونبر 1951 أصداء مذكرة وقعتْها اللجنة التنفيذية للاتحاد العام للنقابات المتحالفة بالمغرب عن حرية التجمع ووضعية العمال...

المكاتب الخارجية

في أعقاب الزيارة **التاريخية لجلالة الملك محمد الخامس لطنجة** عرف الكفاح الوطني ـ بإيعاز من جلالته ـ فتح مكاتب وطنية في كل من باريز والقاهرة ودمشق ومدريد ونيويورك،[1] بقيت على اتصال بالقصر الملكي.

وكان أعضاء هذه المكاتب يباشرون نشاطهم «الدبلوماسي» عن طريق الاتصال بالمسؤولين والصحفيين ورجال الفكر كما كانوا يصدرون كتباً ومجلات ونشرات عن قضية بلادهم، ويرسلون من آن لآخر الوفود للتّعريف بالحركة الوطنية وتنوير الرأي العام الدولي وكسب الأنصار وفضح مزاعم الاستعمار...

وسنرى أن أعضاء هذه المكاتب كانوا يحضرون الجلسات التي تعقدها الأُمم المتحدة... والجلسات التي تعقدها الجامعة العربية... وقد كان أعضاء هذه المكاتب يتتبعون المؤتمرات الدولية وكان **مؤتمر باندونج** الذي عقد في جاكارطا سنة 1955 في طليعة تلك المؤتمرات. وكانت هذه المكاتب تقيم حفلاتٍ أنيقة بمناسبة عيد العرش تدعو إليها أصدقاء المغرب وبعض السفارات الأجنبية التي كان **أعضاء البعثات المغربية** مبعوثين لبلادهم... وكانت تلقى في هذه المناسبات خطب وطنية تردد صداها الصحف وأجهزة الإعلام...

1) المهدي بنونة : **نشأة مكتب المغرب العربي بنيُويورك،** (العلم السياسي) أبريل 1983 امحمد ابن عبود : مكتب المغرب العربي في القاهرة، المجلة التاريخية المغربية (تونس) جوان 1982 ـ 1986، عبد الكريم غلاب : تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب في مجلدين، مطبعة الرسالة ـ الرباط 1987.

لقد كانت أصداء تلك الكلمات تثلج صدور المغاربة وعلى رأسهم سيد البلاد وسمو وليّ عهده الذي كان العضد الأيمن لوالده على ما نعرف، وكان في أول من استمع إليها هناك وأبلغ صداها إلينا أعضاء (مكتب المغرب) وطلبتُنا الموجودون هناك آنذاك، وهم الذين أبلغوها إلى حزب الاستقلال الذي قام بترجمتها إلى العربية ونشرها...[21]

فهل كان هذا هو كلّ ما جرى في دورة باريز..؟

إن الأرشيف المحفوظ في الأمم المتحدة يقتصر على أسماء أولئك الذين قدمنا الحديث عنهم ولكن الواقع يشهد أن الذين تحدثوا كانوا أكثر من هذا العدد، وقد كان على رأسهم السيد ظفر الله خان (باكستان) الذي تدخل أكثر من مرة، والسيد أحمد الشّقيري (سوريا) ومحمد صلاح الدين باشا (مصر)، وعلي أردلان (إيران) وعبد الحكيم بزوق (أفغانستان) الخ...

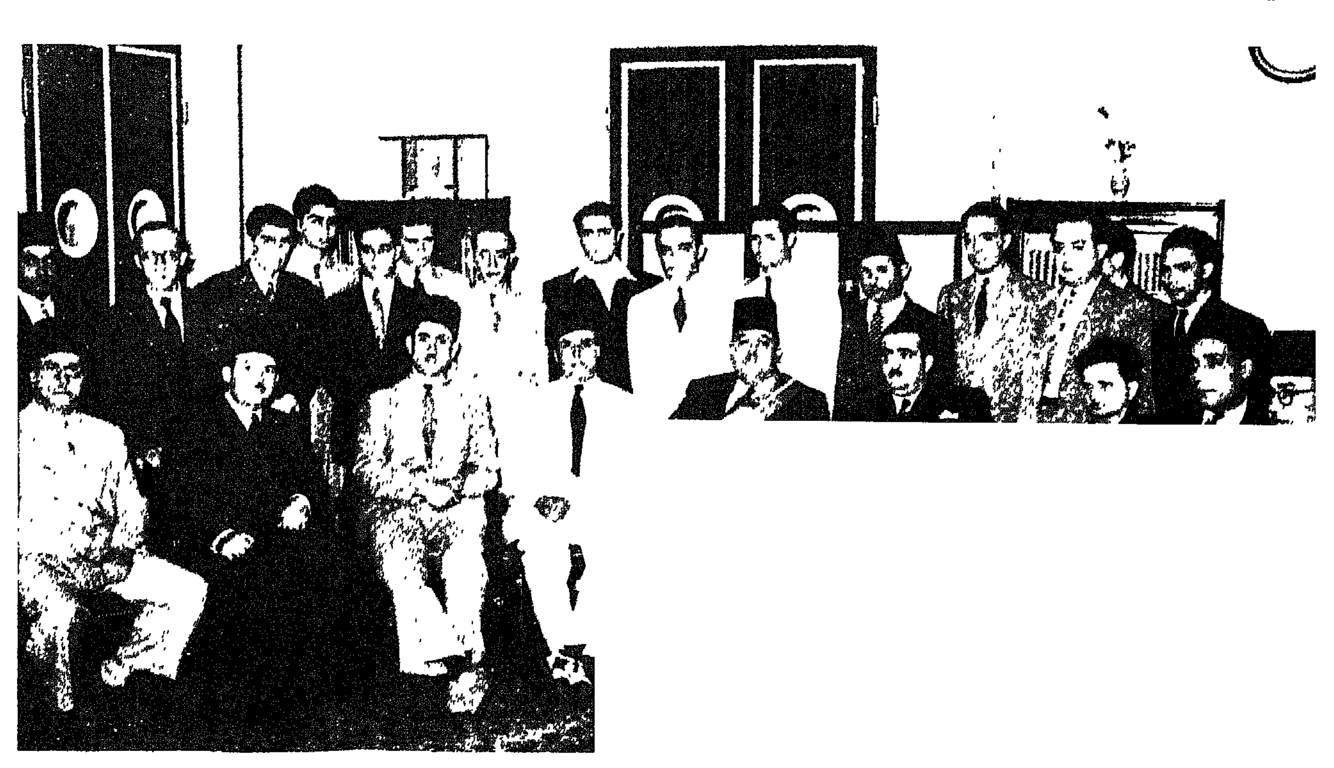
فأين يجد المؤرخ نصوص تلك التدخلات في قصر شايو ؟ لقد اختفت كلّها من أرشيف الأمم المتحدة..!! ويشعر المرء وهو يقرأ بعض الصحف الباريزية على ذلك العهد، وعلى رأسها جريدة (لوموند) أن هناك إيعازاً بإتلاف وثائق هذا الملف !![22]

وإذا كانت القضية المغربية تثار لحد الآن في إطار «الأقاليم الغير المستقلة» (Territoires Non Autonomes) فإننا اليوم أمام وثيقةٍ مكتوبة في الأمم المتحدة، مع رسالةٍ تحمل تاريخ 7 غشت 1952 موجهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة من المندوب العراقي الخالدي، بأمرٍ من حكومته، تطلب إلى المنتظم الدولي إدراج قضية المغرب في جدول الأعمال الوشيكة الانعقاد !

21) كان من أولئك الطلبة : عز الدين العراقي ومحمد الدويري ومولاي أحمد العلوي...

22) أحب أن أغتنم هذه الفرصة لأشيد مرةً أخرى بمن كانوا وراء نقل تلك التدخلات إلى المغرب ونشرها معرَّبة في مجلة «رسالة المغرب» في عددها الممتاز (يبراير 1952 = جمادى الأولى 1371)....

أُخذت هذه الصورة في مونبّوليي يوم 16 مايه 1941 على ما يذكره الزميل المناضل مولاي أحمد العلوي، وهي تضم علاوة على مولاي أحمد : السادة العربي الشرايبي وابن جلون وزنيبر وحصّار وابن عبود والعراقي...



استقبال عبد الرزّاق السنهوري رئيس مجلس الدولة بمصر للوطنيين المغاربة تعبيراً عن شكره على الوسام الرفيع الذي بعثه إليه الخليفة السلطاني مولاي المهدي...

عرفنا في الصورة عن يسار السنهوري : عبد الخالق الطريس وعلال الفاسي... وعن يمينه الحبيب بورقيبة ثم الثالث محمد أحمد بن عبود وعرفنا من الواقفين : عبد الكريم غلاب ـ أحمد بن المليح ـ محمد الفاسي الحلفاوي ـ عبد المجيد بن جلون ـ والحبيب ثامر ـ وعبد السلام الخطابي ـ وعمر الخطابي...

وبينما كانت البعثة الفرنسية تعمل على إغناء ملفّها بالوثائق لمواجهة المتدخلين في هذه الدورة السابعة إذا بوكالات الأخبار تنقل إلى أبهاء الأمم المتحدة حُكماً أصدرته محكمة العدل الدولية فصلت فيه في نزاع شب بين فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية... لم يكن موضوع النزاع يهم المغاربة بقدر ما كان يهمهم أن محكمة العدل أخذت بمقتضيات معاهدة الجزيرة الخضراء المبرمة يوم 7 أبريل 1906، ومعنى هذا أنها تعتبر أن معاهدة الحماية لا يمكنها أن تنسخ معاهدة الجزيرة وبالتالي لايمكنها أن تمس بسيادة الملك وبسيادة التراب المغربي وبالحرية الاقتصادية...[23]

ومن هنا لم يكن غريبا علينا أن نجد ملفاً جدًّ هام باللغة الإنجليزية في أرشيف الأمم المتحدة يحمل تاريخ 8 شتنبر 1952 مقدماً من ثلاث عشرة دولة :

أفغانستان، بورما، مصر، الهند، أندونيسيا، إيران، العراق، لبنان، باكستان، الفيليبين، العربية السعودية، سوريا، اليمن...

ويحتوي على ثلاث وثائق :

1) رسالة بتاريخ 3 شتنبر 1952 تحمل توقيع مندوبي الدول السالفة.

2) مذكرة توضيحية تحمل تاريخ 15 شتنبر 1952.

3) وأخيراً البلاغ الهام الذي أصدره جلالة الملك محمد الخامس بتاريخ 8 اكتوبر 1952.

قد اعتبر هذا البلاغ في نظر الملاحظين السياسيين بأروقة الأمم المتحدة أعظم وأقوى وأهم سند قدمه العاهل المغربي في الوقت المناسب، إلى الذين يدافعون عن القضية المغربية في الأمم المتحدة...

ولما ألقى جلالته خطاب العرش 18 نونبر 1952 انتقد نظام الحماية الذي شبّهه بقميص فُصّل لطفلٍ كان صغيراً ولكنه الآن كبر ونما وتقدم، ومع ذلك يصرون على الاحتفاظ بهذا القميص الذي قصر وضاق كثيراً..!!

(23 Charles Zorgbibe : Les Etats / Unis et L'indépendance du Maroc, Le Monde Diplomatque, Juillet 1979.

وقد قال : إذا كانت الحماية قد قدمت نتائج ملموسة على الصعيد الاقتصادي فإنها لم تقدم شيئاً من هذا لا على الصعيد الاجتماعي ولا على الصعيد السياسي..!!

ولم ينس جلالته في هذه المناسبة أن يشيد بإحراز «ولي عهد مملكتنا مولاي الحسن على شهادة الليسانس النهائية للحقوق...»

وفي سابع دجنبر 1952 تفجرت العاصمة عندما دعا (الاتحاد العام لنقابات العمال المتحدة في المغرب) للإضراب تضامنا مع حركة النضال الوطني المغربي وقد تزامن هذا الإضراب صدفة مع مصرع الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد فازدادت حدة الموقف !!(24)

ولابد أن نتصور إنعكاس الحنق الاستعماري عل الساحة المغربية التي حمى فيها الوطيس، وعوض أن تعالج الأمور بالحكمة والمنطق عمدت إلى التشغيب المفتوح ضد العاهل المناضل. وهكذا «صنعت» في ربيع 1953 «معارضة» من بعض المأجورين والحاقدين تتهم الملك بأنه يسير بالمغرب للبُلْشفية Bolchevisme !! وأن العرش يجب أن يسند لمن هو جدير به !! وكانت الإدارة تعتقد أن الأمر في منتهى البساطة !!

وهنا نجد رسالة هامة صادرة عن العاهل بتاريخ 22 يونيه 1953 إلى رئيس الجمهورية...

ولقد كان علماء المغرب على موعد مع جلالته بقصره في الدار البيضاء يوم 12 غشت لشجب تلك الحركة وتجديد ولائها لعرشه وثقتهم الكاملة في كل عمل يقوم فه، لحظات قليلة قبل أن يغادر البيضاء، كنتُ رفقة الفقيه ابن العربي العلوي والشيخ زنيبر مفتى سلا والحاج العربي الحريشي والأستاذ الامراني من فاس... ما نسيتُ كلمة رددها مرارا على لسانه : كلمة (الكيان)... «لقد أرادوا أن يمحو كياننا !! ولكن لنا قدوة بالأنبياء والصالحين الذين امتحنوا في سبيل الله.!!(25)

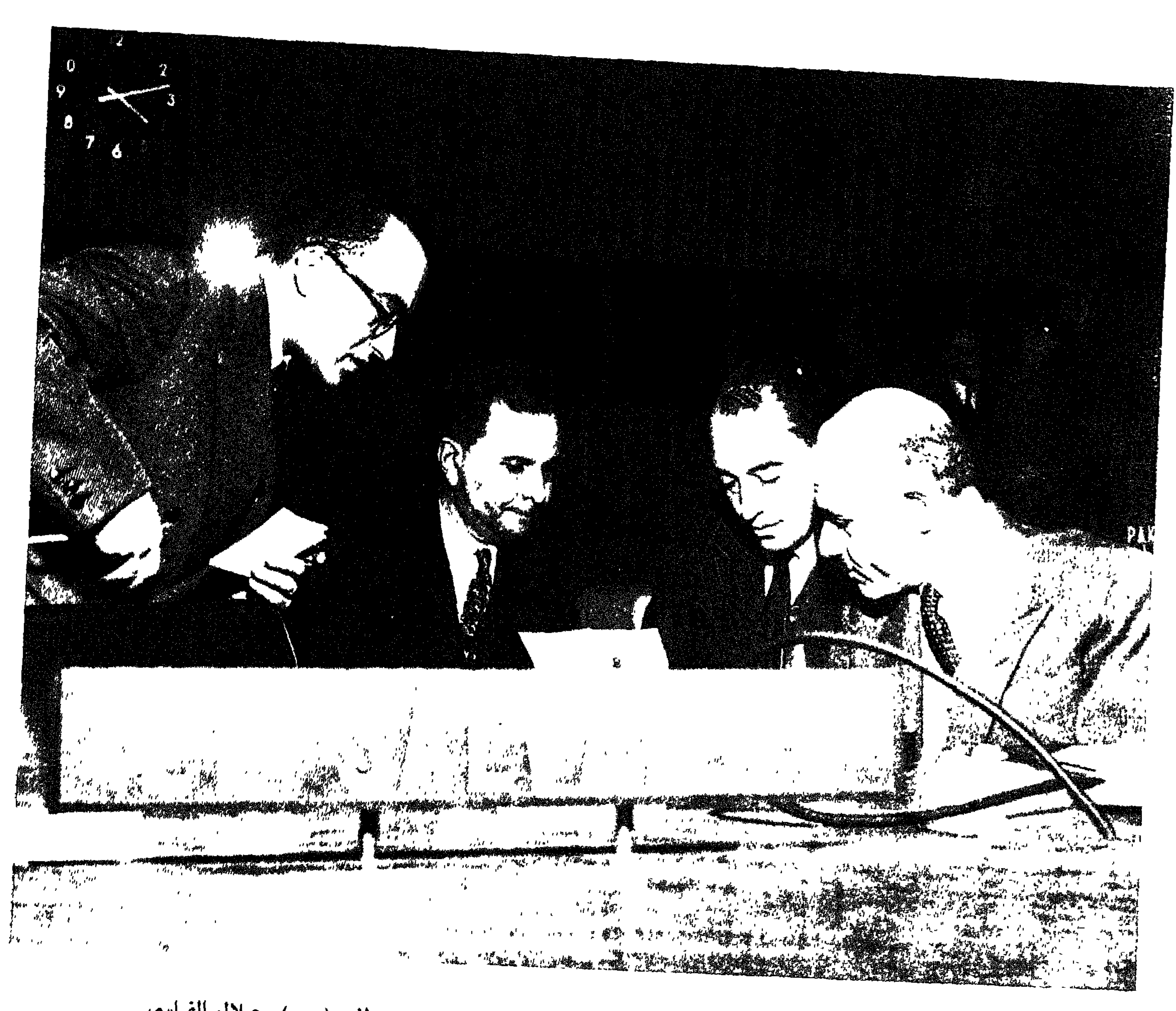
---

24) MOHAMMED KENBIB : L'ère des Ruptures 1947-1953, Le Memorial du Maroc, Collection Dirigée par Larbi Essakali., Vol. 6 1934-1953 Lutte du Roi et du Peuple, 1984 p. 188...

25) د. التازي : ثمانية لقاءات مع المغفور له محمد الخامس، دعوة الحق، عدد مارس 1967.



صورة تاريخية تتحدث عن مناصرة المجموعة العربية والإسلامية للمملكة المغربية أمام الجمعية العامة للأُمم المتحدة في دورتها السّابعة يوم 4 دجنبر 1952.
ويتوسط الصورة سمو الأَمير فيصل أَمير الحجاز ووزير الشؤون الخارجية للمملكة العربية السعودية، وعن يمينه السيد محمد ظفر الله خان وزير الشؤون الخارجية والعلاقات مع الكومنويلث، وعن يساره الدكتور محمد فاضل الجمالي الوزير العراقي للشؤون الخارجية.



صورة تمثل الدكتور أشرف غربال وفؤاد الفرعوني وعبد المومن مصطفى (مصر) وعلال الفاسي (المغرب) 1952/12/15 بالأمم المتحدة.



مهما حاول الكاتب أن يصور شعور المغربي الذي عاش زوال يوم 20 غشت 1953 مع أصداء إخراج الملك محمد الخامس من قصره، وإبعاده عن عرشه ونفيه إلى مجاهيل الدنيا... مهما حاول أن يفعل فسيظل بعيداً عن الواقع... ذقنا الآلام في شتى ضروبها عندما كنا نتعرض للاعتقال والسجن، لكنّ ما شعرنا به يوم 20 غشت 1953 كان أعتى وأقسى من كل ما تحملناه، الكل باكٍ واجم، والكل شاكٍ ناقم...

وقد ألهبت هذه الصورة شعور المغاربة أجمعين، كانت الصورةَ الأولى التي ظهرت في (باري ماطش) في أعقاب الحدث الحزين ! وهي ناطقة بما كان يتحلى به العاهل العظيم من إيثار وتضحية وإباء...

كان اليوم يصادف تاسع ذي الحجة ليلة عيد الأضحى، فزهد المغاربة في الأضاحي وتوجه الحجاج وهم في البقاع المقدسة إلى الله... إنه يوم يؤثث الذّاكرة المغربية بما لاينسى ممّا يجعله راسخاً رسوخ الإيمان في وجدان المواطن المغربي والإنسان أي إنسان له إحساس على أخيه الإنسان...

ومع التوقيع في اليوم الموالي (13 غشت) بكلمة «صار بالبال» على نحو ما فعل في أزمة يبراير 1951، فقد استمرت حركة «المعارضة» في غوايتها معلنة عن تنصيب صنيعة من صنائع الاستعمار سلطانا على المغرب !!

وهنا التهبت مشاعر الوطنيين في معظم مدن المغرب وسقط الكثير من القتلى... وعبثاً كانت محاولات العاهل مساعدة «المتورّطين» على الخروج من المأزق... وهكذا انتهى الطيش بالجنرال كَيوم بعد ظهر يوم 20 غشت 1953 وكان يصادف ليلة عيد الأضحى إلى أن يقصد القصرَ الملكي ليقول للعاهل المغربي :

إن الحكومة الفرنسية، لدواعي الأمن، تطلب منكم التنازل عن العرش وحينئذ تستطيعون أنتم وأسرتكم أن تقيموا في فرنسا معززين مكرمين..!

لقد كان جواب العاهل :

لا يوجد شيءٌ من أعمالي وأقوالي يبرر أن أتخلى عن أمانةٍ اضطلع بأعبائها بصفةٍ شرعية وإذا، كانت الحكومة الفرنسية، تعتبر أن الدفاع عن الحرية والشعب جريمةٌ يعاقب عليها فإني اعتبرها فضيلةٌ يفاخر بها وتُورث صاحبها الذكر الحسن، ورجا الجنرال كَيوم أن تترجم بكل دقة هذه العبارات :

إذا لم تتنازلوا حالاً عن العرش برضاكم فإني مكلف بإبعادكم عن البلاد صيانةً للأمن...

فكان جواب الملك :

إني ملك المغرب الشرعي ولن أخون أبداً الأمانة التي ائتمنني عليها شعبي الوفي، إن فرنسا قوية فلتفعل ما تشاء !!

وهكذا امتدت الأيدي الآثمة إلى جلالة الملك وانتهى الأمر إلى إبعاده وأسرته وعلى رأسها ولي عهده، إلى كورسيكا حيث تحولت أيام العيد إلى أيامٍ بالغةٍ في الكآبة والمرارة والحزن ! ولكثر ما ضاق المواطنون ذرعاً بالعدوان هرعوا إلى السطوح ليشهدوا صورته على صفحة القمر ! الأمر الذي رددته الصحافة الفرنسية ساخرةً من جنون المغاربة الذين ما يزالون يحلمون بالذي ذهب إلى غير رجعة !!

ولا بدّ أن أُشير لوقع هذا «النبأ العظيم» في العالم العربي والإسلامي حيث توجّه الزعيم علال الفاسي بندائه الملتهب من القاهرة في نفس اليوم الذي تمت فيه الجريمة، فتهالك الناس على المذياع يتلقفون فتوى عالم القرويين بأن بيعة محمد بن يوسف ما تزال في أعناق المغاربة !!



الأستاذ علال الفاسي

وقبل أن يرجع العاهل لفرنسا جرتْ محادثات (إيكس ليبان) في غشت 1955 حيث وقع الاتفاق على أن يؤسس مجلس للعرش وتكوّن حكومة بمشاركة الوطنيين ويحصل على موافقة جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف على ذلك بعد أن يقصى «الصنيعة» الذي كان نُصّب من لدن الإدارة الاستعمارية على ما أسلفنا...

وقد وقعت في أعقاب هذا اتفاقية أنسيرابي بواسطة الجنرال كاترو في شتنبر 1955 حُددت بمقتضاها المبادئ الرئيسية لعمل فرنسا السياسي في المغرب... وفي فاتح اكتوبر أذاعت الحكومة الفرنسية بياناً أكدت فيه عزمها على السير بالمغرب نحو دولةٍ ذاتِ سيادة....



لم أنس يوم أُخذتُ هذه الصورة لجلالة الملك محمد الخامس، صباح الإثنين 7 نونبر 1955م 21 ربيع الأول 1375هـ في قصر سان جيرمان آن لي وهو يستقبل وفد علماء جامعة القرويين الذي ورد على باريز لأداء التحية...



عودة جلالة الملك محمد الخامس إلى الرباط يوم 1955/11/16.

التأليف والكتابة عن المقاومة المغربية

تصدت طائفة مهمة من الكتّاب الوطنيين والأجانب للتأليف حول الحركة الوطنية والمقاومة المسلحة في المغرب، وفي صدر أولئك حلالة الملك الحسن الثاني، والرئيس أدكَارفور رئيس الجمهورية الفرنسية وبعض المقيمين العامين علاوةً على الذين حرَّروا مذكِّرات لهم... وأذكر على سبيل المثال النشرات التي أصدرتها كتلة العمل الوطني أو بعض أعضائها منذ الثلاثينات كما أذكر النشرات التي كانت تصدر من **جمعية طلبة شمال إفريقيا** وطلبة المغرب على الحصوص وكذلك الكتب التي ألّفها الأستاذ الرئيس علال الفاسي : الحركات الاستقلالية في المعرب العربي و (نداء القاهرة) و (المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى) و (دفاعاً عن وحدة البلاد) و (رأي مواطن)... والمذكرات التي ألّفها الأُستاذ مُحمد حسن الوزّاني وخصص لها عدة مجلدات، (حرب القلم)، وقد نشرتها مؤسسة محمد حسن الوزّاني... ومجموعة الكتب والمقالات التي صدرت عن «المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، والكتب التي ألّفها محمد المكي الناصري حول الأحباس الإسلامي في المملكة المغربية، وسياسة الحماية الفرنسية في المغرب الأقصى. ومحمد الرشيد ملين في كتابه (نضال ملك)، وعبد الهادي الشرايبي : ثمن الحرية، والحاج الحسن بوعياد : الحركة الوطنية والظهير البربري، ومحمد ابراهيم الكتاني : من دكريات سجين مكافح في عهد الحماية الفرنسية، وعبد الله الجراري : شذرات تاريخية، وقدور الورطاسي · بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني... وأبو بكر القادري : سعيد حجي، والحاج أحمد البوعياتي · حرب الريف التحريرية... وابراهيم السولامي : الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية... ومحمد العلمي : محمد بن عبد الكريم الخطابي، ومتنوعات عبد الرحيم الورديغي... وعلى الريسوني · أبطال صنعوا التاريخ... ومذكرات سيدي التهامي الوزاني والمجاهدَيْن محمد بن الحاج أحمد شقرون، وعبد السلام بناني، ومجموعة محمد ابن عروز حكيم... (مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر) وامحمد بن هاشم العلوي... ومحمد العربي الشاوش... وامحمد أحمد بن عبود... والدكتور محمد فاصل الجمالي : صفحات من الكفاح العلوي... وجيرمان عياش : أصول حرب الرّيف، وشارل أندري جوليان في كتابه (المغرب في مواجهة الإمبريالية ..) ومحمد بن العربي الأسفي : منطقة آيت باعمران، والمهدي بنونة في كتابه بالإنجليزية : مغربنا. . والطيّب بنونة : نضالنا القومي من حلال الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة... وابراهيم الهلالي : معركة ماء أبي فكران... ومحمد المختار السوسي : (حول مائدة الغذاء) والمريني العياتي : صور من التاريخ البطولي لمنطقة جبالة... وقاسم الزهيري : محمد الخامس... وألبير عياش : المغرب والاستعمار، والحسن العرايتي : حركة المقاومة المسلحة... ومناضل بن عبد الله الصنهاجي : مذكرات في تاريخ المقاومة وجيش التحرير، ومحمد المعزوزي مع مولاي هاشم العلوي : الكفاح المغربي المسلح في حلقات... وعبد الكريم غلاّب : تاريخ الحركة الوطنية من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس (في مجلدين)، وزكيّ مبارك في أطروحته بعنوان : المغرب من المقاومة للتغلغل السلمي إلى حركة التحرر الوطني من 1945 إلى 1958... وأحمد زيادي : انتفاضة الشاوية... وأطروحة د.أمينة إهراي عوشر : الصحافة المغربية في نضالها من أجل الاستقلال، جامعة تولوز لوميراي 1979...

ومذكراتي بعنوان : نمودج من حياة... إلى غير ذلك من المؤلفات والمقالات التي غابت عن ذاكرتي...[1]

(1 Conférence du Dr. Abdelhadi TAZI Sur La Révolution du Roı et du Peuple, L'Opınıon 22 Août 1982

وكان يوم الإثنين 31 اكتوبر 1955 موعداً لوصول العاهل عائداً من منفاه بمدغشقر إلى مدينة نيس بفرنسا حيث قضى يومه الأول بقصر (بوقالون...) وقد شاعت الظروف المتلاحقة أن تحمل الحكومة الفرنسية على استدعائه في اليوم التالي إلى قصر هنري الرابع بسان جيرمان آن لي الذي رددنا ذكره في المجلد التاسع من هذا الكتاب عندما كان يشهد سفارات المغرب الأُولى على عهد السلطان مولاي اسماعيل حيث وقَّع فيه الحاج محمد تميم اتفاقية 1682 مع لويز الرابع عشر..!

وفي هذا القصر أُتيح لجلالته أن يتصل بعدد من أفراد رعيته الذين هبوا من كل جهة، وقد كان مؤلف هذا الكتاب في جملة من طاروا للتملي من طلعته على رأس علماء جامعة القرويين.

وقد تجلّى لكل ذي عين أن جلالة الملك ما زال كسالف العهد به، قويّ الإرادة، عاليّ الطموح... وان أيام المنفى ضاعفت من يقينه وعزمه..!

ولم يلبث أن دخل في محادثاتٍ أدت إلى التصريح المعروف بسان كلود المؤرخ في 6 نونبر 1955 والذي وقّع من لدن جلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف ووزير خارجية فرنسا (أنطوان بّيني)، وينص هذا التصريح على تأسيس حكومة مغربية تكون مهمتها إجراء مفاوضات تؤدي إلى نظام دولة مستقلة في نطاق ترابط عن طواعية واختيار...

ونظراً لأن البرلمان الفرنسي كان قد انحل بتاريخ فاتح دجنبر 1955 فلم تتأسس حكومة فرنسية إلا في فاتح يبراير 1956، ولهذا فقد كان من حسن حظ المغرب أن أرجئت تلك المفاوضات : لأنه بعد عودة جلالة السلطان يوم 16 نونبر 1955.

وقع ما غيّر الاتجاه الذي كان مسيطرا إذ ذاك ونعني به الاستقلال في نطاق الترابط!! إن ما وقع أثر عودة جلالة الملك هو التفاف الأمة جمعاء حوله بكيفية حماسية لم يبق معها مجال للتفكير في شيء غير الاستقلال التام، ودون الإلتزام بترابط ما مع فرنسا!!

ولقد شد المغاربة عن بكرة أبيهم إلى أجهزة الإذاعة قبل ظهر يو 18 نونبر 1955 ليستمعوا إلى صوت العاهل الظافر.

«... وقد وقعت ونحن في ضيافة فرنسا مذاكرات بيننا وبين حكومتها حول القضية المغربية في جو من الود والتفاهم وحسن الإستعداد أفضت إلى اتفاق على المبادىء العليا، وإلى الحكومة المغربية المقبلة سنسند مهمة التفاوض مع الحكومة الفرنسية، وتلك بشرى يطيب لنا أن نزفها إليك في هذا اليوم الميمون، بشرى إنتهاء عهد الحجر والحماية وبزوغ فجر الاستقلال والحرية».

وهكذا فبعد ما تأسست الحكومة الفرنسية شد العاهل الكريم الرحلة لفرنسا في (13 يبراير 1956) بعد أن ألقى خطابا على الأمة...

ومن المهم أن نذكر هنا أولاً بالخطاب التاريخي الذي ألقاه العاهل أمام رئيس الجمهورية الفرنسية يوم 15 يبراير 1956.. كما نذكر ثانيا بالمحاضرة الهامة التي ألقاها سمو ولي العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن يوم 25 يبراير في قاعة السفراء بباريس والتي حضرها جمع كبير من ساسة فرنسا وكان موضوعها (المغرب وفرنسا) حيث استمعنا إليه يقول : «إن لفظ «الترابط» لا يوجد في المعاجم غير أنه أجدر بنا أن نحقق ترابطا بين القلوب والمشاعر قبل كل شيء وحوارنا يجب أن يكون حوار رجال أحرار ذوي قلوب، والكلمة الغير الموجودة في المعجم لا محل لها إذن من الوجود في إقامة علاقات بين الشعوب.!!»[26]

وهكذا وبعد مفاوضات لم تخل من مواربات حصل المغرب على اتفاقيات تتضمن استقلال المغرب على نحو ما نجده في التصريح المشترك الذي يحمل تاريخ 2 مارس 1956 ونقرأه في الخطاب الملكي بالرباط يوم 7 مارس 1956.

وكنتيجة حتمية لاعتراف فرنسا باستقلال المغرب وقعت مراجعة نظام المنطقة الشمالية التي كانت خاضعة للنفوذ الإسباني حيث وجدنا جلالته يقوم أيضا بالرحلة إلى مدريد يوم رابع أبريل 1956 على ما تفصله الخطابات الملكية الهامة التي كان جلالته حريصا على توجيهها ـ تباعا ـ لشعبه الوفي.

---

26) مذكرات المهدي بنونة، الشرق الأوسط عدد 22 ـ 10 ـ 1987.



السيد امبارك البكّاي رئيس الحكومة المغربية الراحل يصافح السيد بينو وزير الخارجية الفرنسية في حكومة السيد ادكار فور بعد التوقيع على وثيقة اعتراف فرنسا باستقلال المغرب، وبذالك عادت المملكة المغربية إلى سابق أيامها الجيدة.

وكانت تلك المراجعة ترمي إلى تعميم الاستقلال في مجموع أطراف المغرب، وتحقيق وحدة ترابه، وقد تم التوقيع على هذا التصريح بمدريد بمحضر العاهل الكريم بتاريخ 7 أبريل 1956، ثم كان من الطبيعي كذلك أن يلغي أيضا نظام طنجة الدولي...

وبمجرد إنشاء وزارة الشؤون الخارجية أخذت الرسائل تنهال عليها من مختلف الدول الصديقة والشقيقة تطلب إعادة إنشاء سفارة لها بمغرب اليوم على نحو ما كانت علي في العصور الماضية...



ومن هنا صدر الظهير الشريف بتاريخ 14 رمضان 1375 ـ 26 أبريل 1956 بإحداث وزارة للشؤون الخارجية عين على رأسها السيد أحمد بلافريج الذي عهد إليه بإنشاء الهيكل التنظيمي لوزارة الشؤون الخارجية...

طلائع الدبلوماسية المغربية : عن يمين الوزير بلافريج : مولاي أحمد العراقي، عباس بناني، ابن سالم الكوهن، سميرس بناني. وعن يساره عبد الكريم غلاب، أحمد السنوسي، عبد اللطيف الفلالي، امحمد بوسته... مجلة (المغرب) عدد يونيه 1957.

ومن هنا ابتدأت اللائحة الطويلة للسفراء الذين استقبلهم العاهل العظيم على ما نقرأه في (المجلة) الغراء التي أخذت في الظهور عن وزارة الخارجية، يونيه 1957، وقد افتتحها العاهل بكلمات نيّرات[27] :



...لن يبقى بعد اليوم شمال ولا جنوب إلا في الاصطلاح الجغرافي

27) من حسن الحظ أن أجهزة الإعلام بما فيها المنطوق والمقروء والمصور أخذت تلاحق الأحداث الأمر الذي سيجعلنا نميل للاختصار ما أمكن... وبهذه المناسبة نذكّر الذين يرغبون في التفاصيل أن يرجعوا لنشرات وزارة الشؤون الخارجية ووزارة الإعلام علاوة على الجريدة الرسمية ومنشورات المطبعة الملكية...

العلاقات الدولية بعد استرجاع الاستقلال

□ بين المغرب ودول أروبا الغربية :

اسبانيا - فرنسا - أنجلترا - بلجيكا - إيطاليا - سويسرا - البرتغال - هولاندا - ألمانيا الفيدرالية - السويد - النورڤيج - النمسا - فاينلاند - الدانمارك - اليونان - اللّوكسامبورغ - مالطة - قبرص - إيسلاندا - إيرلاندا.

□ بين المغرب والدول الشرقية :

يوغوسلاڤيا - الاتحاد السوڤييتي - تشيكوسلوڤاكيا - رومانيا - بلغاريا - بولونيا - هنغاريا - ألمانيا الديموقراطية - ألبانيا.

المغرب ودول أُوروبا وحاضرة الڤاتيكان

لقد احتلت علاقات المملكة المغربية بالدول الأُروبية مكاناً مرموقاً فيما يتعلق بالعمل الدبلوماسي الواسع الذي قام به المغرب منذ أن استرجع استقلاله...

ولقد كان المغرب حريصاً على استكمال سيادته وتحمُّل جميع المسؤوليات في كل الميادين، وكان حريصاً كذلك على اختيار سياسة خارجيةٍ تستمد عناصرها من المبادئ التي عرفها التاريخ الدبلوماسي للمغرب في حياته الطويلة...

وهكذا وجدنا مغرب اليوم - على نحو مغرب الأَمس - يعمل على تنمية علاقات طيِّبة مع جميع الدول الأُروبية سواء منها الغربية أو الشرقية...

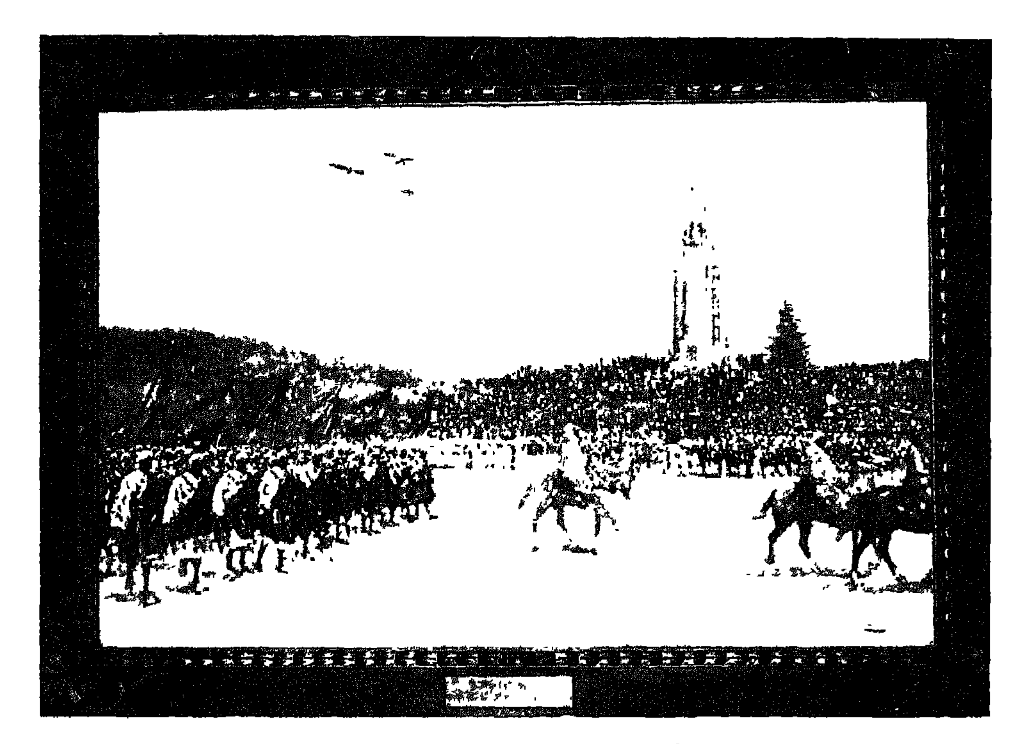
مع دول أروبا الغربية

إن موقف المغرب من مساندة الكفاح ضدّ الاحتلال الأَجنبي وضد الميز العنصري ووقوفه إلى جانب الشعوب المكافحة من أجل التحرير قد أثَّر تأثيراً ملموساً على علاقات المغرب مع بعض الدول الأُوربية التي كانت لها صلةٌ بتلك الشعوب...

المغرب واسبانيا

كان أول سفير قدّم أوراق اعتماده لجلالة الملك محمد الخامس هو السيد ألكوفير إسوريدا (F. Alcover y Sureda) (6 يوليه 1956)، ومن هنا ابتدأت المفاوضات مع اسبانيا حيث نجد أن المغرب يعقد معها سلسلةً من الاتفاقيات

الثنائية في مختلف الميادين السياسية والسياحية والمجالات الصناعية بعد أن تمكّن من الوصول معها في إثر محادثات متوالية إلى إجلاء جيشها عن منطقة الشمال يوم 31 غشت 1961.



تدشين النصب التذكاري للسهل الأصفر كتامة سنة 1940، حيث نظم فرانكو ثورته وانطلق إلى اسبانيا بجيوشه المغربية، وقد نقل هذا النصب بعد ذلك إلى سبتة حيث يوجد اليوم.

الرسم بريشة الفنان ماريانو بركوشي
وبهذه المناسبة نجدد الشكر للسيد
سفير اسبانيا بالمغرب

وفي إطار المحاولات المغربية لإقناع اسبانيا بضرورة إعادة الإقليم الصحراوي إلى المملكة المغربية قام جلالة الملك الحسن الثاني بزيارةٍ خاصة إلى اسبانيا اغتنم الفرصة خلالها للقيام بزيارة الخِنر اليسمو فرانكو أول يوليه 1967 وتحادث معه حول مستقبل الصحراء المحتّلة في إطار المودة الراسخة التي تربطهما وبدّد كلّ المخاوف التي قد تساور اسبانيا في مجال من المجالات.

استكمال الوحدة الترابية...

لم يكن القصد عند المغاربة باستكمال الوحدة الترابية أن يسترجعوا المنطقة الإسبانية ولا المنطقة الدولية فقط ولكن المغاربة كانوا يقصدون أيضاً إلى المواقع التي كان الإسبان يطلقون عليها، مراكز السيادة الإسبانية وهي منطقة **سيدي إيفني** على الشاطئ الأطلسي، ومنطقة الساقية الحمراء وعاصمتها العيون ومنطقة وادي الذهب وعاصمتها الدّخْلة، ومنطقة **سبتة ومليلية والجزر الجعفرية....**

وهكذا فبعد استرجاع ما كان بيد المحتل نتيجةً لمعاهدة الحماية 1912، انصرف اهتمام الدّبلوماسية المغربية إلى تخليص الصحراء من الهيمنة الإسبانية وخاصة بعد الانتفاضة التي تعاون على إخمادها الجيشان الإسباني والفرنسي (عملية إكُوفييّون) (Ecouvillon) فبراير 1958 حيث استمعنا إلى خطاب العاهل في محاميد الغزلان، يوم 15 يبراير 1958... ولم تر حكومة مدريد بدّاً من تسليم منطقة **طرفاية** في 10 أبريل 1958.

واتجهت الخطوة الثانية إلى موقع آخر كان يخضع للإدارة الإسبانية ويتعلق الأمر بسيدي إيفني...

فلما قابَل نظامُ فرانكو بالرفض المطالب المغربية من أجل استرجاع مناطق سيدي إيفني والساقية الحمراء ووادي الذهب عرض المغرب المشكلة على هيئة الأمم المتحدة التي وافقت بتاريخ 16 دجبر 1965 على القرار رقم 2072 الذي يدعو اسبانيا إلى إجراء مفاوضات مع المغرب...

وبالرغم من أن القرار المذكور للأمم المتحدة والقرارات اللاحقة لنفس الهيئة تدعو السلطات الإسبانية إلى إجراء مفاوضات مع المغرب لتصفية الاستعمار من منطقة سيدي إيفني، ومما كان يسمى «بالصحراء الإسبانية» في آن واحد ومن غير فصلٍ صريح بين مصيرهما، فإن السلطات الإسبانية رضخت لهذه القرارات فيما يخص منطقة **سيدي إيفني** وحدها التي أعيدت للمغرب بمقتضى معاهدة فاس في 4 يناير 1969.

وإذا ذاك لم تعد مقررات الأمم المتحدة تنطبق إلا على «الصحراء»... فكان على الدبلوماسية المغربية بذل مجهودات أخرى متواصلة لإقناع الحكومة الإسبانية بضرورة إعادة الصحراء للمغرب ذلك أن اسبانيا ضربت عُرض الحائط بكل القرارات الدولية في هذا الشأن، واتخذت قراراً **انفرادياً** يقضي بضم الصحراء نظراً لموقعها الجغرافي والاستراتيجي المقابل لجزر الخالدات ! فكان لزاماً على الدّبلوماسية المغربية أن تفضح أمام الرأي العام الدولي هذه المناورات، الشيء الذي أجبر السلطات الإسبانية على تغيير خطتها بخطةٍ **جهنمية** أخرى تقضي بإجراء استفتاء بالمناطق الصحراوية، وإقامة دولة صورية.!!

وعملاً من جلالة الملك على نسف سعي المحتل لتعكير الجو بين المغرب والجزائر وموريطانيا... تم لقاء تلمسان (27 مايه 1970) بين جلالة الملك وبين الرئيس بومدين، وتم اجتماع الدار البيضاء 8 يونيه 1970 بينه وبين الرئيس ولد داده، حيث قرّر الرُّؤساء **تنسيق العمل للمساعدة على تحرير الصحراء المحتلّة...**

وقد كلّلت هذه الأعمال **بالاجتماع الثّلاثي** في نواذيبو يوم 14 شتنبر 1970 حيث صدر بلاغ مشترك يقرر التعاون الوثيق للتعجيل بتحرير الصحراء...

وأمام إصرار اسبانيا وتماديها في مغالطاتها ومراوغاتها الرامية إلى **تعويق استكمال وحدة المغرب الترابية** أعلن جلالة الملك الحسن الثاني في خطابه التاريخي المؤرخ يوم **8 يوليه 1974 تشبثه بالصحراء** وتصميم الدولة على استرجاعها، وأمر جلالته بالقيام **بحملة دبلوماسية واسعة النطاق في كلّ** أنحاء العالم للتعريف بموقف المغرب...

وخلال انعقاد القمة العربي السابع بالرباط (27/26 اكتوبر 1974) أكدت الحكومة الجزائرية على لسان رئيسها الراحل أمام ملوك ورؤساء الدول العربية أنه ليس لبلاده أية مطالب ترابية في الصحراء، وأنه مستعدّ لمساعدة المغرب على استرجاع أراضيه...

ولما عرضت المسألة على الجمعية العامة لهيأة الأمم المتحدة خلال دورتها التاسعة والعشرين، وافقت هذه الأخيرة وبدون أي صوت معارض، على طلب المغرب بعرض الخلاف على محكمة العدل الدولية لتعطي رأياً استشارياً حول قضية الصحراء... وهكذا طلبت الأمم المتحدة بدورها من محكمة العدل الدولية أن تزودها **برأي استشاري** تستعين به في دورتها الثلاثين على بحث قضية الصحراء، كما طلبت من اسبانيا الإحجام عن القيام بأي استفتاء قبل أن تفصح الجمعية العامة عن السياسة التي ينبغي سلوكها...

وانعقدت محكمة العدل الدولية يناير 1975[1] وأعطت جوابها : إن الصحراء وقت احتلالها لم تكن **أرضاً خلاء** فقبل وصول الإسبان كانت تُمارس على سكان تلك الأرض سلطة سياسية، ولقد كانت توجد علاقات ولاء بين القبائل الصحراوية وبين ملك المغرب، ويتعلّق الأمر بطريقة خاصة بالعالم الإسلامي وإفريقيا في ممارسة السلطة السياسية العليا...

وفي هذه الأثناء (يبراير 1975) سجلت بطلب من المغرب، مسألة الصحراء في جدول أعمال مجلس منظمة الوحدة الإفريقية التي صادقت بالإجماع تقريباً على ملتمس يعلن مساندة المنظمة غير المشروطة للمغرب من أجل استعادة أراضيه المحتلة، والجدير بالذكر أن الملتمس يتحدث عن جميع الأراضي بما فيها الثغور المحتلة في الشمال وليس فقط الصحراء !!

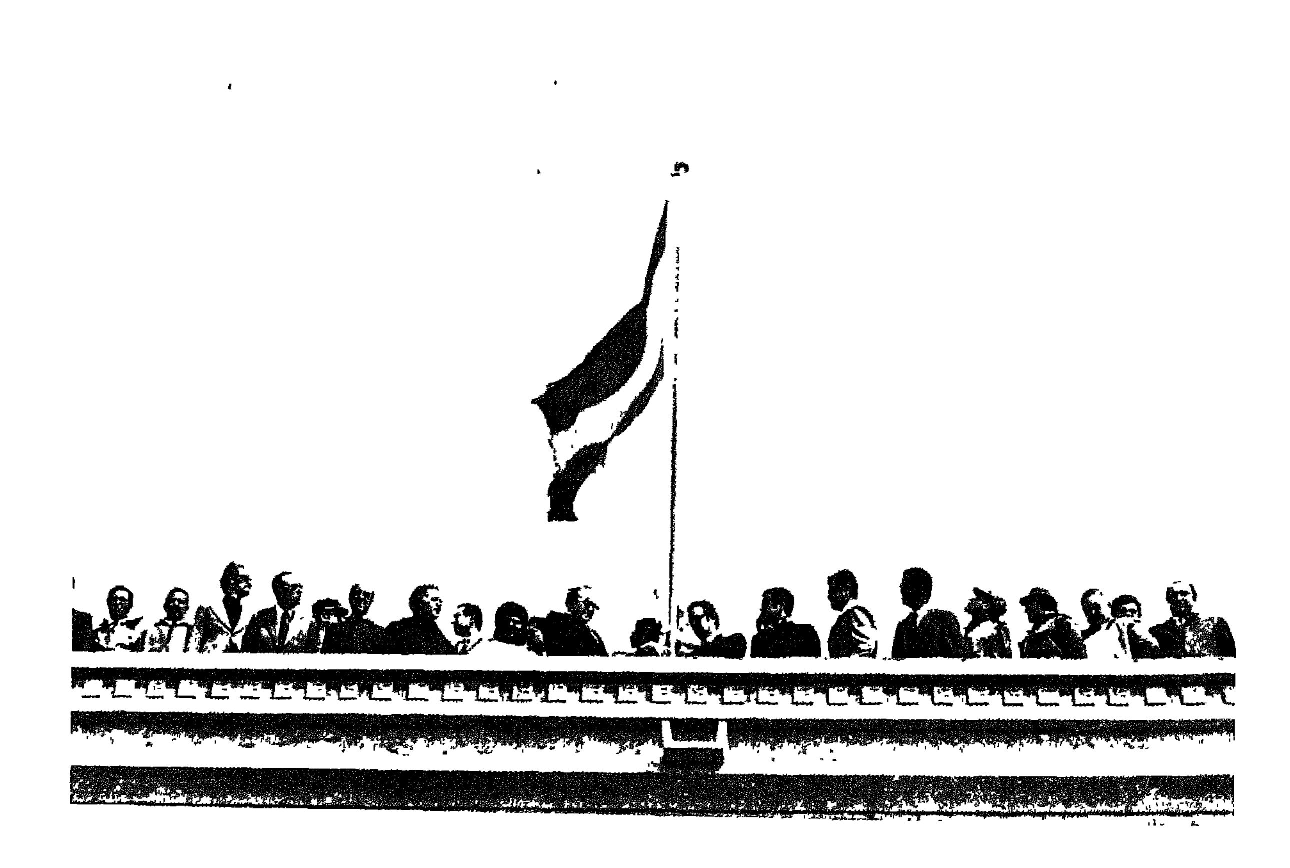
وبمناسبة زيارة رسمية قام بها وقتئذ عضو مجلس الثورة ووزير خارجية الجزائر، للمملكة المغربية صدّر بلاغ مشترك بتاريخ 4 يوليه **1975** = 24 جمادى الثانية 1395 ينص على أن جلالة الملك خص الوزير الجزائري باستقبال اتسم بالصراحة والمودة، وان الوزير المذكور صرح في أثناء اللقاء **بأن الجزائر تؤكد أن لا مطمع لها في الصحراء المغربية التي ترزح تحت نير الاستعمار...** وتسجل بكامل الارتياح **التفاهم الحاصل** بين البلدين الشقيقين المغرب وموريطانيا في شأن المنطقة...».

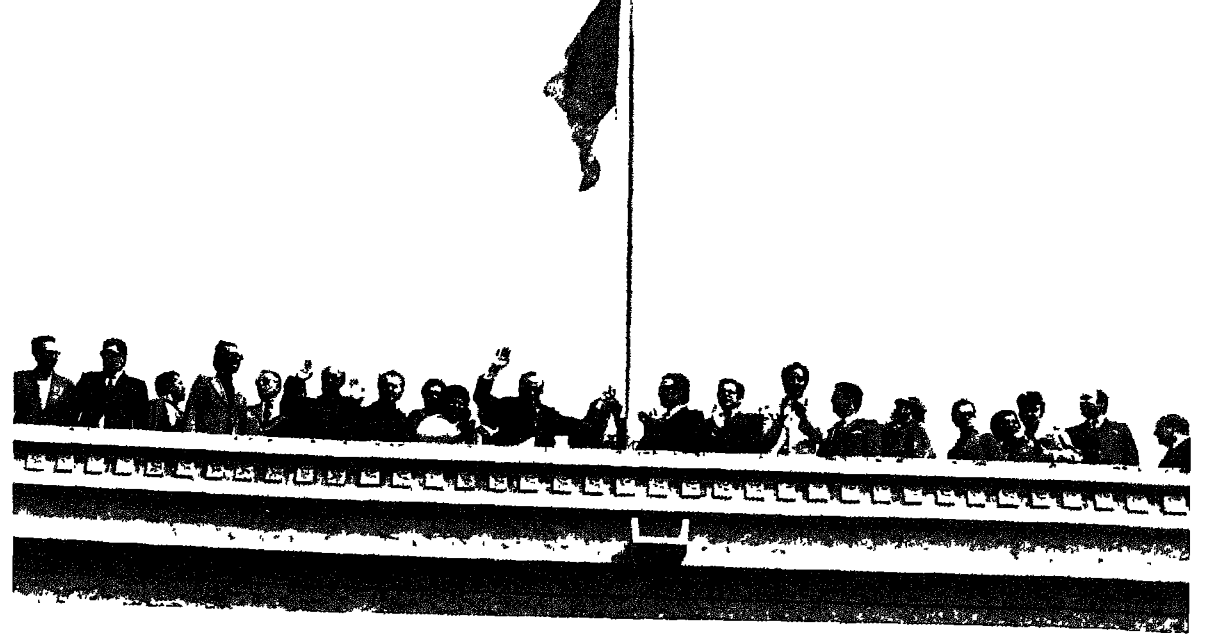
وفي اليوم الموالي 5 يوليه 1975 راحت رسالة من جلالة الملك الحسن الثاني إلى الرئيس هواري بومدين تتحدث عن مهمة الوزير المشار إليه بالمغرب، ومباشرةً بعد هذا وذاك أعلن جلالة الملك الحسن الثاني عن تنظيم «المسيرة الخضراء» التي كانت تهدف إلى استرجاع الحق المسلوب من الإدارة الإسبانية.[2]

---

1) حضرت جانباً مهماً من جلسات المحكمة **عندما** وضع رئيس المحكمة سؤالاً حول المذاهب الإسلامية المتبعة في الصحراء د. التازي : ندوة الإمام مالك، فاس 1981، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

2) حمل وزير الدولة الأستاذ السيد الحاج محمد بّاحنيني عدداً من الرسائل الكتابية والشفوية إلى السيد رئيس الجمهورية الجزائرية حول القضايا ذات الاهتمام المشترك...





السـيد أحمد بن سودة ممثل موريطانيا سيدي عبـد اللـه والحـاكم الإسبـاني السـابق الكولونيل فـالـديس بتاريخ 28 يبراير 1976، يوم تسليم السلطة إلى أهلها الأصليين...

وهكـذا انطلقت المسيرة في **سـادس نـونبر 1975** وشـارك فيهـا 350 ألف متطـوع، عترهم من النسـاء، يمثلون كل أقاليم المملكة بمدنها وقراها متحدين متماسكين متآزرين، كلّ الأحزاب السياسية المغربية والنقابات الوطنية شـاركت في «المسيرة الخضراء» ومعهـا أيضاً مغتربون صحراويون ورئيس الجمـاعة الصحراويـة والأمين العام لحزب الاتحاد الوطني الصحراوي، وعددٌ من وفود الدول الشقيقة والصديقـة... وكـان كلُّ المتطوعين يحمل جزءاً من المصحف الكريم والعلم المغربي...

بعد انطلاق المسيرة الخضراء نحو الصحراء أعلنت اسبانيا قبولهـا **استئنـاف المفـاوضـات** فـأصـدر جلالـة الملك في التاسع من نونبر الأمر إلى المتطوعين بالعودة إلى نقطة انطلاقتهم، وكان على الـدبلومـاسيـة المغربيـة أن تواصل عملها. وهكذا دخلت في مفاوضاتٍ صعبة مع اسبانيا **للإتفـاق** على الوسـائل الكفيلة بتحرير الصحراء من قبضتها. وفعلاً وقع في 14 نونبر 1975 في مدريـد الاتفـاق الـدي توّج المفـاوضـات التي جرت بين المغرب واسبانيا تطبيقاً للفصل 33 من ميثـاق الأمم المتحـدة، وللقرار رقم (380) الصـادر عن مجلس الأمن الـدولي الـذي دعا في السادس من نونبر من نفس السنة الأطراف المعنيـة إلى **إجراء مفـاوضـات لحلّ** مشكلـة الصحراء، وقـد وافقت الجمعية العـامـة للأمم المتحـدة في قرارهـا رقم B 3458 (xxx) المؤرخ يوم 10 دجنبر 1975 على هـذا الاتفاق، كما وافقت الجماعـة الصحراويـة «وهي المجلس الـذي يمثل كلّ قبـائل الصحراء المغربيـة» على اتفـاق مدريد؛ وتم في 28 يبراير 1976 دخول المغرب لأراضيه المستعادة في واضحة النهار حيث عين السيد أحمد بن سودة مستشار صاحب الجلالة عاملاً على الإقليم. .

ونظراً لكـون بعض الـدول الإفريقيـة غيَّرت مـوقفهـا المسـانـد للمغرب فقـد عرضت القصيـة على **منظمـة الوحدة الإفريقية** في مؤتمر الخرطوم سنة 1978 حيث اتخذت قراراً يقصي بتشكيل لجنةٍ للحكماء يعهـد إليهـا بدراسة القضية من كل جوانبها، والعمل على إيجاد حلٍّ لها وعرْضِ ذلك على مؤتمر استثنائي للقمة لتصميتها...

واعترافاً بالجميل لبعض قـادة إفريقيـا أرسل العـاهل المغربي سمو وليّ عهـده الأمير سيـدي محمـد في أول مهمة سياسية له يقوم بها في إفريقيا، لينوب عنه في الإشادة بجهود أولئك القادة...[3]

وتوجت الدبلوماسية المغربية مجهوداتها بالموقف النبيل الذي اتخذه جلالة الملـك الحسن الثـاني في مؤتمر القمـة **الثـامن عشر لمنظمـة الـوحـدة الإفريقيـة** الـذي انعقـد في نيروبي كينيـا **26 يـونيـه 1981 = 23 شعبان 1401 هـ** حيث وجّه حفظه الله من منبر المؤتمر خطابه التاريخي :

«...إن المغرب حاضرٌ هنا، وقد قرّر اليوم تقديم **مساهمـة** كمـا هو الشـأن في المـاضي، وسيقوم بـذلـك في إطار من لياقة وهدوء قيادته السياسية التي لم تكن واثقةً فقط من طريقتها في معـالجـة المشـاكل وقـدرتهـا على التحليل بل كانت واثقة أيضاً من حقها الثابت في الماضي والحاضر...[4] **لقد قررنا أن نـأخـذ بعين الاعتبـار**

---

3) عبد الهادي التازي : دفاعاً عن الوحدة الترابيـة للمملكـة المغربيـة، صـاحب السمو الملكي ولي العهـد سيـدي محمد في أول مهمة سياسية بإفريقيا، رمضان 1400 = يوليه 1880 ص 13 مطبعة أكدال ـ الرباط.

4) التازي : الموجز في العلاقات الدولية للمملكة المغربيـة : رقم الإيـداع القـانوني 1984/519، الطبعـة الأولى 1404 = 1984، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص 128.

زيارة ولي العهد لافريقيا

على نحو ما كانت عليه عادات الملوك السابقين، وعلى ما كانت عليه سيرة الملك محمد الخامس، دأب جلالة الملك الحسن الثاني على أن يعهد إلى صاحب السمو الملكي الأمير وليّ العهد سيدي محمد بمهماتٍ خارج الوطن وهكذا وجدناه في رحلةٍ إلى عدد من الدول الإفريقية في إطار الدفاع عن الوحدة الترابية... وهذه صورة لسمو الأمير يقوم بتقليدٍ عرفته جمهورية غينيا يقضي بأن يقوم كبار الضيوف بغرس شجرةٍ بمناسبة زيارتهم للبلاد... لعل الأصل في هذا التقليد الجميل هو الحديث الشريف : «ما من مسلمٍ يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة.

عن كتاب : دفاعاً عن الوحدة الترابية، للمؤلف ـ رمضان 1400 = يوليه 1980



مسطرة استفتاء مراقَب تُراعي شروطه التطبيقية في آن واحد أهداف التوصيات الأخيرة الصادرة عن اللجنة الخاصة لجنة الحكماء وما للمغرب من اقتناع بحقوقه المشروعة...».

وقبل أن يعود جلالته من نيروبي إلى الرباط كان مؤتمر القمة الإفريقي وافق على هذا الاقتراح، وهكذا أصدر توصيةً كان من بين بنودها تكليف «**لجنة متابعة**» مؤلفة من **سبْع** دول بالاجتماع قبل نهاية غشت لوضع الترتيبات المتعلقة بإجراء **الاستفتاء**.

وقد تلا هذا اللقاء لقاءٌ ثان في نيروبي كذلك بعد شهرين اثنين حيث **تناول** جلالة الملك الحسن الثاني يوم **25 غشت 1981** الكلمة ليشرح أمام لجنة السبْعة موقف المغرب من الاستفتاء ويبدي رأيه في طريقة إجرائه... ثم بعد ذلك ليجيب عن الأسئلة المطروحة...

وهكذا فبعد عددٍ من التدخلات والمداولات صدر القرار الذي يحمل إشارة AUG/I MP.C/WS/DEO/I وهو ينص على تنظيم وإجراء استفتاء **عام وحرٌّ** في الصحراء الغربية ومناشدة (EXHORTER) الأطراف المتنازعة الاتفاق **على وقف إطلاق النار من خلال مفاوضاتٍ** تجري تحت إشراف لجنة التنفيذ على ما تفصل التوصية....

ولم يخف الوفد المغربي إرتياحه من القرار ومن هنا رأينا حلالة الملك يودع نيروبي في اتجاه جدة حيث قام بزيارة بيت الله الحرام وطاف بالكعبة **وأدّى صلاة الشكر لله** بمقام سيدنا إبراهيم عليه السلام..

وفي أعقاب هذا بعث العاهل إلى سائر المنظمات الدولية والأمم الكبرى برسائل حول **مقررات نيروبي**، وكانت تحمل تاريخ 1981/10/13.

وقد اجتمعت **لجنة المتابعة الإفريقية** في أديس أبابا يوم 20 شتنبر 1983 = 12 ذي الحجة 1403 ومثل العاهل المغربي فيها سمو ولي العهد سيدي محمد...

وقد وجدنا جلالة الملك الحسن الثاني يلقي يوم الثلاثاء 27 شتنبر **1983 = 19 ذي الحجة 1403 أمام الجمعية العامة** لهيأة الأمم المتحدة خطاباً هاماً تناول في شقه الثاني قضية الصحراء، قال صاحب الجلالة :

ولقد حضرنا ـ شخصياً ـ اجتماعات لجنة المتابعة في قمة نيروبي الثاني وساهمنا في أعمالها بكل صراحة وصدق ووفاء، وخلال هذا الاجتماع تمَّ تحديد مسطرة **الاستفتاء** والمساحة الجغرافية التي سيشملها، وقد تم ضبط هذه المساحة شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً على خريطة مقبولة من لدن منظمة الوحدة الإفريقية، وفي نفس الاجتماع حددت لجنة المتابعة طريقة تصويت سكان الصحراء، وضبطت مكاتب التصويت كما قررت أن يصوت كلّ صحراوي في مسقط رأسه، وعهدت أخيراً إلى مراقبين تابعين لمنظمة الوحدة الإفريقية ـ وبمساعدة مراقبين آخرين تابعين للأمم المتحدة ـ بمهمة احترام مشروعية وصلاحية ونزاهة الاستفتاء.

سيدي الرئيس ـ سيدي الأمين العام ـ أيها السادة :

يؤكد المغرب اليوم لأول مرة في هيأة الأمم المتحدة من جديد رسمياً أمام الرأي العام على لسان من قلده الله مصير بلده أن المغرب يقول لكم : إنه يريد الاستفتاء، والمغرب يقول لكم : إنه على استعداد لإجراء هذا الاستفتاء من يوم غد...».

☆ ☆ ☆

ونذكر من الأيام الحاسمة في تاريخ علاقات المغرب بمنظمة الوحدة الإفريقية يوم 12 نونبر 1984 = 18 صفر 1405 أمام مؤتمر القمة العشرين حيث وقف مستشار صاحب الجلالة السيد أحمد رضا اكديرة باسم المملكة المغربية ليقول :

لقد اعتقدنا ـ بحق ـ أن مبدأ حل المشكل قد تم تبنّيه ولم يبق إلا تحديد شروطِ وشكليات وتطبيق هذا الحل غير أنه يبدو ـ وياللأسف ـ أن هذا لم يكن رأي أولئك الذين أعادوا إثارته بطرح المتكلة برمتها من جديد وبتعقيدٍ أكثر...[5] وبعد تذكير السيد المستشار بالمراحل التي قطعتها القضية... قال :

«...لقد بذل الحسن الثاني ملك المغربي كلّ ما في وسعه وأكثر مما يمكن أن يطلب من رجل مسؤول...»

وعقب هذا التدخل أخبر السيد أحمد رضا كَديرة المؤتمر بوجود **رسالة ملكية** موجهة إلى المؤتمر ابتدأت بهذه العبارات النافذة :

«...قد حانت ساعة الفراق، ووجد المغرب نفسه مضطراً ألا يكون شريكاً في قراراتٍ لا تعدو أن تكون حلقة في مسلسلٍ لتقويض أركان المشروعية : العنصر الحيوي لكل منظمة دولية تحترم نفسها... إن منظمة الوحدة الإفريقية قد ارتكبت ـ بما يتنافى مع الفصل الرابع من ميثاقها ويُعد انتهاكاً صارخاً له ـ خطأ يعد سابقة خطيرة...

وفي انتظار أن **يتغلب جانبُ الحكمة** والتعقل فإننا نودعكم، إلا أن المغرب إفريقيٌّ بانتمائه وسيبقى كذلك وسنظل نحن المغاربة جميعاً في خدمة إفريقيا...»

وبعد هذا تدخل الرئيس الزائري ليعّبر عن مشاعر الحزن التي أحس بها إزاء «تصرفات الرئاسة» وقال : إن الوفود الإفريقية التي جاءت إلى أديس أبابا جاءت وهي تعتقد أن أعمال المؤتمر ستجري في نطاق الكرامة والمشروعية...

☆ ☆ ☆

وقد شاهد الجميع الزيارة التاريخية التي قام بها العاهل المغربي جلالة الملك الحسن الثاني للأقاليم الصحراوية في أعقاب **احتفاله** بعيد الجلوس على العرش في مراكش حيث عاش العالم كلُّه مع هذا الحدث الكبير (10/6 مارس 1985) الذي كان مناسبة لتفقد المنشآت العمرانية التي عرفتها الأقاليم...

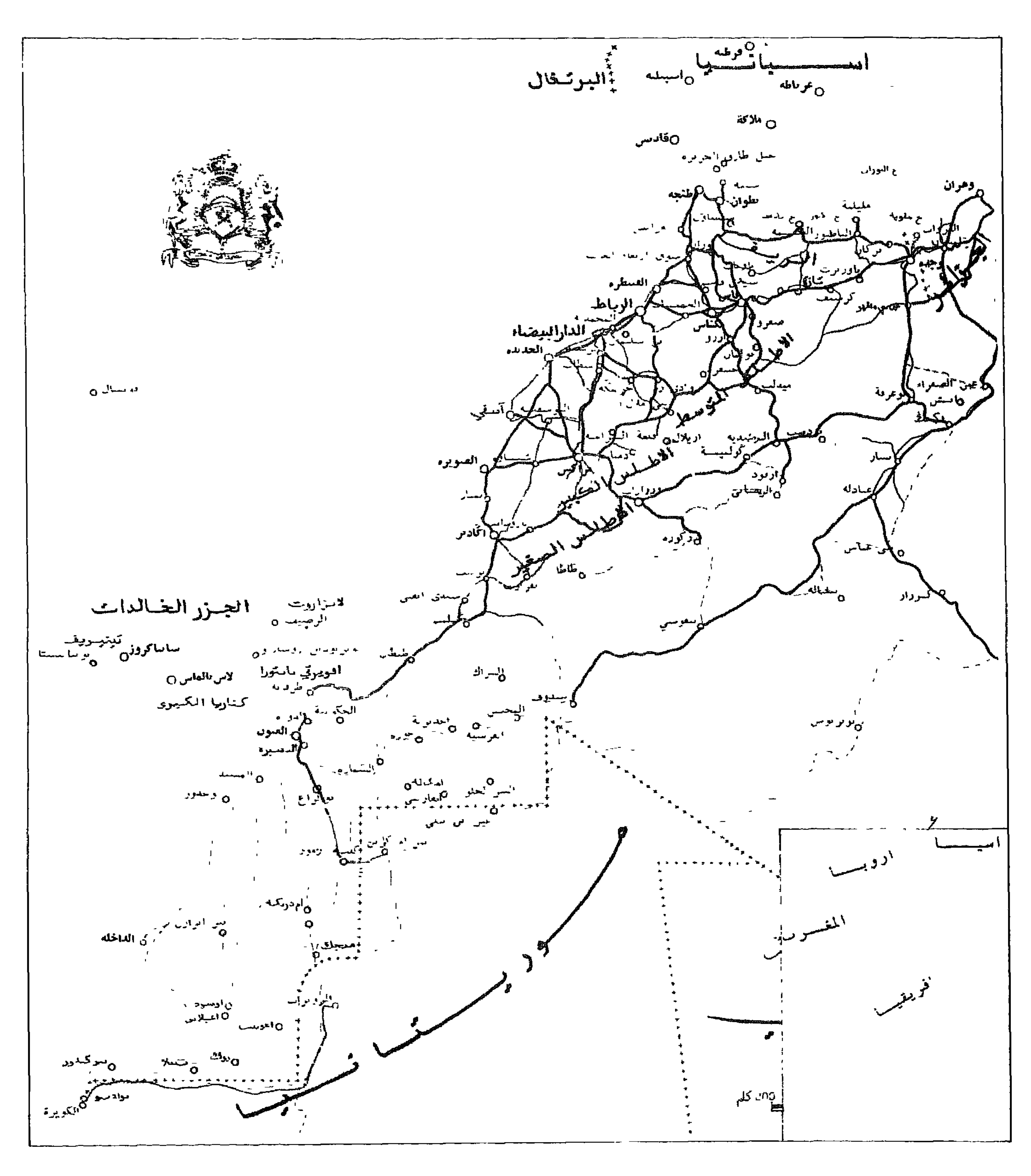
---

5) لقد حدث في تلك الأثناء أن أقدم أحد المسؤولين في منظمة الوحدة الإفريقية على السماح لخصوم المغرب بأخذ مقعد لهم بالقاعة تحت اسم «جمهورية» !...

جلالة العاهل في الأمم المتحدة 27 شتنبر 1983 يلقي خطابه الذي تناول في شقه الثاني قضية الصحراء. نجدد الشكر بهذه المناسبة لبعثة المغرب بالأمم المتحدة بنيويورك.



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يؤدّي صلاة الجمعة بمسجد العيون الجامع يوم 23 جمادى الثانية 1405 = 15 مارس 1985.



عن مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية

قسم الخرائطية ـ الرباط

وقد شهدت المملكة المغربية حدثاً تاريخيّاً تجلى في قيام جلالة الملك خوان كارلوس بزيارة للمملكة المغربية أواسط يونيه 1979 حيث التقطنا ـ ونحن في تهران ـ أصداء الخطب المتبادلة خلال مأدبة العشاء بفاس بين الملكين، تلك الخطب التي أعادت إلى ذاكرتنا الماضي الحافل للعلاقات بين البلدين...

كان هذا اللقاء بين العاهلين عاملاً قويّاً على دعم العلاقات أكثر من أي وقت مضى... وهو الأمر الذي يدل عليه قيام جلالة الملك الحسن الثاني بزيارة خاصة للديار الإسبانية بتاريخ 24 يبراير 1982 = 29 ربيع الثاني 1402 حيث صدر بلاغ مشترك عبّر فيه العاهلان بالخصوص عن ارتياحهما لآفاق التعاون الإسباني المغربي في إطار الصداقة التقليدية والتاريخية التي تجمع بين البلدين...[1]

بين المغرب وفرنسا

لقد كان ثاني سفير يقدم أوراق اعتماده لجلالة الملك محمد الخامس هو السفير الفرنسي السيد أندري دوبوا A. Dubois (15 يونيه 1956...)[2]

ومن هنا أبرمت مجموعة من الاتفاقيات والأوفاق التي تهدف إلى التعاون المتبادل في الميادين ذات المصلحة المشتركة...

كلّ هذا كان بعد العمل الجادّ والمتوالي كذلك من أجل جلاء القوات الفرنسية عن الأراضي المغربي يوم ثاني مارس 1961.

---

1) أجدد شكري لسعادة السفير الزميل خواكين أورْطِيكَا (Jaoquin Ortega) على المعلومات القيمة التي زودني بها جواباً على رسالتي بتاريخ 1987/12/11، والتي تناولت ذكر أسماء السفراء الذين تعاقبوا على المغرب، كما تناولت جرداً بالزيارات المتبادلة والمعاهدات المبرمة مما سننشره في «الملاحق» ويذكر أن أول سفير مغربي اعتمد باسبانيا كان هو الأستاذ محمد عواد 1956/6/19.

2) أشكر سعادة السفير جان بيرنار ميريمي (Jean Bernard Merimée) على المعلومات التي زودني بها جواباً على رسالتي بتاريخ 11 مايه 1988 والتي سأنشرها في «الملاحق» ويذكر أن أول سفير مغربي اعتمد لدى فرنسا هو الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد 1956/6/19، لكنه استُدعِيَ على إثر اختطاف الطائرة المغربية التي كانت تقل زعماء الثورة الجزائرية...

ولابدّ أن نعود إلى الأرشيف الوطني لنتتبع أصداء الرحلة التي قام بها جلالة الملك الحسن الثاني لفرنسا في مايه 1962 وكذلك في يونيه 1963 تلبيةً لدعوة الجنرال شارل دكَول رئيس الجمهورية الفرنسية بما صحب هذه الزيارة من تصريحاتٍ وخطابات رسمية ومرتجلة وجوابات وندوات في جمعية الصحافة الدبلوماسية وفي المجلس البلدي وفي منظمة اليونيسكو...

ولقد انتهت الزيارة الملكية بصدور بلاغٍ مشترك كان يعبر عن حصيلة هذا اللقاء التاريخي الذي تم بين دولتين كاملتي السيادة...

وقد كانت أول اتّفاقية دولية عقدها المغرب بعد استرجاع استقلاله هي الاتفاقية الدبلوماسية التي أبرمها مع فرنسا يوم 28 مايه 1965، والتي كانت انطلاقةً لعقد اتفاقيات مهمة أخرى متعددة الجوانب : فيها الاتفاقيات القضائية والثقافية والمالية...

وقد وقع في خريف 1965 حادث مفاجئ خلق جوّاً من التوتُّر بين الطرفين وأدّى إلى القطيعة الدبلوماسية لفترة من الزمن...

ففي يومِ 29 اكتوبر 1965 = 4 رجب 1385 أوقفت الشرطة الفرنسية في قلب باريز الأُستاذ المهدي بنبركة وذهبت به على متن سيارة رسمية إلى جهةٍ مجهولة فثارت بذلك ضجة كبيرة أدَّت إلى استرجاع فرنسا لسفيرها من المغرب الأمر الذي ردت عليه الحكومة المغربية بالمثل...

ولما انتخب السيد جورج بومبيدو رئيساً للجمهورية الفرنسية في صيف 1969 تخلت فرنسا عن موقفها وتمّ الاتفاق على تبادل السفراء الأمر الذي تبعه سفر جلالة الملك إلى باريز في زيارة خاصة (31 يناير - 8 يبراير 1970...)

وقد أقام الرئيس الفرنسي مأدبة عشاء إكراماً للعاهل المغربي حيث تبادل الزعيمان - في نهاية العشاء - الخطب... وقد كان مما قاله الرئيس الفرنسي مذكراً بدور الرجلين : محمد الخامس والحسن الثاني : «وإني لأذكر الدور العظيم الذي قمتم به وأنتم ولي للعهد إلى جانب جلالة والدكم المرحوم محمد الخامس وأنتم تدافعون عن حقوق المغرب كوطني متحمس...».



جلالة الملك محمد الخامس يوجّه الأمير مولاي الحسن...
عن مجلة (L'Illustration) بتاريخ 15 غشت 1931.

وفي معرض جوابه عن الرئيس بومبيدو شكر له جلالة الملك الحسن الثاني تنويهه بالدور الذي قام به وهو يعمل، في مقتبل العمر، إلى جانب والده في معركة التحرير...



جلالة الملك الحسن الثاني وارث سرّ أبيه

وإلى جانب المحادثات التي جرت بين الجانب المغربي والفرنسي قام جلالته بعدة نشاطات على ما هو معهود...

وكان مما سجله التاريخ الدبلوماسي للعلاقات بين البلدين زيارة الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان للمملكة المغربية في أول مايه 1975 حيث استمعنا إلى الخطب المتبادلة بين الزعيمين من 3 إلى 6 مايه 1975 - 21 ربيع الثاني 1395 خلال مأدبة العشاء التي أقامها جلالته تكريماً للرئيس الفرنسي...

وقد صدر بلاغ مشترك سجل فيه خطوات تصفية الاستعمار في افريقيا الجنوبية ورحبا باستقلال الأقطار التي كانت خاضعة للاحتلال البرتغالي...

ولم يكن غريباً علينا أن نجد جلالة الملك الحسن الثاني يقوم برد الزيارة إلى فرنسا يوم 22 نونبر 1976 - 29 ذي القعدة 1396 حيث وجدنا الرئيس الفرنسي يستقبله في المطار بخطاب أشاد فيه بجلالة الملك الذي أجاب الرئيس الفرنسي وحيّى من خلاله الشعب الفرنسي...

وقد قام جلالة الملك يوم - 24 يناير 1982 - 28 ربيع الأول 1402 بزيارة عمل لفرنسا حيث اجتمع إلى الرئيس الفرنسي السيد فرانسوا ميتران وأجرى معه مباحثات تهم العلاقات بين المغرب وفرنسا...

وعلى عادته رأيناه يقم بعدة أنشطة بمقر إقامته في (بيتز) بضواحي العاصمة الفرنسية...

وتلبية لدعوة وجهها جلالة الملك لفخامة الرئيس ميتران قام السيد الرئيس بزيارة رسمية يوم 27 يناير 1983 حيث عاش المغرب مع هذا الحدث الذي تجلت من خلاله مكانة المغرب الدولية وأصالته في ممارسة سيادته الوطنية...

وفي خريف هذه السنة (10 أكتوبر 1983 - 4 محرم 1404) وجدنا جلالة الملك الحسن الثاني يصل إلى باريز قادما إليها من نيويورك حيث كانت له مع الرئيس فرانسوا ميتران بقصر الإيليزي محادثات رأسا لرأس، تناولت العلاقات الثنائية والأوضاع العربية والإفريقية قبل أن يقوم بزيارة خاصة لبروكسيل...

لقد كان الكل يشعر بأن جسراً جوياً نصب بين البلدين حيث وجدنا العاهل الكريم يرضي الدعوة التي توجه بها إليه الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران يوم 27 نونبر 1985 ـ 14 ربيع الأول 1406...

وفي قاعة الشرف بمطار أورلي تبادل الزعيمان الخطب التي كانت تؤكد عما يربط بين البلدين من وشائج التعاون والتفاهم.. وقد تبعت هذه الخطب مثيلات لها خلال مأدبة العشاء التكريمية التي لم تقتصر مواضيعها على ما يتصل بالمملكة المغربية ولكنها تتجاوز ذلك إلى القضية العربية التي ما انفك جلالته حريصا على إثارتها مع أقطاب العالم غيرةً منه ودفاعاً على الشرعية، هذا طبعا إلى القضايا المطروحة على المستوى الدولي...

وبمناسبة تجديد انتخابات الرئيس فرانسوا ميتران كرئيس للجمهورية الفرنسية في سادس مايه 1988، وجدنا الملك الحسن الثاني يعبر له عن التهاني والأماني...

المغرب ـ أنجلترا

وقد كان أول سفير إنجليزي قدم أوراق اعتماده لجلالة الملك محمد الخامس هو السيد فريز بينيفاثر (FREESE – Pennefather) 18 يوليه 1956،[3] ومن هنا استرجعت العلاقات سابق عهدها القديم مع بريطانيا العظمى، وقد اتسم التمثيل الدبلوماسي المغربي في أنجلترا بميزة لها أكثر من دلالة، فقد عين جلالة الملك محمد الخامس ـ رحمه الله ـ في منصب سفير المغرب في المملكة المتحدة ابن عمه صاحب السمو الأمير مولاي الحسن بن المهدي خليفته السابق بتطوان...[4]

3) نشكر سعادة السيد سيمون بيز (Simon Pease) القائم بأعمال السفارة البريطانية على المعلومات التي وافانا بها جواباً على رسالتنا بتاريخ 11 مايه 1988 وقد أفادنا أن الاسم الكامل للسفير البريطاني الأول هو : هارولد ويلفريد أرمين فريز بينفياتر (Harold Wilfred Armin Freese-Pennefather).

4) لا أنسى العون الذي أسداه إليّ هذا الأمير الجليل كما لا أنسى كذلك ما قدمته إليّ من مساعدة زوجته الأميرة الجليلة لالّة فاطمة الزهراء كريمة السلطان مولاي عبد العزيز تغمده الله برحمته الواسعة..

وبعد انتهاء مأموريته عيّن جلالة الملك الحسن الثاني شقيقته صاحبة السمو الملكي الأميرة لالّة عائشة سفيرةً لجلالته لدى جلالة الملكة إليزابيث الثانية.



جلالة الملك الحسن الثاني يسلم إلى الأميرة لالّة عائشة أوراق اعتمادها

وطوال السنوات المتعاقبة اتسمت العلاقات المغربية البريطانية بكثيرٍ من مظاهر التفاهم والتّقدير والاحترام المتبادل، وهكذا ألغيت في مايه سنة 1957 البنود المجحفة بحقوق المغرب ومصالحه من المعاهدة التجارية البحرية المعقودة بين البلدين سنة 1856، وحلّت محلها معاهدات واتفاقيات جديدة مبنية على المساواة وتبادل المنافع...

وقد تعددت الزيارات بين المسؤولين الكبار في البلدين ولا سيما زيارتيْ جلالة الملك الحسن الثاني - أثناء ولايته العهد - الأولى في شتنبر 1957 والثانية في اكتوبر 1960...

وقد عشنا الزيارة التاريخية التي قامت بها جلالة الملكة إليزابيث الثانية إلى المملكة المغربية ابتداء من يوم الإثنين 27 اكتوبر 1980 = 17 ذي الحجة 1400 حيث استقبلها جلالة الملك الحسن الثاني في مطار سلا وكانت مرفوقة بزوجها صاحب السمو الملكي الأمير فيليب دوق أدنبره...

وبعد أن جرت في قصر الضيافة حفلة لتبادل الأوسمة.. أُقيمت مأدبة عشاء تكريماً للملكة حيث ألقى جلالة الملك باللُّغة الإنجليزية خطاب الترحيب.

«...إنّ المغرب ـ يقول جلالة الملك ـ ليس بالأرض المجهولة لدى أنجلترا، الأمر الذي أتاح لبلدينا أن يقيما بينهما علاقات متينة وصلات وثيقة طوال القرون...».

وفي جوابها على خطابه قالت الملكة على الخصوص :

«...إن أولَ تبادل تمّ بين حاكمَيْ بلدينا جرى بعد مرور بضع سنوات فقط من تشييد صومعة حسان العظيمة، وذلك حينما التجأ جون الملك البريطاني للسلطان محمد الناصر يطلب المساعدة...»[5]

وقد رأى جلالة الملك الحسن الثاني أن يلبي الدّعوة التي وجهتها له جلالة الملكة، وهكذا قام بزيارةٍ رسمية إلى العاصمة البريطانية فيما بين 14 و 17 من شهر يوليه من سنة 1987 كانت مناسبةً لِتقوية الأواصر القديمة القائمة بين البلدين، ولمراجعة برامج التعاون ووضع خططٍ لأعمال مشتركة يقوم بها المغرب وبريطانيا....

وإذا كانت الوسائل الإعلامية قبل هذا التاريخ تقتصر على نقل مثل هذه الأخبار عبر الأثير، فإنها، أي الوسائل، أصبحت الآن قادرةً على متابعة الرِّحلة الملكية عبر التلفزة التي كان الجمهور المغربي مشدوداً إليها يتتبع الزيارة الكبرى بما صحبها من تقاليد ضاربةٍ في جذور التّاريخ...

5) يراجع المجلد 6 ص 267 وما بعدها.



صاحبا الجلالة الملك الحسن الثاني، والملكة إليزابيث في العربة التي أقلّتهما من محطّة فيكتوريا بلندن إلى قصر باكنكَهام.

المغرب ـ بلجيكا

وقد قدم أول سفير لبلجيكا السيد بول لاموت P. Lamotte أوراق اعتماده يوم 21 غشت 1956 = 13 محرم 1376، حيث ألقى خطاباً أجاب عنه جلالة الملك واعداً السفير بأنه سيجد منه ومن حكومته الاستعداد اللازم لتسهيل المهمة.(6)

وقد كان في أبرز ما شهدت العلاقات بين البلدين الزيارة التي قام بها جلالة الملك بودوان ملك بلجيكا إلى المغرب، حيث استمعنا إلى الخطاب السامي الذي ألقاه جلالة الملك الحسن الثاني تكريماً للعاهل البلجيكي يوم الأربعاء 30 رجب 1388 = 23 اكتوبر 1968.(7)

وقد سجل التاريخ قيام جلالة الملك الحسن بزيارة عمل للمملكة البلجيكية ـ على ما أشرنا قبل ـ يوم الثلاثاء 18 اكتوبر 1983 = 11 محرم 1404 حيث حضر مأدبة العشاء التي أقامها على شرفه جلالة الملك بودوان عاهل بلجيكا، وأثناء هذه المأدبة تبودلت وجهات النظر بين الملكين حول مختلف القضايا الثنائية والدولية ذات الاهتمام المشترك...

المغرب ـ إيطاليا

لقد كان أوّل سفير لإيطاليا بالمغرب هو البارون ريناتو بوڤا سكوبا (Rinato Bova Scoppa)السفير الإيطالي الذي قدّم أوراق اعتماده يوم خامس نونبر 1956...(8)

---

6) أشكر السيد السفير ج. ميلسانس (J.Melsens) على إرساله لائحة الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين...

7) تراجع جريدة (لوپينيون L'opinion) المغربية عدد 1968/10/23 وجريدة (العلم) نفس التاريخ فقد نشرتا وثائق عن هذه الزيارة...

8) أشكر سعادة السفير السيد أنطونيلّو بّييطروماركي (Antonillo Putromarchi)، عبد الهادي التازي : العلاقات الثقافية بين روما وفاس منذ القرن العاشر للميلاد... جريدة (العلم) 9 مارس 1963 ـ مجلة المغرب ـ لسان وزارة الخارجية العدد 6 مايه 1963.

وقد شهدت الديار الإيطالية زيارة استجمام واستطلاع لجلالة الملك محمد الخامس أواسط يناير 1957 حيث سجلنا مراسيم ملكية يسند العاهل الملك محمد الخامس بمقتضاها النيابةَ عنه لسمو ولي عهده الأمير مولاي الحسن أثناء مقامه بالرُّبوع الإيطالية...

وقد سجلت المملكة المغربية يوم 6 مارس 1963 زيارة فخامة الرئيس السيد أنطونيو سيني رئيس الجمهورية الإيطالية استجابةً لدعوة حضرة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حيث كان ضيف الشرف في مأدبة العشاء التي أقامها العاهل بالقصر الملكي والتي أعقبها بدء المحادثات المغربية الإيطالية، قبل أن يتوجه الرئيس الإيطالي لمدينة فاس يوم الجمعة ثامن مارس للحضور بجانب الملك في حفلات توأمة فاس وفلورانسة...

وتتميز العلاقات المغربية الإيطالية بإبرام عدد من الإتّفاقيات التي تتناول مختلف الميادين والتي تتضمن نصوصها سجلاتُ الأرشيف الوطني...

المغرب ـ سويسرا

وقد كان أول وزير مفوض قدم أوراق اعتماده لجلالة الملك محمد الخامس هو السيد كريشوف ألبير دو تشودي (CH. A. de Tschudi)[9]

المغرب ـ البرتغال

كانت البرتغال من الدول السباقة لإرسال وزيرها المفوض إلى المملكة المغربية حيث نجد السيد مانويل هوميم دو ميلو (MANUEL Homem de Mello) يقدم أوراق اعتماده يوم 18 دجنبر 1956.[10]

---

9) أشكر سعادة السفير جان بورجوا (J. Bourgeois) على المعلومات التي قدمها في رسائله الثلاث والتي ستنشر في «الملاحق»...

10) أشكر سعادة الزميل السيد جورج ماركيز ليطاوُو ريتّو (Jorge Marques de Leitao Ritto) على المعلومات التي بعث بها إليَّ بتاريخ 29 يونيه 1988 وسننشرها ضمن «الملاحق». هذا وقد كان أول دبلوماسي مثل المغرب في البرتغال السيد الطاهر مكوار منذ عام 1962.

ومن هنا أخذت العلاقات طريقها.. وشاهدنا انعقاد الإتفاقيات وتبادل الزيارات.. التي كان من أبرزها قيام رئيس الجمهورية السنيور ماريو سواريس (Mário Soares) بزيارة المملكة المغربية وحضوره في مراكش احتفالات المغرب بعيد جلوس جلالة الملك الحسن الثاني على عرش أسلافه.

وكذلك قيام الوزير الأول في حكومة صاحب الجلالة الدكتور عزالدين العراقي قبيل ذلك بزيارة الجمهورية البرتغالية حيث جرت محادثات هامة فتحت الطريق نحو آفاق جديدة...

المغرب ـ هولاندا

وكذا كان الحال في علاقات المغرب مع هولاندا التي قدم وزيرها المفوض السيد هندريك كَويمَنس (H. Goemans) أوراق اعتماده لجلالة الملك محمد الخامس يوم 22 مارس 1957 حيث أبرمت عدة اتفاقيات بين الطرفين وشهد البلدان زيارات على أعلى المستويات...[11]

المغرب ـ ألمانيا الفيدرالية

وقد قدم أول سفير لألمانيا الفيدرالية الهرفون ديرايش (H. Von Deresch) أوراق اعتماده يوم 26 مارس 1957، حيث ابتدأ عهد جديد بين الدولتين تجلى في العدد من الإتفاقيات المبرمة بين الطرفين...[12]

---

11) جوابا على رسالتي بتاريخ 1987/12/11 توصلت شاكراً بالمعلومات التي بعثها إليّ سعادة سفير البلاد الواطئة السيد ج.ك فان دين بيركَ (J.C.VAN DEN BERG) ويذكر أن أول سفير مثل المغرب في هولاندا هو الزميل السيد بنسالم جسوس 1964/12/22.

12) جواباً على رسالتي بتاريخ 1987/12/11 توصلت من سعادة السيد نوربير مونفور (Norbert Montfort) سفير الجمهورية الفيدرالية الألمانية بلائحة ـ باللغة الألمانية ـ للسفراء الألمان المعتمدين لدى المغرب ابتداءً من عام 1957 وكذلك بلائحة السفراء المغاربة المعتمدين لدى ألمانيا الفيدرالية علاوةً على جرد بالاتفاقيات المبرمة بين البلدين وسننشرها ضمن «الملاحق».

وقد كان مما ورد في خطاب جلالة الملك الحسن الثاني في أثناء المأدبة التي أقامها على شرفه رئيس الجمهورية الاتحادية الألمانية بمدينة بون يوم 29 نونبر 1965 ـ 5 شعبان 1985.

«...إننا لم ننس ذلك التقدير المتبادل الذي طبع علاقات أسرة العلويين بالمغرب بأسرة الهوها نزولّيرن (HOHENZOLLERN) بألمانيا فمن أجله وإحياء لذكره أوفد جدنا المنعم السلطان مولاي الحسن الأول بعثة إلى الإمبراطور غليوم الثاني لتهنئته بمناسبة اعتلائه عرش الإمبراطورية الألمانية...»

المغرب ـ السويد

وقد قدم أول وزير مفوض للسويد السيد بيتري لينارت (LENART Petri) أوراق اعتماده يوم 23 يوليه 1958 لجلالة الملك، وتلا هذا عقد اتفاقيات في شتى الميادين...[13]

المغرب ـ النرويج

كان أول سفير للنرويج قدم أوراق اعتماده إلى جلالة الملك محمد الخامس هو السيد هاكون نورد (Haakon Nord) بتاريخ 26 نونبر 1958 على ما تفيده الوثائق المغربية[14]

13) جواباً على رسالتي بتاريخ 1987/12/11 تلقيت من سفير السويد رون نيسطروم (Rune Nyström) بلائحة للسادة السفراء الذين تعاقبوا على المغرب وكذلك بأسماء السفراء المغاربة الذين اعتمدوا في اسطوكهولم علاوة على جرد بالاتفاقيات المتصلة بالمغرب وسننشر ذلك ضمن «الملاحق».

14) جواباً على رسالتي بتاريخ 11 مايه 1988 إلى السيدة السفيرة آز سبّيلْبيركَ دانييلصن Aase Speilberg Danielsen تلقيت بتاريخ 15 نونبر 1988 تحيل على رسالة القائم بأعمال السفارة بتاريخ 18 غشت 1988، وتتضمن المعلومات المطلوبة التي سننشرها في ملاحق الكتاب...

المغرب ـ النمسا

وقد استأنف المغرب المستقل علاقاته الدبلوماسية مع النمسا بتاريخ 1959/12/9 في شخص السفير كلاوس فينتير شطاين (Claus Wanterstein) الذي كان يقيم في ليشبون. ومن هنا وجدنا للمغرب عدداً من الاتفاقيات بين الطرفين...[15]

المغرب ـ فاينلاند

وقد ربطت المملكة المغربية علاقتها مع جمهورية فاينلاند (Finlande) منذ عام 1959/7/17 في شخص السفير إيفالو أسكو بايڤيو (Ivalo, Asko Päivio) الذي كان يقيم في روما... ومن هنا أبرمت طائفة من الاتفاقيات بين البلدين[16]

المغرب ـ الدانمارك

وقد كان أول ديبلوماسي مثل بلاده الدانمارك عام 1958 هو السيد جورج فريديريك كروغ (Géorg Fréderik Krogh) قبل أن يرتفع التمثيل على مستوى السفراء عام 1961[17] وقد شاهدنا في بداية عام 1988 زيارة لجلالة الملكة ماركَريت عاهلة الدانمارك حيث كانت الزيارة فرصة جديدة لدعم العلاقات في شتى الميادين...

---

15) جواباً على رسالتي بتاريخ 1987/12/11 تلقيت من سعادة السفير السيد روبير مارشيك (Ropert Marschir) جرداً بالاتفاقيات مما سننشره ضمن «الملاحق»...

16) أشكر سعادة السفير كالها هيكّي ساكاري (Kalha, Heikki Sakari) على رسالته بتاريخ 6 يوليه 1988 حول الصلات بين الرباط وهيلسينكي... وسننشرها ضمن (الملاحق)، ويذكر أن أول سفير للمغرب في فاين لاند هو الأستاذ عبد الكبير ابن المهدي الفاسي (1961).

17) جواباً على رسالتي بتاريخ 1987/12/11 تلقيت من سعادة السفير السيد فريلسفيك بيرويلش (Frellesvig Per Welsh) لائحة بأسماء الدبلوماسيين الدانماركيين المعتمدين لدى المملكة المغربية ابتداء من 1958 وسننشر هذه المعلومات ضمن «الملاحق».

المغرب ـ اليونان

وقد كان أول قائم بالأعمال مثل بلاده اليونان في بداية عهد جلالة الملك الحسن الثاني عام 1961 هو السيد جان صوسديس (J. Soesides) قبل أن يصبح التمثيل عام 1969 بدرجة سفير.[18]

المغرب ـ اللوكسامبورغ

كما وللمغرب علاقات واتفاقيات مع هذه الدّولة منذ استرجاع المغرب لاستقلاله وتقوم كلٌّ من بلجيكا والأراضي المنخفضة بنصيب فيما يتصل بالشؤون القنصلية والسياسية والاقتصادية باعتبار أن الثلاث تكوّن دول (Bénélux).[19]

هذا إلى علاقات المغرب مع مالطة وقبرص وإيسلاندا وإيرلاندا...[20]

مع الدول الشرقية

كانت أول دولة في أوربا الشرقية اعتمدت سفيرها لدى جلالة الملك محمد الخامس هي يوغوسلافيا حيث وجدنا سفيرها السيد مصطفى فيلوفيك (Mustafa Vilovic) يقدم أوراق اعتماده يوم 4 أبريل 1958 ممثلاً للرئيس تيتو الذي وجدناه يقوم بزيارة للمملكة المغربية يوم السبت أول أبريل 1961 ـ 15 شوال 1980.[21]

---

18) بعث لي السفير اليوناني جورج كونسطاس (G.Konstas) بلائحة لرؤساء البعثات الدبلوماسية اليونانية بالمغرب ابتداء من عام 1961، ويذكر أن أول سفير للمغرب لدى اليونان هو الزميل السيد التهامي الوزّاني.

19) كان أول سفير مثل المغرب في اللوكسامبورغ هو الزميل السيد بنسالم كَسوس 1964/12/22.

20) كان الزميل السيد ادريس الفلاّح هو الذي مثل المغرب في مالطا عام 1976... كما أن الدبلوماسي المغربي الذي مثل المغرب في إيرلاندا الزميل السيد بدر الدين السنوسي 1978/9/25.

21) تلقيت جواباً بتاريخ 29 غشت 1988 من السيد القائم بالأعمال اليوغوسلافي براتيسلاف كريستيك (Bratislav Kristic) يؤكد هذه المعلومات في انتظار تزويدي بالأكثر...

ولقد كان من الفقرات التي وردت في الخطاب الذي استقبل به جلالة الملك الحسن الثاني الماريشال تيتو رئيس الجمهورية الاتحادية اليوغوسلافية يوم السبت 15 شوال 1980 ـ فاتح أبريل 1961.

«... وإن الأفكار لتتجه بنا في هذه اللحظة نحو والدنا جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه الذي كانت تربطه بكم روح المقاومة والغيرة على السيادة الوطنية ويتجاوب معكم في كثير من الأفكار التي تستهدفونها لتعزيز جانب الحرية والديموقراطية وصيانة كرامة الشعوب...

ومن هنا كانت للمغرب اتفاقيات تناولت مختلف الميادين...

وقد كان السفير الثاني الذي قدم أوراق اعتماده من الدول الشرقية هو سفير الاتحاد السوفياتي السيد ديمتري بوجيديف (DIMITRIY Pojidaev) الذي استقبله جلالة الملك محمد الخامس يوم 5 نونبر 1958.[22]

ومن هنا فتح المغرب سفارته في موسكو عام 1959 ودشن البلدان صلات مليئة بالفائدة في شتى الميادين... وقد كان مما ورد في الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك الحسن الثاني في الكرملين يوم 10 رجب 1386 = 15 اكتوبر 1966 :

لقد قال المغرب قديماً : لا للاستعمار، وهو يقول اليوم لا للاستعمار القديم والحديث ! وقلنا ونقول : لا للعنصرية، وقلنا ونقول : لا لعدم التوازن في توزيع خيرات العالم بين الدول النامية والدول غير النامية، قلنا ونقول : لا للتسابق نحو التسلح، قلنا ونقول : لا لإقامة القواعد الأجنبية في البلدان المستقلة !

وبمناسبة زيارة الرئيس بودكورني للمملكة المغربية في بداية أبريل 1969 تبودلت الخطب بين القطبين وصدر بلاغ مشترك يؤكد صفاء العلاقات بين البلدين...

وقد كانت زيارة السيد إليكسي كوسكين اكتوبر 1971 فرصة أخرى للتعبير عن العلاقات التي تربط بين الدولتين حيث تبودلت الخطب وصدر البلاغ المشترك.

(22) نشكر سعادة السفير مالك فازيلوف (Malik Fazylov) على المعلومات التي قدّمها إلينا حول السفراء السوفييت المعتمدين بالمغرب منذ استرجاع الاستقلال وحول الاتفاقيات المبرمة بين البين... وسننشر تفصيل ذلك في «الملاحق».

وقد صاحب كل تلك الاتصالات إبرام الاتفاقيات التي تناولت مختلف الجوانب ونذكر منها على الخصوص ما أطلق عليه اسم «اتفاقية القرن» المبرمة مع الاتحاد السوڤياتي لتزويده بحاجياته من الفوسفاط ومشتقاته...

وبعد هذا كانت الجمهورية الشعبية البولونية التي أخذ ممثلها بالمغرب السيد صطفان ويلسكي (S. Wilski) منذ 1959/4/1 يقوم بمهامه على ما نقرأه في الأرشيف المغربي...

ثم كانت الجمهورية الاشتراكية التشيكوسلوڤاكية التي وجدنا أن أول سفير لها يعتمد بالرباط 1959/12/31 هو الدكتور زدينيك جوبانيك (Zdenek Jobanek)، ومن هنا كانت لنا طائفة من الأوفاق تناولت مختلف الميادين.[23]

ثم كانت الجمهورية الاشتراكية الرومانية التي أصبحت لنا معها علاقات دبلوماسية جيدة تجلت في الاتفاقيات المبرمة بين البلدين وفي الزيارات المتبادلة على أرفع مستوى، نذكر منها زيارة الرئيس نيكولاي تشاوسيسكو في سابع دجنبر 1970 حيث وجدنا جلالة الملك يقيم له حفلات تكريم انتهت بصدور بلاغ مشترك مغربي روماني...[24]

وهكذا كان الأمر مع الجمهورية الشعبية البلغارية،[25] والجمهورية الشعبية الهنغارية، والجمهورية الديموقراطية الألمانية،[26] وألبانيا، التي كانت لنا معها أي مع سائر هذه الجمهوريات عدد من الاتفاقيات على مر هذه الأعوام...

---

23) جواباً على رسالتي بتاريخ 1987/12/11 توصلت شاكراً من السيد سفير الجمهورية الاشتراكية التشيكوسلوڤاكية الدكتور بيدريش إليليك (Dr. Bedrich Illek) بلائحة للدبلوماسيين التشيكيين الذين اعتمدوا لدى المملكة المغربية ابتداء من 1959، وكذلك بسفرائنا الذين اعتمدوا لدى بلاده إضافة إلى جرد بالأوفاق التي أبرمت بين البلدين...

24) جواباً على رسالتي تلقيت شاكراً من سعادة السفير الروماني إميليان مانسيور (E. Manciur) معلومات مفيدة عن العلاقات التي تربط بين البلدين، سننشرها ضمن (الملاحق).

25) تلقيت من السفارة البلغارية بيانات تفيد أن إنشاء العلاقات بين البلدين يرجع لتاريخ أول شتنبر 1961، وأن أول سفير اعتمد في المغرب بتاريخ 1962/2/12 هو السيد مارين إيفانوف (Marin Ivanov) ويذكر أن أول سفير للمغرب في بلغاريا هو الزميل عبد الكبير المهدي الفاسي 1963 على ما نفصله في «الملاحق».

26) جواباً على رسالتي 1987/12/11 تلقيت من سعادة السيد مانفريد ريشتير (Manfred Richter) بلائحة للسفراء المعتمدين بالرباط ابتداء، من 19 مارس 1973 وسأنشر هذه المعلومات ضمن «الملاحق

المملكة المغربية وحاضرة الفاتيكان

لم يتغير موقف المغرب الجديد عنه في الفترات السابقة، ومن هنا سجلنا الخطاب الهام الذي وجهه جلالة الملك محمد الخامس إلى المؤتمر الدولي الثقافي الأول الذي انعقد بالمغرب في (تومليلين) على مقربة من مصطاف إيفران (22 غشت 1956) : لقد كان العاهل يرى في هذا المؤتمر «استجابةً لرغبةٍ متغلغلةٍ في صدرنا ألا وهي الدعوة إلى التّقارب بين مختلف الأديان والأجناس.

وبالنظر إلى هذه العلاقات التي تستمد قوتها من تلك المبادئ الأساسية في الدبلوماسية المغربية وجدنا أن جلالة الملك الحسن الثاني ما انفك على صلة بحاضرة الفاتيكان يعرض عليها المشاكل الكبرى التي تتطلب تدخل قداسة البابا. وهكذا وجدناه يقيم علاقات دبلوماسية قارّة مع الحاضرة ووجدنا الخطابات المتبادلة بين البلاط المغربي والكرسي الرسولي....

وفي هذا الإطار نجد رسالته إلى البابا بولوس السادس حول فلسطين، وكانت تحمل تاريخ أول يوليه 1967... كما نجد رسالته إلى البابا يوحنا الثاني حول القدس بتاريخ 29 شتنبر 1979....

ومن هنا أيضاً سجلنا الحدث الكبير الذي يتمثل في زيارة جلالته للحاضرة في أبريل 1980 على ما قلناه في الفصل الخاص بمنظمة الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي....

وسجلنا كذلك رد قداسة البابا للزيارة الملكية حيث خصص له المغرب يوم 9 غشت 1985 استقبالاً كبيراً وتبادل الخطب مع جلالة الملك الحسن الثاني.[27]

---

27) جواباً على رسالتي بتاريخ 1988/12/11 تلقيت من مونسينيور بيرنار جاكلين (Mons Bernard Jacqline) مندوب حاضرة الفاتيكان لائحة للممثلين ابتداء من مونسينيور سانتى بورطالوبي (Sante Portalupi (1976) مما سننشره ضمن «الملاحق» ويذكر أن السفير الأول الذي مثل المغرب لدى الحاضرة هو الزميل د. يوسف ابن العباس (الجريدة الرسمية عدد 3704 بتاريخ 25 ربيع الأول 1405 = 9 دجنبر 1984.

دار السكة بالمغرب

عرف المغرب القديم دوراً للسكّة في معظم المدن العتيقة (التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 1، ص 132/115) وقد شاء القدر أن يحتفظ بمأثرة إعادة الحياة لهذا الرمز الكبير من رموز السيادة الوطنية، لعهد جلالة الملك الحسن الثاني الذي قام يوم 5 مارس 1987 بتدشين دار عظيمة لسك النقود المغربية تابعة لبنك المغرب على مقربة من العاصمة الإدارية : الرباط كانت الدار مثلاً يحتذى لدور السكة في كبريات القواعد العالمية.



بين المغرب والجامعة العربية وإفريقيا وأمريكا وآسيا واستراليا

- □ الملك محمد الخامس والهُوِية العربية للمغرب.
- □ الملك الحسن الثاني في القمة العربية الأُولى بالقاهرة.
- □ احتضان المغرب للمؤتمرات العربية...
- □ من ميثاق الدار البيضاء إلى منظمة الوحدة الإفريقية...
- □ العلاقات الثنائية مع الدول الإفريقية...
- □ مع الولايات المتحدة الأمريكية.
- □ مع دول أمريكا الوسطى والجنوبية والشمالية...
- □ علاقات المغرب بدول آسيا : تركيا - إيران - باكستان - بانغلاديش - الهند - الصين - كورسيكا - أندونيسيا - اليابان - ماليزيا - الفيليبين...
- □ المغرب وأستراليا...

المغرب في الجامعة العربية ومع الدول العربية

ولا بدّ أننا نذكّر أن السلطان سيدي محمد بن يوسف كان أعلن منذ أبريل 1947 بطنجة عن انتمائه للجامعة العربية الأمر الذي يعكسه تمثيل المغرب في أول مؤتمر ثقافي عربي (بيروت شتنبر 1947)،[1] كما يعكسه وقوف الدول العربية إلى جانب النضال المغربي في أروقة الأمم المتحدة على ما قلنا...

وها نحن نرى المغرب المستقلّ يبادر للانضمام رسمياً إلى الجامعة حيث أصبح عضواً عاملاً منذ عام 1958 في سائر فروعها... وقد رأينا المملكة توجه الدعوة لمجلس الجامعة للانعقاد بمدينة الدار البيضاء في دورته الثانية والثلاثين (صفر 1379 = شتنبر 1959).

ومن الطريف أن نقرأ تقريراً تقريراً منظوماً عن هذا اللقاء نظمه عبد الله بن يحيى العلوي عضو الوفد اليمني يبتدئ هكذا :[2]

وبعــدُ فــالمغربُ خيرُ بلــدِ	وشعبهــا شعبٌ كريم المحتــد
وقــد رجــا مليكُــه ومَن معــه	في المغرب الأقصى اجتماع «الجامعة»
وأطلــق اسمَهــا على حــديقــةْ	تحيــةً منــه لهــا رقيقــةْ !

☆ ☆ ☆

وافتتــح الحفــلَ الأميرُ الحسن	وهــو فتىً مثقف وملسن
وارتجـل القــول وحيّــا العَرَبــا	ونــاب عن مليكــه ورحَّبــا
أعقبــه الأمين عبــد الخــالــق	وكــان في خطــابــه مُخــالــق !

1) محمد بن عبود ـ المجلة التاريخية المغربية (تونس) يونيه 1987.

2) من المهم أن نعرف أن لهذا النظم شرحاً بديعاً لنفس الشاعر... طبع بمطبعة دار التأليف بمصر، 143.

وبعد أن يتحدث الشاعر عن الوفود، يتخلص لمذكرة وفد المملكة المغربية بصدد تعديل ميثاق الجامعة منذ ذلك التاريخ !

وبعــــده قــــدّم قَبْــل المَغْرِب   تـــذكرةً رئيسُ وفـــد المغرب

وطـــالب التّعـــديـل للميثـــاق   فليس للقـــديم من خَـــلاّق !!

ولم يمض شهران حتى احتضن المغرب المؤتمر الثالث للآثار ووجدنا العاهل الكريم يستقبل أعضاء الوفود بقصر دار السلام (الرباط) يوم عيد العرش 18 نونبر 1959 حيث قدّمَهم إليه السكرتير العام للمؤتمر مؤلف هذا الكتاب :

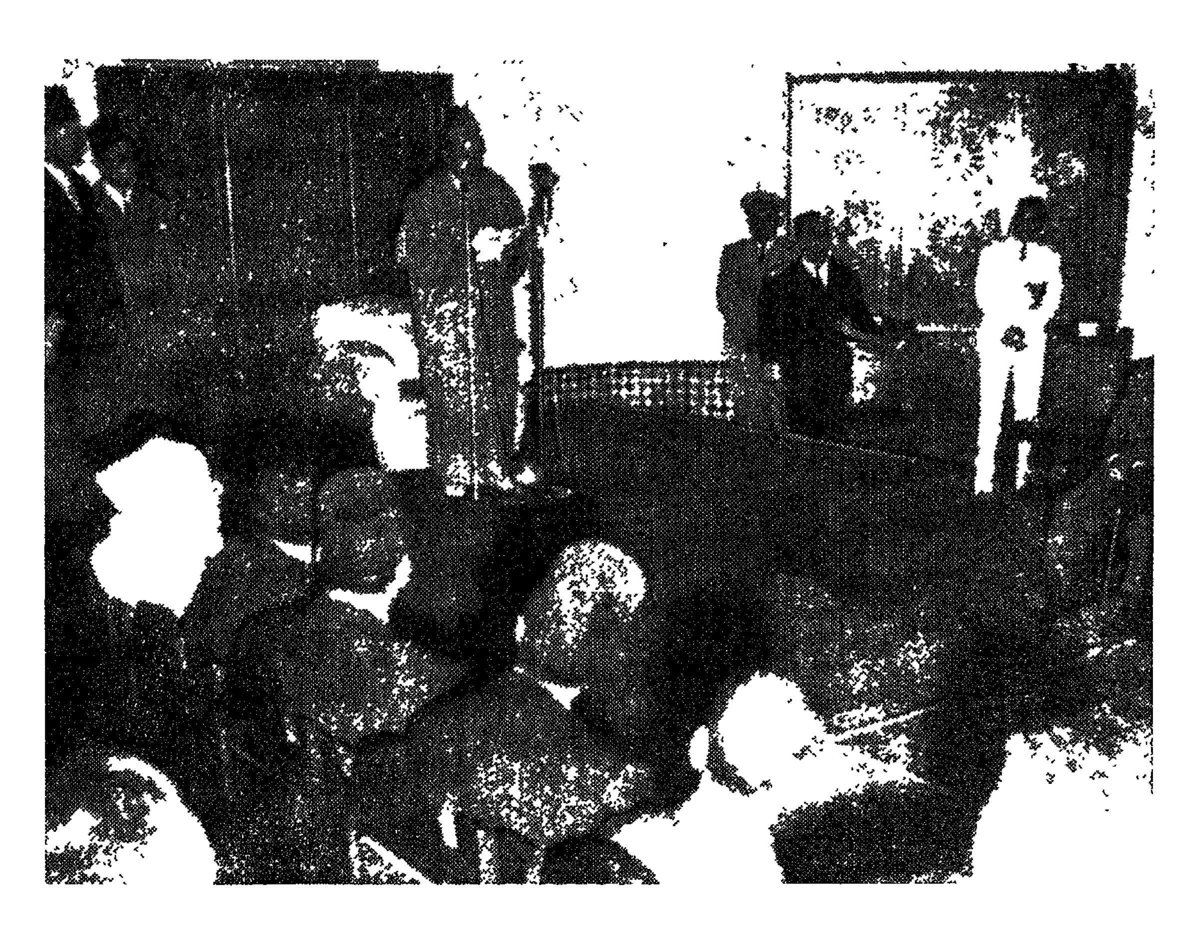


جلالة الملك محمد الخامس يستقبل أعضاء المؤتمر الثالث للآثار عام 1959



شهدت مدينة فاس يوم 6 رجب 1377 = 27 يناير 1958 مؤتمراً دولياً الأول من نوعه ويتعلق الأمر بالمؤتمر الإقليمي الأول للجان الوطنية العربية لليونيسكو، وقد تفضل جلالة الملك محمد الخامس بافتتاحه في يوم مشهود حيث ألقى خطاباً سامياً في قاعة ثانوية مولاي ادريس.

عن الكتاب الذي حضّره الكاتب العام لمركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونيسكو وهو مؤلف هذا الكتاب.

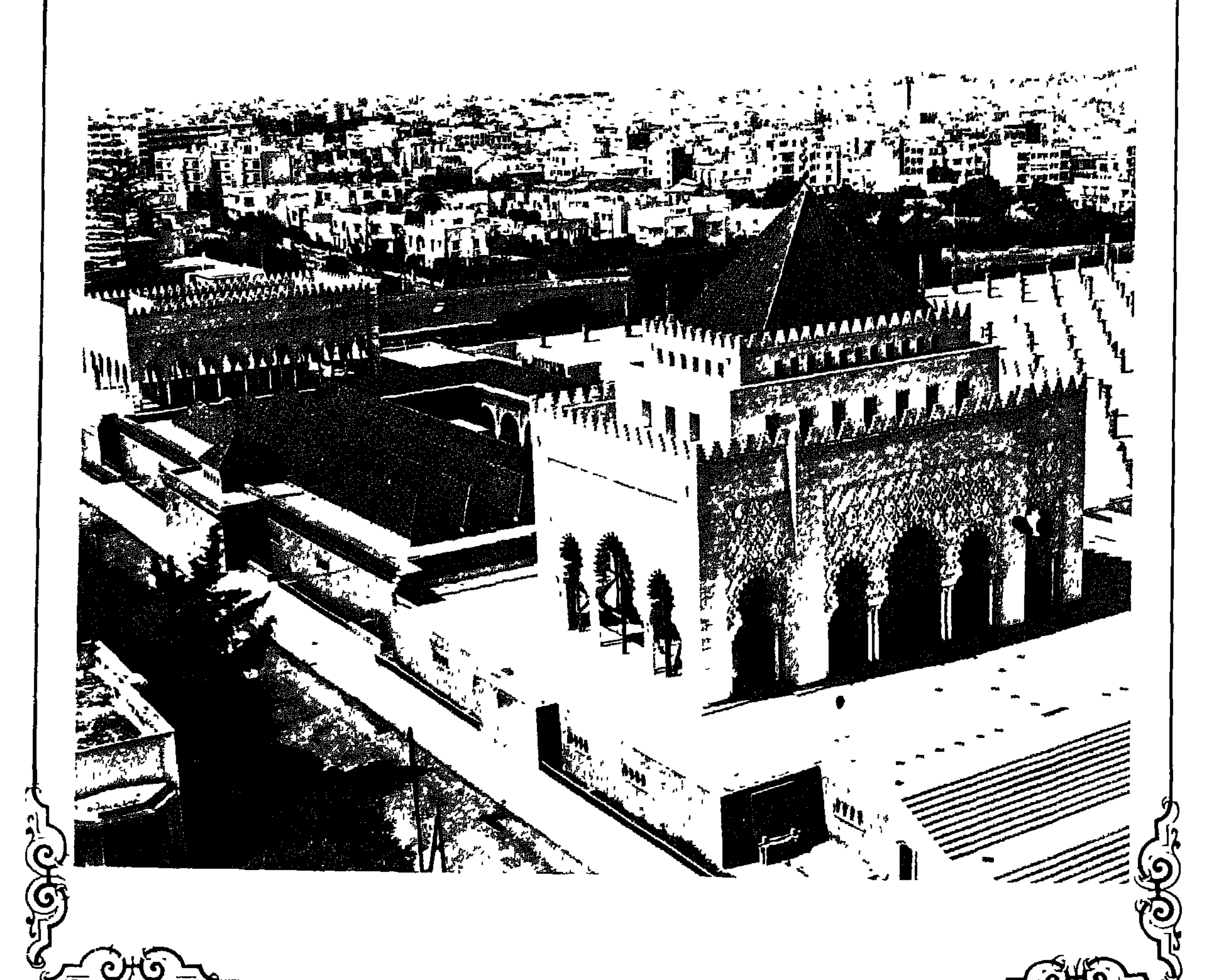


عرفت مدينة فاس مهرجاناً دولياً شاركت فيه الجامعات من القارات الخمس للاحتفال بمرور أحد عشر قرناً على تأسيس جامعة فاس (القَرويين) وقد ترأس حفل الافتتاح جلالة الملك محمد الخامس بقاعة الخزانة الكبرى يوم 18 ربيع الثاني 1380 = 10 اكتوبر 1960 حيث ألقى خطاباً كله إشادة بجامعة القرويين التي يرجع إليها الفضل في الحفاظ على الهوية المغربية...

الملك محمد الخامس يلتحق بالرفيق الأعلى
10 رمضان 1380 = 26 يبراير 1961

سمع الناس بتأثر بالغ نعي ملك البلاد وأبي الشعب المغربي محمد بن يوسف، «وان روابط الدم والوفاء والتعلق التي كانت تربط بيننا جميعاً وبين أبينا محمد الخامس ستزداد متانةً ـ يقول الولد البار جلالة الملك الحسن الثاني ـ في هذه اللحظة المظلمة من تاريخ المغرب وتاريخ العروبة الإسلامية وتاريخ العالم أجمع».

لقد خرج الكل وبدون استثناء لتشييع الجنازة وحضر إلى جانب المشيعين عدد من ملوك وأمراء ورؤساء وممثلي الدول الشقيقة والصديقة.



وفي السنة الموالية 1960 قام جلالة الملك محمد الخامس برحلةٍ إلى بلاد المشرق، وكما قال جلالته : «فقد اكتست هذه الرحلة حلة خاصة إذ لأول مرة في تاريخنا يقوم ملك مغربي يمارس سلطته برحلةٍ من المغرب إلى المشرق ليظهر المغرب على حقيقته الإسلامية العربية التي لا لبس فيها ولا غموض...».

وهكذا زار جلالته تونس، ثم الجمهورية العربية المتحدة، والمملكة العربية السّعودية والعراق والأردن والكويت ولبنان دون أن ينسى زيارة مخيّمات اللاجئين حيث وجدنا جلالته يؤكد التزام المغرب بمناصرة القضية العربية....

القمة العربية الأولى بالقاهرة

...وعلى نحو ما رأينا في عهد جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله من اهتمام بالقضايا العربية، فقد لبّى ابنه جلالة الملك الحسن الثاني الدعوة لحضور أولى قمةٍ تعقد في القاهرة لأقطاب العرب (27 شعبان 1383 = 17 يناير 1964) بالرغم مما كان يسود العلاقات بين المغرب ومصر في أعقاب موقف هذه الأخيرة إزاء الخلاف المؤسف بين الجزائر والمغرب حول الحدود بين البلدين...[3]

لقد كنت ضمن أعضاء الوفد المغربي في تلك القمة، ومن هنا أمكن لي أن أكوّن ملفاً خاصّاً كاملاً بالوثائق والصور عن - تدخلات العاهل الشجاعة ومشاركته الصريحة في هذا اللقاء الأول من نوعه...

«...إن العرض الذي استمعت إليه - يقول جلالة الملك - من فخامة الرئيس جمال عبد الناصر قد أدخل عليّ بهجة كبرى... فعلينا إذن أن نتساءل وأن نكون صريحين مع أنفسنا، وأن نضع على أنفسنا بعض الأسئلة :

الأول منها : هل فعلاً أتينا كلنا هنا لنتخذ قرارات في الموضوع الذي يهمنا أم جئنا حتى لا يقال فينا أو يقال عنّا...

3) سفارة المغرب ببغداد : مشكلة الحدود بين المغرب والجزائر، مطبعة العاني 1963 ص 25/24.

الثاني : هل سنكتفي بالتعاضد والتساند، هل سنكتفي برواية الشاعر العربي :

وهل أنا إلا من غُزية إن غَوَتْ غويتُ وإن ترشد غُزية أرشدِ ؟!

أم أننا قررنا أن نواجه المشكلة ونجابهها وأن نحسب لها حسابها ونعد لها عدتها..؟»

لقد أثار خطاب جلالته في هذه القمة أنظار القادة العرب نظراً لما تضمنه من حقائق وما تميّز به من وضع النقط على الحروف كما يقولون وخاصة حول القضية الفلسطينية التي ظلّت مشغلته كملكٍ عربي شهم...

وفي تدخل له آخر كان مما ورد في كلامه : «...أرى من الضروري أن تسارع الدول العربية إلى إقامة قيادة موحدة بجيش موحد... وهذا العنصر بيدنا...».



جلالة الملك الحسن الثاني في أول مؤتمر قمة عربي بالقاهرة عام 1964

ونظراً للأهمية التي كانت للوجود الإيجابي للعاهل، سمعنا الرئيس عبد الناصر يقول :

إن جلالة الملك الحسن ملك المغرب سيغادرنا باكراً ونحن نريد أن ننتهز هذه الفرصة ونقترح أن نسهر بعض الشيء بحيث نستطيع أن ننهي المؤتمر في أسرع وقت ممكن، وليتنا نستطيع إنهاءه قبل شهر رمضان...

وقد كان في صدر المقترحات التي قدمها العاهل والتي أخذ بها المؤتمر : «أن تعقد مثل هذه الدورة وفي شكلها وبمشاركة جميع رؤساء الدول العربية، على الأقل مرة في السنة، ودوريا في كل بلد من البلاد العربية....

وهكذا انطلق المغرب في مسيرته العربية يشاطر إخوانه العرب في جهادهم لإحقاق الحق فلم يغب عن مؤتمرٍ لهم من المؤتمرات حيث وجدناه يشارك في مؤتمر القمة الثاني الذي انعقد بقصر المنتزه بالأسكندرية (5 ـ 9 ـ 1964)، وقد أناب العاهل المغربي صاحب السمو أخاه الأمير مولاي عبد الله تغمده الله برحمته الواسعة.

وسنرى أن جلالة الملك الحسن ـ وهو يقوم بزيارته للقاهرة في مارس 1965 يقصد مبنى الجامعية العربية ليرتجل فيها يوم 12 مارس خطاباً كان له وقع كبير لدى سائر الدول العربية...

وبهذه المناسبة دعا جلالته لعقد مؤتمر القمة الثالث بالمغرب حيث شاهدت الدار البيضاء يوم 1965/9/13 تجمّعاً للأقطاب العرب لم يسبق لها أن شاهدته في حياتها...[4]

وهنا انبثقت فكرة ميثاق التضامن العربي الذي استهدف فيه الجميع تصفية الجو العربي لخدمة القضية الفلسطينية خدمةً جماعية موصولة... وتعبئة جميع الطاقات والاستعدادات للقضية في جوٍّ يسوده التفاهم والإخلاص...

4) لقد حضرتُ إلى الدار البيضاء للمشاركة في هذا اللّقاء على متن الطائرة التي أقلّت الرئيس العراقي عبد السلام عارف رحمه الله على ماتحدثت عنه في مذكّراتي الخاصة...

وقد كان المغرب حاضراً في مؤتمر القمة الرابع الذي انعقد بالخرطوم 29 غشت 1967) بعد الحرب التي احتلت فيها اسرائيل (يونيه 1967) سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان والقدس... وقد ناب عن جلالة الملك في هذا اللقاء الوزير الأول الدكتور محمد بن هيمة الذي ألقى كلمة العاهل المغربي....

وقد احتضنت المملكة المغربية ثانيةً مؤتمر القمة في اجتماعه الخامس الذي تم بالرباط بتاريخ 1969/12/23...

وقبل أن نستمر في جرد هذه المؤتمرات نذكر بإرسال المغرب لتجريدة من القوات الملكية إلى الجبهة السورية لدعم دفاعها في الجولان (يبراير 1973)،[5] كما نذكر بإرسال الجيش المغربي إلى الجبهة المصرية، سيناء وقناة السويس...

وقد شارك المغرب في القمة السادس الذي انعقد بالجزائر فيما بين 26 و 28 نونبر 1973 وكان الوفد برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني الذي القى خطاباً خلال الجلسة الختامية للقمة...

وقد احتضنت المملكة المغربية مرة ثالثة مؤتمر القمة السابع فيما بين 26 و 27 اكتوبر 1974.

وقد انعقد بالقاهرة مؤتمر القمة الثامن فيما بين 26/25 اكتوبر 1976 وترأس الوفد المغربي فيه الدكتور مولاي أحمد العراقي وزير الشؤون الخارجية...

وقد كان العرب على موعدٍ في بغداد مع مؤتمر القمة التاسع الذي انعقد من يوم ثاني إلى خامس نونبر 1978 وقد كان الوفد المغربي برئاسة الأُستاذ السيد محمد بوستة وزير الدولة للشؤون الخارجية..

وانعقدت القمة العاشرة في تونس فيما بين 20 و 22 نونبر 1979 وترأس الوفد المغربي فيها الوزير الأول ووزير العدل السيد المعطي بوعبيد.

---

5) ينبغي أن نذكر هنا بالرسالة التي بعث بها المغرب إلى الأربعة الكبار حول الحالة في الشرق الأوسط، وذلك بتاريخ 29 يناير 1971.

كما انعقد مؤتمر القمة الحادي عشر بعمان (الأردن) يوم 25 و 27 نونبر 1980 وترأس الوفد المغربي فيها نفس الأستاذ بوعبيد.

ومن جديد احتضنت المملكة المغربية بفاس للمرة الرابعة والخامسة مؤتمر القمة العربي الثاني عشر في دورته الأولى 1981/11/25، وفي دورته المستأنفة بفاس كذلك 7/6 شتنبر 1982 التي كان من قراراتها تكوين لجنة من سبعة أعضاء يعهد إليها بإجراء اتصالات بالأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الدولي لمتابعة قرارات المؤتمر المتعلقة بالصّراع العربي الإسرائيلي...

وبعد أن توجه المغرب برسالته إلى رؤساء الدول العربية حول لبنان احتضنت المملكة المغربية للمرة السادسة مؤتمر القمة غير العادي بالدار البيضاء فيما بين 7 و 1985/18.

وفي إطار عمل جلالته ـ وهو رئيس اللجنة التي كونتها القمة الثانية عشر بفاس عام 1982 ـ على التحرك لإقناع الدول العظمى بصلاحية مخطط قمة فاس، وبالإمكانيات التي يفتحها أمام التحليلات السياسية التي ترمي إلى إيجادِ نهاية للمأساة العربية، في ذلك الإطار رأي جلالته أن يسبرغور شيمون بيريز في إيفران 22 يوليه 1986 = 15 ذي القعدة 1406 حول مخطط قمة فاس...

ونظراً لما أثاره هذا اللقاء من ضجة لدى بعض الناس قرر جلالته التخلي عن رئاسة القمة العربية وائتمن عليها الأمين العام ريثما يضطلع بها أحد الأشقاء من ملوك ورؤساء الدول العربية...[6]

وقد حضرت المملكة المغربية في عمان (الأردن) مؤتمر القمة العربي الطارئ ممثلةً بصاحب السمو الملكي ولي العهد سيدي محمد، بتاريخ 1987/11/8...

وقد لبّى جلالة الملك الحسن الثاني الدعوة التي وجهها إليه فخامة الرئيس الشاذلي بنجديد لحضور القمّة العربية الطارئة بالجزائر يوم 22 شوال 1408 هـ

6) انبعاث أمة ج 31، ص 311، وما يليها إلى 364.



القمة العربية الطارئة بالجزائر يوم 22 شوال 1408 هـ = 7 يونيه 1988م في أعقاب انتفاضة الشعب الفلسطيني...

= 7 يونيه 1988م حيث تميزت مشاركته بعدد كبير من التعليقات على الصعيد الدولي نظراً لما حققته من أهدافٍ على مختلف الأصعدة...



وإلى جانب الاتصال بالجامعة العربية كجامعة، بما تفرّع عنها من هيئات[7] كنا نلاحظ أنّ العلاقات الممتازة بين المغرب وبين كل دولة تغذي ذلك الاتصال وتزيد في فعاليته.

ولابد أن نشير، بهذا الصدد، إلى الزيارات المتبادلة وإلى الاتفاقيات الثنائية، والبلاغات المشتركة بين المغرب وبين تلك الدول....

أمامنا زيارة عاهل العراق الملك فيصل الثاني للمغرب منذ شهر مايه 1956... تلك الزيارة التي تبعتها زيارات أُخرى للقادة العراقيين الجدد بعد تغيير نظام الحكم في بغداد، وقد سجلنا من أولئك زيارة السيد صدّام حسين رئيس الجمهورية العراقية[8]...

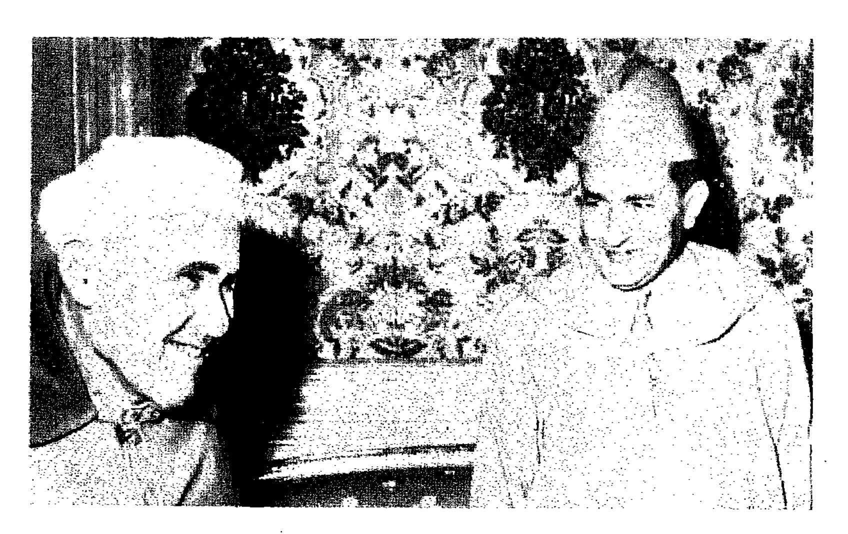
وأمامنا زيارة الملك سعود بن عبد العزيز ملك الحجاز للمغرب 17 يبراير 1957، تلك الزيارة التي تبعها تقديم السفير السعودي الزميل خير الدين الزركلي أوراق اعتماده يوم 10 شتنبر 1957، وبعد هذا كانت زيارة الملك فيصل للمغرب عام 1966 ثم زيارة جلالة الملك الحسن الثاني للرياض عام 1968 وما ولى هذه الزيارات من مثيلات سواء منها زيارات الملوك أو زيارة الأُمراء أو الوزراء...

---

7) يتفرع عن جامعة الدول العربية عدد من الهيئات الأساسية واللجان الدائمة والمنظمات العربية المتخصصة والمؤسسات والأجهزة الملحقة مما ننشره ضمن «الملاحق».

8) جواباً على رسالتي بتاريخ 1987/12/11 زودني مشكوراً السيد مؤيد نوري عرب القائم بأعمال السفارة العراقية بلائحة للسادة السفراء الذين تعاقبوا على المغرب ابتداءً من عام 1956،إلى هذا العام عندما اعتمد سعادة السيد سمير النّجم... كما زودني بجرد للاتفاقيات المبرمة بين المغرب والعراق ابتداء من 1960/5/9 وسننشر هذه المعلومات ضمن «الملاحق».

وقد سلكتْ مصر هذا المنوال وهكذا فبعد تقديم السيد عبد المجيد رمضان لأوراق اعتماده يوم (15 اكتوبر 1956) تتبعنا الزيارة التي قام بها المغفور له محمد الخامس، ثم وجدنا أن جلالة الحسن الثاني يؤثر مصر - بعد زيارة خاصة



تسجيل مصور للمقابلة التاريخية التي تمت في يوم 13 يناير 1960 بقصر القبة بالقاهرة بين جلالة المغفور له محمد الخامس، والبطل العظيم المرحوم محمد بن عبد الكريم الخطابي.

عام 1956 - بزيارة عرفت كثيراً من أوجه النشاط حيث نال جلالته الدكتورة الفخرية من الجامعة المصرية ربيع عام 1965، وقد رد الرئيس عبد الناصر الزيارة للمغرب حيث استمعنا خريف نفس العام إلى خطاب التكريم الذي نطق به العاهل المغربي في حق مصر...[9]

وعلى نحو هذا كانت سوريا حيث قدم السيد أسعد محاسن سفيرها الأول أوراق اعتماده يوم 19 غشت 1957،[10] ثم جمهورية لبنان التي قدم أول سفيرٍ لها السيد سليم حيدر أوراق اعتماده يوم 18 غشت 1958،[11] وليبيا التي قدم

9) جواباً على رسالتي بتاريخ 1987/12/11 تلقيت شاكراً جواب الدكتور الأخ منير زهران سفير جمهورية مصر العربية الذي تضمن لائحة أسماء السفراء الذين تعاقبوا على المغرب من مصر وسننشر هذه المعلومات ويذكر أن أول سفير للمغرب في مصر هو الأستاذ عبد الخالق الطريس 1961/6/2.

10) كان أول سفير للمغرب في الجمهورية السورية الأستاذ عبد الهادي بوطالب 1970/2/12...

11) توصلت شاكراً من سعادة السفير السيد سامي قرنفل بالمعلومات التي قدمها ويذكر أن أول سفير للمغرب لدى لبنان هو المرحوم عبد الرحمن بن عبد النبي... (1958).

أول سفير لها السيد منصور قـدارة أوراق اعتمـاده يـوم 17 شتنبر 1958[12]، والمملكة الأردنية التي قدم السيد فرحات شبيلات أول سفير لها أوراق اعتمـاده يـوم 5 ينـاير 1959 حيث تبعت هـذا زيـارات جـلالـة الملـك حسين للمملكـة المغربيـة سواءً في عهـد جلالـة الملـك محمـد الخامس أو جـلالـة الملـك الحسن الثاني...[12 مكرر]

وكـذا كـانت اليمن مـع المغرب حيث قرأنـا عن السفـارات المتبـادلـة بين البلـدين[13] على نحو مـا كـانت عليـه بين المغرب والسودان والصومـال، ودجيبوتي... هذا إلى صلاته المتميِّزة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

ولم تشذ دول الخليج عن القاعـدة حيث وجـدنـا آثـار البلاغـات المشتركـة بين المغرب وبين سلطنة عمان[14] ودولة البحـرين ودولة الكويت،[15] ودولـة الإمـارات العربية المتحدة[16] ودولة قطر.[17]

---

12) تلقيت شاكراً من السيد خليل القماطي معلومات عن الاتفاقيات المبرمة، سأنشرها في الملاحق...

12 مكرر) تلقيت شاكراً من سعادة السيد وائل المصري معلومات سأستفيد منها في (الملاحق).

13) جواباً على رسالتنا بتاريخ 1988/12/11 تلقينـا شـاكرين جواب الـدكتور عبـد الوهـاب محمود سفير الجمهورية العربية اليمنية وقد تضمن لمحة عن تاريخ العلاقات بين البلدين منذ عام 1961... وسننشر هذه المعلومات ضمن «الملاحق».

14) جـواباً على رسـالتنـا 1987/12/11 تلقينـا شـاكرين جـواب سعـادة السيـد حسين بن علي بن عبـد اللطيف سفير سلطنة عمـان وهو يتضمن جرداً بـأسماء السفـراء الـذين اختلفوا على المغرب ابتـداءً من صاحب السمو السيد شبيب بن تيمور آل سعيد، كما يتضمن لائحة بـالاتفـاقيـات والوفود الرسميـة التي تعاقبت على البلدين، وسننشر ذلك ضمن «الملاحق»

15) جواباً على رسـالتنـا بتـاريخ 1987/12/11 تلقينـا من سعـادة الأُستـاذ الأخ عبـد العزيز عبـد اللـه الصرعاوي سفير دولة الكويت، ثم من القائم بالأعمـال السيـد عبـد الوهـاب عبـد العزيز العُمَر لائحة بأسماء الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين وكذلك بلائحة مسهبة للوفود والزيارات المتبادلة...

16) كان مؤلف هذا الكتاب أول قادم (مارس، يوليه 1971) على صاحب السمو الشيخ زايـد بن سلطـان آل نهيان حاملاً دعوة من جلالة الملك الحسن الثاني لأخيه الشيخ زايد لزيارة المغرب...

17) جواباً على رسالتنا بتاريخ 1987/12/11 تلقينا شاكرين من سعـادة السيـد جـاسم جمـال سفير دولـة قطر رسالة تذكر بعض السفراء المغاربـة والقطريين الـذين اعتمـدوا هنـا وهنـاك، إضـافـةً إلى نصوص بعض الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين، وسننشر هذه المعلومات ضمن «الملاحق».

المغرب ودول افريقيا
من ميثاق الدّار البيضاء إلى منظمة الوحْدة الإفريقية

أحس جلالة الملك محمد الخامس بواجباته نحو القارة الإفريقية فلبّى نداء رئيس الحكومة الشرعية العقيد باتريس لومومبا وأوفد إلى الكونغو فريقاً من الجيش المغربي بتعاونٍ مع ممثلي الأُمم المتحدة لاستتباب الأَمن... كما أوفد خبراء في الإدارة ليسدُّوا الفراغ الذي تعمد الاستعمار خلْقه...

وفي أعقاب هذا دعا جلالته إلى مؤتمرٍ تسهم فيه الدول الإفريقية المستقلة من التي لها نفس اتجاهات المغرب التحريرية...[18] وذلك من أجل تحديد سياسةٍ إفريقيةٍ مشتركة حول القضايا المطروحة على الساحة الدولية...

وقد لبّت هذه الدعوة (الجزائر) و(غانا) و(غينيا) و(مالي) و(مصر) و(ليبيا) فاجتمع الأَعضاء بالدار البيضاء ما بين 1961/7/4 وانبثق عن هذا الاجتماع «ميثاق الدار البيضاء» الذي دوّى صيته في الآفاق.

وقد ظهرت بعد هذا محاولات أُخرى تدعو إلى وحدات أَو تكتلات إقليمية إنتهت كلها بميلاد منظمة الوحدة الإفريقية مايه 1963 في أديس أبابا.

وقد إتسمت المواقف التي إتخذها المغرب في إتجاهات هذه المنظمة بالتبصر وبعد النظر تحدوه الرغبة في نجاحها وتحقيق أهدافها القريبة والبعيدة، وهكذا كان له دور فعال في تحضير الميثاق وفي نجاح سائر إجتماعاتها...

وقد ترأس جلالة الملك الحسن الثاني الوفد المغربي في مؤتمر القمة الإفريقي الأول الذي انعقد بالقاهرة يوليه 1964...

وقد أسهم المغرب كذلك في القمة الإفريقي الثاني في أكرا (غانة) 25/21 أكتوبر 1965 حيث ناب عن جلالته في إلقاء خطابه السيد وزير الشؤون الخارجية...

---

18) نذكر هنا أن المغرب ما انفك يحضر في كل اللقاءات التي ترمي إلى تحرير الشعوب الإفريقية على نحو ما رأينا بالنسبة لمؤتمر أكرا 1959/58، مجلة (المغرب) وزارة الخارجية.

وعندما انعقدت القمة الإفريقية الثالثة بأثيوبيا عام 1966 كان المغرب كذلك حاضراً...

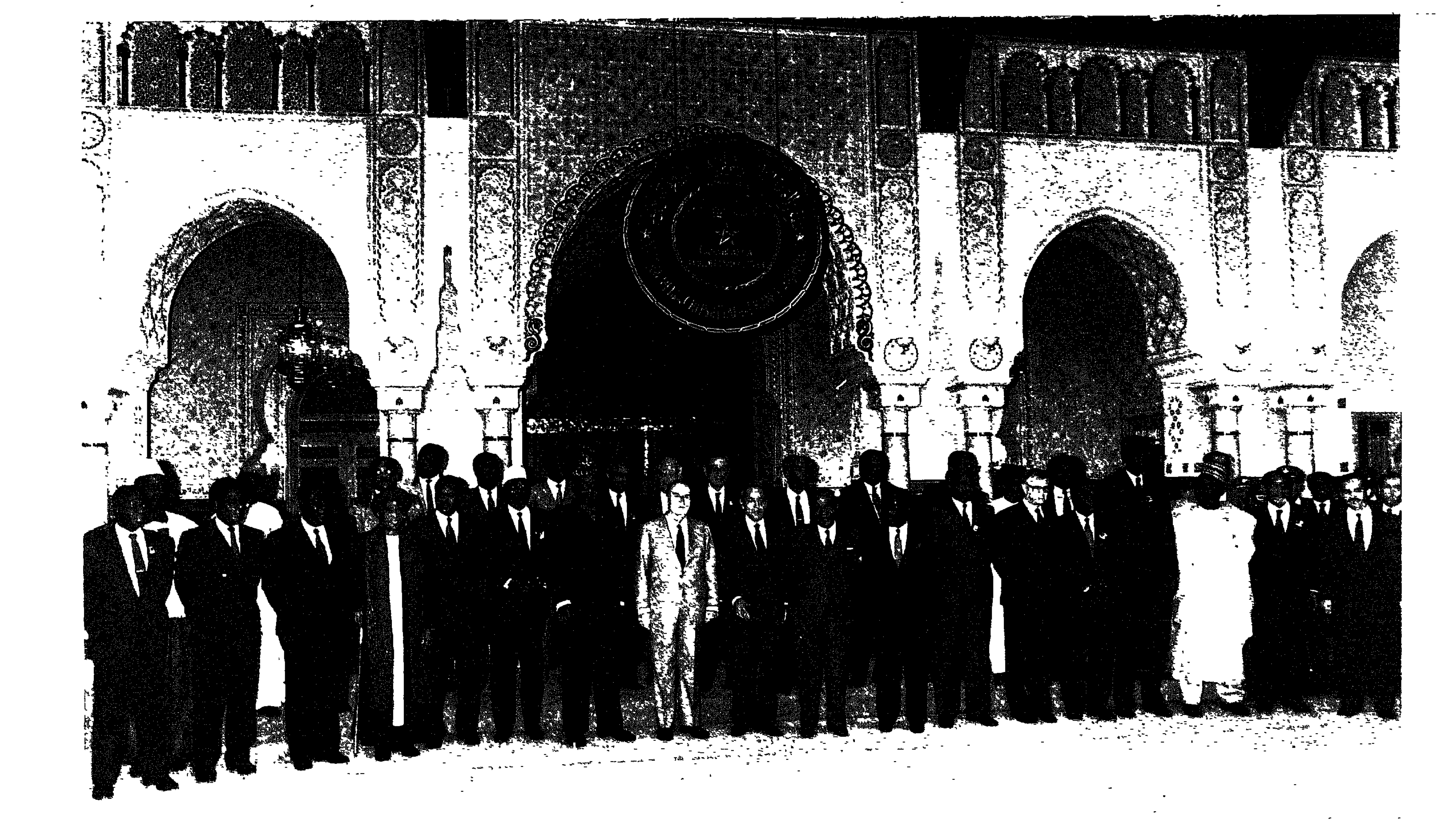
وهكذا استمر حضوره في القمة الرابعة عندما انعقدت سنة 1967 بجمهورية الكونغو الديموقراطية، وكذا في القمة الخامسة التي انعقدت بالجزائر عام 1968 حيث انتخب فيها المغرب نائبا أول لرئيس المؤتمر وقد حضر المغرب كذلك القمة السادسة 1969 التي انعقدت بالكاميرون والقمة السابعة عام 1970 التي انعقدت بزامبيا والقمة الثامنة عام 1971 التي انعقدت في موريطانيا...

وقد احتضنت المملكة المغربية المؤتمر التاسع عام 1972 وكان النائب الأول لجلالة الملك الحسن الثاني هو الرئيس الجزائري.

وقد استمر الحضور المغربي في القمم الإفريقية حيث حضر كذلك في القمة العاشرة التي انعقدت بنيجيريا عام 1973. والحادية عشرة المنعقدة في الصومال عام 1974 والثانية عشرة المنعقدة في أوكاندا 1975 وفي الثالثة عشرة التي انعقدت عام 1976 بجزيرة موريس، والرابعة عشرة المنعقدة بالغابون عام 1977.

والخامسة عشرة المنعقدة بالخرطوم (السودان)، والسادسة عشرة بليبيريا عام 1979 والسابعة عشرة المنعقدة في سيراليون عام 1980، والثامنة عشرة بكينيا (نيروبي) يونيه 1981 الذي حضره صاحب الجلالة والذي أسفر عن تكوين لجنة متابعة حول قضية الصحراء[18] الغربية حضر جلالته بنفسه أعمالها أيضا في غشت 1981 وقد حضر المغرب القمة التاسعة عشرة المنعقدة بأثيوبيا عام 1983 والعشرين بأديس أبابا 12 نونبر 1984 ـ 18 صفر 1405 وهي القمة التي ترك فيها المغرب منظمة الوحدة الإفريقية حتى لا يكون شريكاً في قراراتٍ تفضي لتقويض أركان الشرعية...

لقد بذل الملك الحسن الثاني ـ يقول السيد أحمد رضى كَديرة ـ «كل ما في وسعه وأكثر مما يمكن أن يطلب من رجلٍ مسؤول...» وفي أعقاب تدخله أحاط المؤتمر علماً برسالة ملكية تقول :



القمة الإفريقية الفرنسية بالمغرب

كما سجّلت المملكة المغربية عبر تاريخها الطويل مواقف دبلوماسيةً رائدةً، عندما كانت تقوم بمساعيها الحميدة في العصور الوسطى بين ملوك أروبا فيما بينهم، وبين سلاطين آسيا كذلك، وبين الرؤساء الأمريكان والوّلاة الأفارقة، وعندما أصبحت المملكة في السنين الأخيرة هي المتكلّمة باسم العرب، وباسم الأفارقة أجمعين، وباسم العالم الإسلامي كلّه... كما سجلت ذلك بالأمس، نراها اليوم تشدّ أنظار العالم إليها 14 ـ 16 دجنبر 1988م عندما احتضن القصر الملكي بالدار البيضاء ـ لأوّل مرّة ـ أشغال القمة الإفريقية الفرنسية الخامسة عشرة بحضور معظم الرؤساء الأفارقة إلى جانب الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتيران الذي سلّم رئاسة القمّة للمملكة المغربية...

وهكذا يعكس الماضي بآثاره على الحاضر الذي يعطينا فكرةً عن آفاق المستقبل.

قمة الدار البيضاء 1988

بلغ عدد الدول المشاركة في القمة الإفريقية الفرنسية 38 دولة : مثل 22 رئيساً دُولَهم بينما مثلث الباقي شخصيات سامية، وهكذا فإلى جانب المغرب وفرنسا، حضر (حسب ترتيب الألفبائية المغربية) رؤساء إفريقيا الوسطى، وبوركينافاسو، وبوروندي، وتشاد، ودجيبوتي، وزايير، والكَابون، وكوط دي فوار، والكونغو، وليبيريا، ومالي، والنّيجير، وموريطانيا، والصومال، وغينيا الاستوائية، وغينيا بيساو، والقُمُر، والسينيغال، وسييراليون...

كما حضر مندوبون عن أنغولا، وبوتسوانا، وتونس، والرأس الأخضر، ورواندا، وزامبيا، وطوغو، ومصر، وموريس، وموازمبيق، ونيجيريا، وغامبيا، وساوطومي إي برانسيب، والسودان، وسيشيل...

ولقد كان مما جاء في البيان الختامى الذي تلاه العاهل المغربي أن القمة تسجل بارتياح آفاق التسوية للمشاكل المطروحة في مختلف جهات العالم... كما تسجل التطور الذي عرفته قضية فلسطين... وقد أعلن بهذه المناسبة عن القرار الذي اتخذته قمة الدار البيضاء باجتماع وزراء الخارجية بين فترات القمم، على شكل مؤتمر للمتابعة.



«...وفي انتظار أن يتغلب جانب الحكمة والتعقل فإننا نودعكم ! إلا أن المغرب إفريقي بانتمائه وسيبقى كذلك... وسنظلّ نحن المغاربة في خدمة إفريقيا...

☆ ☆ ☆

وشعوراً من المغرب بالتبعات التي يفرضها عليه انتماؤه لإفريقيا فقد وقفنا على الإسهامات التي كان يقددمها ليس فقط لمنظمة الوحدة الإفريقية ولكن كذلك للمؤسسات التابعة للجنة الإقتصادية الإفريقية التي تناهز 24 مؤسسة على ما نفصله في «الملاحق»...

كما وقفنا على إسهامات المملكة المغربية في المؤسسات الإفريقية المستقلة التي يناهز عددها في الظروف الحالية خمس مؤسسات

☆ ☆ ☆

وفي موازاة هذه العلاقات الدولية المتعددة الأطراف نجد أن العلاقات الثنائية بين المغرب وغيره من الدول الإفريقية في نموّ مطرد تدل على ذلك سلسلة الزيارات المتبادلة بين الرؤساء الأفارقة وكبار الشخصيات مما ينوء به الأرشيف الإفريقي...

هذا إلى طائفةٍ من الإتفاقيات العديدة التي يبرمها المغرب مع أشقائه الأفارقة وإلى سلسلة البلاغات المشتركة التي تصدر من المغرب ومن غيره من الدول الإفريقية :

مع السينغال - لا كوت ديفوار[19] - نيجيريا[20] - النيجر - كينيا - غينيا - الكامرون - جمهورية إفريقيا الوسطى - الغابون - أنغولا - تشاد - زايير - مالي - ليبيريا - إيثيوبيا - غينيا الاستوائية - الرأس الأخضر - بنين (الداهومي) -

---

19) توصلت شاكراً من سعادة الزميل إيمانييل كواسي نعامة (Emmanuel K. Nouama) بلائحة للسّادة السفراء الذين تعاقبوا على المغرب ابتداء من السيد تيموثي نيكَيثا أهوا (Timothee N'guetta Ahoua) 1965، هذا إلى جَرْدٍ لعدد من الاتفاقيات التي أبرمت بين البلدين مما نعتزم ضمن «الملاحق».

20) نشر السيد أوكَيني (J. O. Ogunemi) على رسالته التي تخبر أن أول قائم بالأعمال بالمغرب وصل في مايه 1969.

سوازيلاندا ـ جزيرة موريس ـ الموزامبيق ـ غانا ـ طانزانيا ـ غامبيا ـ سيراليون ـ بوركينا فاسو ـ فولطا العليا ـ الكونغو الشعبية ـ زامبيا ـ ساوطومي ـ وبرانسيب ـ أوغندا ـ جزر القمر ـ هراري ـ (زيمبابوي) ورْوَاندا.

هذا ويدخل مشروع مد خطٌ للسكة الحديدية بين مدينة مراكش ومدينة العيون، ضمن الخطة الرامية إلى ربط شمال القارة بجنوبها، وربط القارة الإفريقية بالقارة الأوربية عبر مضيق جبل طارق بواسطة الممر القارّي الذي سيربط الشواطيء الشمالية المغربية بالشواطيء الجنوبية لإسبانيا...

القارة الأمريكية
المملكة المغربية والولايات المتحدة الأمريكية

قدّم السيد كافانديش و. كانّون (Cavendish W. Cannon) أول سفير بعثه الرئيس ايزنهاور للمغرب أوراق اعتماده لجلالة الملك محمد الخامس يوم سادس أكتوبر 1956 وبذلك أصبح المغرب مرتبطاً، من جديد، ارتباطاً دبلوماسيا مع هذه الدولة التي تجمعه وأياها روابط الصداقة منذ القدم...[21]

وهكذا فتلبيةً للدعوة التي وجهها الرئيس الأمريكي إيزنهاور، لجلالة الملك قام العاهل المغربي بزيارته التاريخية للولايات المتحدة عام 1957...

وتعتبر زيارة جلالة الملك محمد الخامس للولايات المتحدة من الأحداث الدبلوماسية البارزة في تاريخ المغرب الحديث نظراً لما صحبها من خطب وتصريحات واستجوابات هامة علاوة على اشتمالها أيضا على زيارة مبنى الأمم المتحدة وتقديم المغرب المستقلّ للمنتظم الدّولي على ما سنذكره...

21) جواباً على رسالتي بتاريخ 1987/12/11 تلقّيتُ شاكراً رسالة من سعادة السيد طوماس أنطوني ناصف Thomas Anthony Nassif تتضمن لائحةً كاملةً بأسماء السفراء الأمريكان الذين تعاقبوا على المملكة المغربية ابتداء من سادس اكتوبر 1956 كما تحتوي على جرد بالميادين التي تناولتها الاتفاقيات الثنائية، وسننشر هذه المعلومات ضمن «الملاحق» التي وعدنا بها.

وقد أبتدأت هذه الخطب بالكلمة التي ألقيت بمطار واشنطون جواباً على كلمة الترحيب التي نطق بها الرئيس الأمريكي... ثم بكلمته في نادى الصحافة بالعاصمة الأمريكية، ثم الخطاب الذي ألقاه بالقصر الأبيض في مأدبة العشاء وخطابه بالمجلس الأعلى، وبجامعة جورج طاون التي منحته الدكتوراة الفخرية.. وبالحفل الذي أقامه هو تكريما للرئيس الأمريكي...

وردا على تلك الزيارة التي قام بها جلالة الملك محمد الخامس قام الرئيس إيزنهاور بزيارة المملكة المغربية في أواخر 1959 حيث وجدناه يوقع مع جلالة الملك محمد الخامس على اتفاقية بالدار البيضاء بتاريخ 22 دجنبر تقضي بتصفية القواعد الأمريكية التي كانت بالمغرب منذ فترة الحماية الفرنسية...

وقد قام سمو ولي العهد الأمير مولاي الحسن بزيارة ثانية للولايات المتحدة في أكتوبر عام 1960 بمناسبة تمثيل والده في الدورة الخامسة عشرة للأمم المتحدة على ما سنعرف عند الحديث عن العلاقات مع المنتظم الدولي...

وقد أوفد الرئيس إيزنهاور في فاتح مارس 1961 نائبه ريتشارد نيكسون في زيارة رسمية إلى المغرب لدراسة إمكانية وسائل التعاون المتبادل بين الطرفين حيث شاهدنا جلالة الملك محمد الخامس يقابل الضيف الأمريكي ويتحادث معه حول مختلف القضايا الدولية والأفريقية وخاصة منها القضية الجزائرية على نحو ما فعل العاهل عندما كان بالولايات المتحدة...

وقد عادت هذه الزيارات بفوائد جمة فيما يخص العلاقات بين البلدين حيث تم الاتفاق الذي يقضي ببذل المساعدة الأمريكية للمغرب في الميدان التقني والاقتصادي والمالي...

وقد تميزت الرحلة الرسمية التي قام بها جلالة الملك الحسن الثاني للولايات المتحدة في ذي القعدة 1382 ـ 27 مارس 1963 بعددٍ من الخطب التي كانت تجعل الشعب المغربي في الصورة، وقد كان منها الخطاب الهام الذي ألقي بواشنطن جوابا عن كلمة الرئيس كينيدي.

وهكذا أعاد العاهل للذاكرة الصلات التاريخية التي تربط بين المملكة المغربية والولايات المتحدة في شخص الملك محمد الثالث والرئيس جورج واشنطون، وبهذه المناسبة أهدى العاهل المغربي نسخةً من الدستور المغربي للرئيس الأمريكي، ونحن نذكر أن الرئيس جورج واشنطون كان أهدى الملك محمد الثالث نسخةً من الدستور الأمريكي...

وفي البلاغ المشترك أكد الرئيس كينيدي الاتفاق الذي تم في الدار البيضاء بين جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، وبين الرئيس إيزنهاور يوم 22 دجنبر 1959 والذي تقرر بموجبه سحب القوات الأمريكية المرابطة في المغرب قبل نهاية 1963.

وفي يبراير 1967 زار جلالة الملك مرةً أخرى الولايات المتحدة الأمريكية تلبية لدعوة الرئيس جونسون حيث ألقى جلالته خطاباً سامياً بالقصر الأبيض يوم تاسع يبراير.

كما زار جلالته الولايات المتحدة أواسط شهر نونبر 1978 أجرى خلالها عدة محادثات مع الرئيس الأمريكي جيمي كارتر ومع عددٍ من المسؤولين ورجال الأعمال الأمريكيين، والكل يذكر الندوة الصحفية الناجحة التي عقدها جلالة الملك في نادي الصحافة الأمريكية خلال هذه الزيارة.

وفي زيارة العمل التي قام بها جلالة الملك أواسط شهر مايه 1982 للرئيس ريكَان Regan شهدت العلاقات بين البلدين دفعاً جديداً، ومن حسن حظي أنْ كنت ضمن الذين تفضّل جلالة الملك فدعاهم لمرافقة الركب الملكي...

ولم تكن صلة المملكة المغربية بالولايات المتحدة لتقتصر على العلاقات الثنائية، فلقد كانت تتناول القضايا التي تعيشها بعض الأطراف الأخرى، ومن هنا وجدنا جلالته يبرق للرئيس ريكَين حول سلامة الفلسطينيين وضرورة حمايتهم، وكانت هذه البرقية تحمل تاريخ 26 غشت 1982.

وفي إطار التزاماته إزاء القضية العربية وجدناه يرحل مرة أُخرى إلى نيويورك يوم 25 شتنبر 1983 = 17 ذي الحجة 1403 حيث نجد الرئيس



تصـــــديـر

المَمْلَكَةُ المَغْرِبِيَّةُ دَوْلَةٌ إِسْلَامِيَّةٌ ذَاتُ سِيَادَةٍ كَامِلَةٍ، لُغَتُهَا الرَّسْمِيَّةُ هِيَ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ وَهِيَ جُزْءٌ مِنَ المَغْرِبِ الكَبِيرِ.

وَبِصِفَتِهَا دَوْلَةً إِفْرِيقِيَّةً، فَإِنَّهَا تَجْعَلُ مِنْ بَيْنِ أَهْدَافِهَا تَحْقِيقَ الوَحْدَةِ الإِفْرِيقِيَّةِ.

وَإِدْرَاكًا مِنْهَا لِضَرُورَةِ إِدْرَاجِ عَمَلِهَا فِي إِطَارِ المُنَظَّمَاتِ الدَّوْلِيَّةِ، فَإِنَّ المَمْلَكَةَ المَغْرِبِيَّةَ الَّتِي أَصْبَحَتْ عُضْوًا عَامِلًا نَشِيطًا فِي هَذِهِ المُنَظَّمَاتِ، تَتَعَهَّدُ بِالْتِزَامِ مَا تَقْتَضِيهِ مَوَاثِيقُهَا مِنْ مَبَادِئَ وَحُقُوقٍ وَوَاجِبَاتٍ.

كَمَا تُؤَكِّدُ عَزْمَهَا عَلَى مُوَاصَلَةِ العَمَلِ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَى السَّلَمِ وَالأَمْنِ فِي العَالَمِ.

البَابُ الأَوَّلُ
أَحْكَامٌ عَامَّةٌ
المَبَادِئُ الأَسَاسِيَّةُ

الفَصْلُ الأَوَّلُ

نِظَامُ الحُكْمِ بِالمَغْرِبِ نِظَامُ مَلَكِيَّةٍ دُسْتُورِيَّةٍ دِيمُوقْرَاطِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ.

الفَصْلُ الثَّانِي

السِّيَادَةُ لِلْأُمَّةِ تُمَارِسُهَا مُبَاشَرَةً بِالِاسْتِفْتَاءِ وَبِصِفَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ عَلَى يَدِ المُؤَسَّسَاتِ الدُّسْتُورِيَّةِ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الأَحْزَابُ السِّيَاسِيَّةُ تُسَاهِمُ فِي تَنْظِيمِ المُوَاطِنِينَ وَتَمْثِيلِهِمْ، وَنِظَامُ الحِزْبِ الوَحِيدِ مَمْنُوعٌ بِالمَغْرِبِ.

الفَصْلُ الرَّابِعُ

القَانُونُ هُوَ أَسْمَى تَعْبِيرٍ عَنْ إِرَادَةِ الأُمَّةِ وَيَجِبُ عَلَى الجَمِيعِ الِامْتِثَالُ لَهُ، وَلَيْسَ لِلْقَانُونِ أَثَرٌ رَجْعِيٌّ.

الفَصْلُ الخَامِسُ

جَمِيعُ المَغَارِبَةِ سَوَاءٌ أَمَامَ القَانُونِ.

الفَصْلُ السَّادِسُ

الإِسْلَامُ دِينُ الدَّوْلَةِ، وَالدَّوْلَةُ تَضْمَنُ لِكُلِّ وَاحِدٍ حُرِّيَّةَ مُمَارَسَةِ شُؤُونِهِ الدِّينِيَّةِ.

الفَصْلُ السَّابِعُ

عَلَمُ المَمْلَكَةِ هُوَ اللِّوَاءُ الأَحْمَرُ الَّذِي يَتَوَسَّطُهُ نَجْمٌ أَخْضَرُ خُمَاسِيُّ الفُرُوعِ.
شِعَارُ المَمْلَكَةِ: اللهُ، الوَطَنُ، المَلِكُ.

../..

الصفحة الأولى من الدستور المغربي

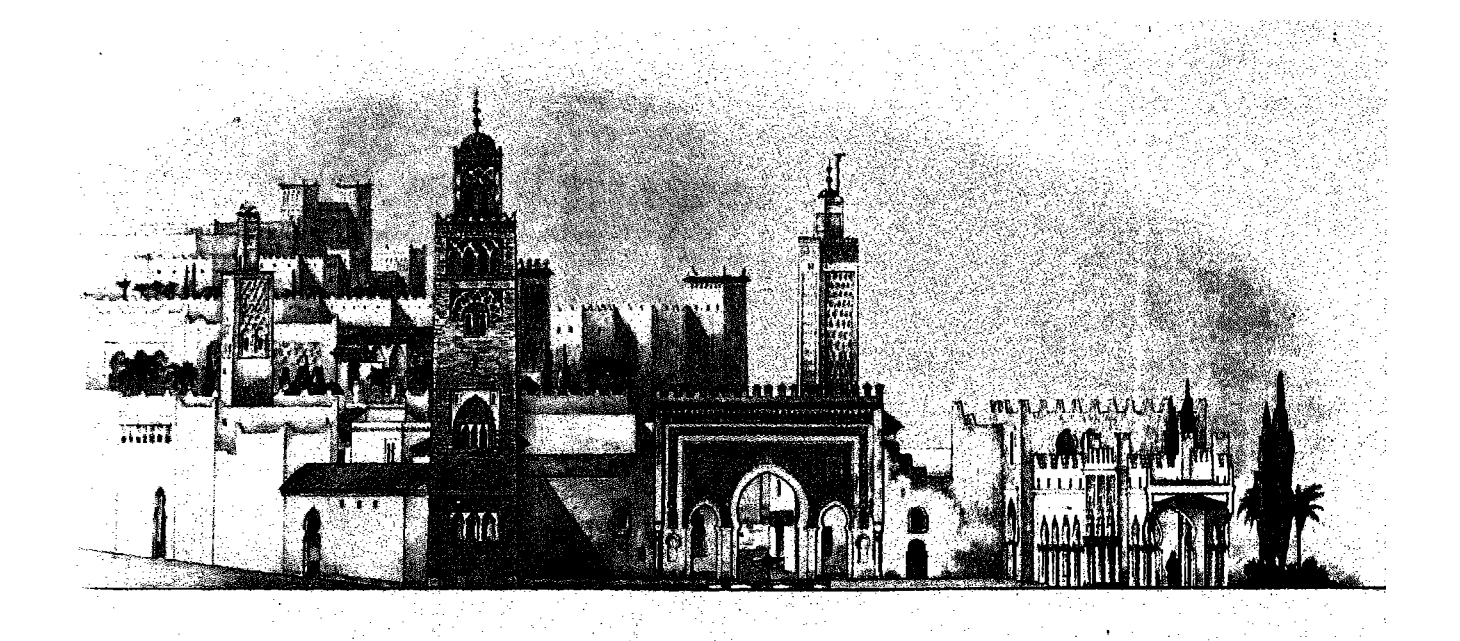
رولاند ريكَين يقيم على شرفه مأدبة غذاء، قبل أن يقوم العاهل المغربي بإلقاء خطابه الهام أمام الجمعية العامة لهيأة الأُمم المتحدة، ذلك الخطاب الذي تناول فيه قضيتين اثنتين : القضية العربية.. ثم قضية الصحراء الغربية...

وكما قام جدّه الملك محمد الثالث بمساعيه الحميدة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين إيالة طرابلس وتونس عندما طلب ذلك منه الرئيس جورج واشنطون فقد عرض العاهل المغربي اليوم مساعيه الحميدة بتاريخ 15 يناير 1986 بين الرئيس ريكَين والرئيس القذافي بتاريخ 15 يناير 1986.

وبمناسبة الاحتفال بمرور قرنين من الزّمان على قيام العلاقات بين البلدين حضرنا عدداً من التظاهرات سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أو في المملكة المغربية...



جلالة الملك الحسن الثاني وفخامة الرّئيس جورج بوش قبل توليه رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية... بهذه المناسبة نجدد الشكر لوزارة الإعلام.



إذا كان الملك الحسن الأول قد بعث بتصميم مجسم لدار مغربية بمناسبة مرور قرن على إنشاء العلاقات بين المغرب وأمريكا كما قدمناه، فإن عهد الملك الحسن الثاني شهد إنشاء رواق مغربي بفلوريدا أواخر السبعينات في والت ديزني وُولد (Walt Disney World).

مع بقية القارة الأمريكية

لم تكن الولايات المتحدة فقط هدف الدبلوماسية المغربية، فقد رأيناها تنساب في بقية جنوب القارة وفي وسطها وفي شمالها.

ومن هنا وجدنا أن المغرب يرتبط مع عددٍ كبير من دول أمريكا الجنوبية والوسطى، وهكذا كانت للمغرب علاقات مع : البرازيل،[22] والأرجنتين، والبيرو،[23] وفنزويلا، وكولومبيا، والباراغواي، وبانامـا، والسلفادور، وكوسطاريكا، والباهاماس، وبوليفيا، والإكواتور، والشيلي، والجمايك، وترينداد، وطوباغو، وكَواتيمالا، وغويانا، ونيكاركَوا، والأوروغواي، وجمهورية الدومينيكان، والمكسيك، وسانت لوسي، وكوبا، وحكومة سان فانسان وغرينادين...

المغرب ـ كانادا

وقد وجدنا أن المغرب وكانادا يبادران لربط العلاقات الدبلوماسية بينهما على مستوى السفارات علاوة على القنصليات التي كان يبرر وجودها ذلك العدد الكبير من المواطنين المغاربة الذين يقيمون في مختلف الجهات الكانادية..

22) جواباً على رسالتنا بتاريخ 1987/12/11 تلقينا شاكرين رسالة من سعادة سفير البرازيل السيد مارسيل ديزون كوسطاها سلوشر (Marcel Dezon Gosta Hasslochre) تتضمن لائحة بأسماء السفراء المعتمدين بالمغرب منذ عام 1961، وزيارة السيد المعطي بوعبيد الوزير الأول، وزيارة الرئيس جو ووبا بتيسطا فيكيريدو (Joao Baptista Figueiredo).

23) توصلت شاكراً من سعادة السفير السيد الخاندرو كَوردِيّو (Ale Jandro Go Rdillo) برسالة تحمل تاريخ 12 يوليه 1988 تفيد أن أول سفير لبيرو بالمغرب هو أدمار مونطاني (Montagne Adhemar) وسننشر المعلومات ضمن «الملاحق».

«لوبينيون بالفرنسية عدد 5 يناير 1982.

وقد أبرم اتفاق ثقافي وتقني بين الحكومة المغربية والحكومة الكندية في أواخر عام 1964 يقضي بمساعدة كانادا للمغرب في ميادين التنمية وخاصة ما يتعلق بالتعليم التقني...[24]

مع القارة الأسيوية

لم يكن بعد القارة الأسيوية عن القارة الإفريقية وبالأحرى عن المملكة المغربية لم يكن ذلك البعد بمانع للمغرب عن أن يمد يده لأشقائه وأصدقائه هناك طوال الثلاثين سنة الماضية.

المغرب تركيا

لقد قدم أول سفير تركي السيد ناظم فيصل الظّين أوراق اعتماده لجلالة الملك محمد الخامس يوم 10 أبريل 1957 على ما نقرأه في الأرشيف الوطني.[25]

وقد تميزت العلاقات بين البلدين بما عرفته من اتفاقيات وتبادل زيارات على أرفع مستوى... نذكر منها زيارة جلالة الملك الحسن الثاني للجمهورية التركية عام 1968 حيث استمعنا إلى الخطاب الذي رحّب فيه الرئيس التركي

24) توصلت من سعادة القائم بالأعمال السيد إيفون سان هيلير (Yvon Saint – Hilaire) بمعلوماتٍ تحمل تاريخ 17 غشت 1988 وحسب هذه المعلومات فإن السفير الكانادي الأول بالمغرب هو السيد مارك بودوان (M. Beudoin) 1974/9/16 والسفير الحالي هو السيد ويلفريد كَي ليكاري (Wilfrid-Guy Licari)...

د. التازي : حول العلاقات المغربية الكانادية (العَلَم) 1981/7/24 ـ لوبينيون 1982/1/5.

25) جواباً على رسالتي بتاريخ 1987/12/11 تلقيت شاكراً من سعادة السيد غون غور Gun Gur سفير الجمهورية التركية تتضمن لائحةً بأسماء السفراء المعتمدين بالرباط ابتداء من 10 أبريل 1957ـ كما تتضمن جرداً بالمعاهدات المبرمة بين المغرب وتركيا منذ 21 نونبر 1966.. وسننشر هذه المعلومات في (الملاحق).

بضيفه في أنقرة على ما نقرأه في النشرات المغربية والتركية،[26] كما نذكر منها زيارة رئيس الجمهورية التركية كنعان إفرين للمغرب أواخر مارس 1987...

المغرب ـ إيران

وكذا نجد أول سفير لإيران يقدم أوراق اعتماده لجلالة الملك محمد الخامس يوم 5 نونبر 1957 حيث قام المغرب بدوره بتعيين سفيره في إيران...

وقد تميّزت العلاقات بإبرام عدد من الاتفاقيات وتبادل الزيارات بين كبار الشخصيات على أرفع مستوى حيث وجدنا شاه إيران محمد رضا بهلوي يقوم بزيارته للديار المغربية في صيف 1966...

وقد قام جلالة الملك الحسن الثاني برد الزيارة لأمبراطور إيران في شهر ابريل 1968 حيث تبودلت أثناءها الخطابات والمحادثات...[27]

وعندما قامت الجمهورية الإسلامية الإيرانية قامت المملكة المغربية حفاظاً على مايربطها بإيران من قديم الصلات ـ بربط علاقاتها الدبلوماسية مع الجمهورية الجديدة حيث شرفني سيد البلاد بأن عينني سفيراً لجلالته أيضاً لدى الجمهورية الإسلامية الإيرانية...

---

26) عبد الوهاب ابن منصور : رحلة جلالة الملك المعظّم إلى تركيا ـ إيران ـ السعودية ـ تونس، منشورات قسم الصحافة والأنباء ـ وزارة الشؤون الخارجية 1968.

27) د. عبد الهادي التازي : العلاقات المغربية الإيرانية ضمن الكتاب الرسمي الذي أصدرته وزارة الأنباء بتاريخ 12 يونيه 1966، وكذلك في جريدة الأنباء ـ مجلة (المغرب) عدد 9 يوليه 1966 ـ مجلة الإخاء الإيرانية عدد 20 محرم 1387 = أول آيار 1967.

المغرب ـ باكستان

قدم أول سفير باكستاني أوراق اعتماده لجلالة الملك محمد الخامس يوم 16 يوليه 1958 وهو السيد شهيد السهروردي الذي كان يقيم باسبانيا..[28]

المغرب ـ الهند

لقد كان أول سفير للهند هو السيد راما شاندرا كوبوردوهون (Gobordhon) الذي قدم أوراق اعتماده لجلالة الملك يوم 7 يناير 1959...[29] ومن هنا ارتبط المغرب مع الهند بعددٍ من الاتفاقيات في المجال التجاري والثقافي.. كما تبودلت قبل هذا الوقت الزيارات بين الشخصيات السامية في كل البلدين...

المغرب ـ الصين

قدم أول سفير للصين الشعبية بي رين (Bay Ren) أوراق اعتماده يوم 29 أبريل 1959، وكان حدثاً عظيماً أن يُقدم جلالة الملك محمد الخامس على الاعتراف بالصين بالرغم من كل الاعتراضات... مبادرة رائدة تذكّر بما أقدم عليه الملك محمد الثالث ـ قبل أكثر من قرنين ـ عندما اعترف بالولايات المتحدة..!

وهكذا أبرمت اتفاقيات بين البلدين وتبودلت الزيارات على أرفع مستوى حيث قام السيد شوان لاي رئيس وزراء الصين بزيارة رسمية للمغرب كما زارت الصين وفود مغربية عديدة على أعلى مستوى...[30]

---

28) جواباً على رسالتي بتاريخ 1987/12/11 تلقيت شاكراً معلومات من سعادة الزميل سمير أحمد خان (Samir Ahmad Khan) سفير الباكستان : لقد كان أول سفير السيد السهروردي، قبل أن تسند المهمة للسيدة إكرام الله... وقد تضمنت معلومات السفير لائحةً بالاتفاقيات المبرمة بين الدولتين كما تضمنت أسماء الشخصيات البارزة التي تبادلت الزيارة مع المغرب مما سننشره في «الملاحق».

29) احتفظ السفير كَوبوردهون بذكرٍ جدّ طيّب للمغرب على ما سمعته منه ومن السيدة زوجته عندما التقينا صدفةً على متن الطائرة من دلهي إلى باريز (1988/6/18 !!).

30) توصلت شاكراً من سعادة السفير وان يونكسيانك بجرد لأسلافه السفراء، وكذلك بلائحة للاتفاقيات المبرمة بين المغرب والصين... وكان آخرها البرنامج التنفيذي للاتفاقية الثقافية بين البلدين، وقد حضرتُ مراسيم توقيعه في پكين يوم 1988/6/10... إلى جانب السيد محمد بنعيسى وزير الشؤون الثقافية وزميله الصيني السيد وانغ مِنغ Wang Meng، د. التازي : في العلاقات المغربية الصينية ـ العَلَم ـ 7 غشت 1988 ـ 1 نونبر 1988.

المغرب ـ كوريا

وترتبط مملكة المغرب بجمهورية كوريا بعلاقات على مستوى السفارات،[31] ويشمل التعاون مع هذه الجمهورية عدة مجالات، في صدرها المجال الدّيني حيث نجد جلالة الملك الحسن الثاني يتبرع عام 1973 بمبلغ كبير من المال لبناء مسجد في العاصمة الكورية، أما في المجال الاقتصادي فقد أبرمت عدة اتفاقيات بين البلدين تتناول ميدان الصيد البري والتعاون الاقتصادي والتّقني والثقافي والعلمي...

المغرب ـ إندونيسيا

وقد عرفت العلاقات بين المغرب وإندونيسيا عدداً من التظاهرات التي رسمت اسم إندونيسيا في أذهان المغاربة الذين يذكرون جيّداً مؤتمر باندونغ...

وقد رحب المغرب ملكاً وشعباً بزيارة الرئيس أحمد سوكارنو (3 مايه 1960) الذي لقي من جلالة الملك محمد الخامس ترحيباً منقطع النظير...

باندونغ في الوجدان المغربي

يحتفظ الأرشيف الوطني بنص الالتزام الذي تعهد به جلالة الملك الحسن الثاني يوم 12 أبريل سنة 1961 لدى مؤتمر باندونغ بمناسبة انعقاد مؤتمر **تضامن الشعوب الأسيوية والإفريقية...**

«... إننا في المغرب لا نتتبع نضال شعوب إفريقيا وآسيا ونباركه فحسب، بل نضع أيضاً أنفسنا وإمكاناتنا في خدمة قوّى التحرير...».

كما يَحتفظ الأرشيف الوطني بعددٍ من الإسهامات البنّاءة في سبيل ازدهار التعاون الاقتصادي بين أعضاء المنظمة **الإفريقية** الأسيوية على ما نقرأه في الخطاب الذي وجهه العاهل المغربي للمؤتمر الخامس للمنظمة المنعقد ببني ملاًل بتاريخ 25 محرم 1386 = 16 مايه 1966.

«... وقد مرت الآن **إحدى عشر سنة على انعقاد مؤتمر باندونغ** وما زال يقال حتى الآن عن الدول الإفريقية والأسيوية إنها دول متخلفة وأنا شخصياً أعارض هذه الفكرة لأني لا أعتبر الدول الإفريقية الأسيوية متخلفةً من حيث ثرواتها ومواردها الطبيعية ولكنها متخلفة من حيث قلة الإطارات الفنية فيها...».

---

31) جواباً على الرسالة التي بعثنا بها بتاريخ 1987/12/11 تلقينا شاكرين من سعادة سفير كوريا بالمغرب السيد سوك جين هان Suk-Jin Han لائحةً بأسماء السادة السفراء الكوريين ابتداء من 1972/7/6، ولائحة أخرى بأسماء البعثات المتبادلة بين الطرفين ابتداء من نونبر سنة 1959. وسننشر هذه المعلومات ضمن «الملاحق».

المغرب ـ اليابان

وعرفت أمبراطورية اليابان علاقات جدّ متينة مع المملكة المغربية منذ بداية عهد جلالة الملك الحسن الثاني، وهكذا فمن الناحية الاقتصادية تعتبر الأمبراطورية اليابانية حالياً أهمّ دول آسيا التي يتعامل معها المغرب...

وقد كان في أبرز زوّارها المرموقين من المملكة المغربية : صاحبة السمو الملكي الأميرة لالّة نزهة وصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد...(32)

المغرب وباقي دوّل القارة الأسيوية

وتجدر الإشارة إلى أن علاقات المغرب لا تقتصر على الدول التي سبق ذكرها فحسب بل تشمل سائر الدّول الأسيوية وهي أي العلاقات تغطي جميع الميادين السياسية منها والاقتصادية والثقافية، ونذكر في صدر هذه الدول جمهورية الڤيتنام، وجزر المالديف، والنيبّال، وبنغلاديش، وطايلاند، وبيرمانيا، ومنغوليا وسريلانكا، وأفغانستان، والفلپين، وماليزيا...

المغرب وقارة أستراليا

وأخيراً نجد أن علاقات المملكة المغربية تمتد إلى استراليا حيث نعدّ طائفةً من الدبلوماسيين يمثلون بلادهم لدينا نذكر منهم السيد بييتر جوهن كورتيس الذي يوجد في المنصب ابتداء من 1986/4/16...(33)

32) جواباً على رسالتنا بتاريخ 1987/12/11 تلقينا شاكرين رسالة من السيد يوكيوها كاكو (Yokio Hakkaku) السكرتير الأول في السفارة تتضمن لائحة بأسماء سفراء اليابان بالمغرب ابتداء من عام 1962 وكذا لائحة بعدد البعثات والزيارات المتبادلة بين الطرفين، ونذكر منها علاوة على ما تقدم زيارة السيد أحمد عصمان الوزير الأول سنة 1976، والسيد محمد كريم العمراني سنة 1982، والسيد عبد اللطيف الجواهري وزير المالية... وسننشر هذه المعلومات مفصلةً ضمن «الملاحق»...

33) لابد أن نذكر هنا بإسهام جامعة سيدني باستراليا في الاحتفالات بالذكرى المائة بعد الألف لجامعة القرويين (بفاس) الكتاب الذهبي لجامعة القرويين 1960 ص 240.

المغرب في المنظمات الدولية

- ◻ الملك محمد الخامس في الأُمم المتحدة.
- ◻ الملك الحسن الثاني يتابع أداء رسالة والده في المنتظم الدّولي.
- ◻ المغرب في المنظّمات الدولية الفرعية الأُخرى...
- ◻ المغرب ودول عدم الإنحياز.
- ◻ قادة العالم الإسلامي يجتمعون لأَول مرة في التاريخ !
- ◻ الملك الحسن الثاني الناطق باسم سائر المسلمين في العالم...
- ◻ بناء وحدة المغرب العربي...
- ◻ المغرب والسوق الأُروبية المشتركة.
- ◻ جانب من جوانب نضال الملك الحسن الثاني.
- ◻ الاتفاقيات الدولية بين الأَمس واليوم.

المملكة المغربية في الأُمم المتحدة

وقد كان على المملكة المغربية ـ ولها تاريخ أصيل في المجموعة الدولية ـ أن تنضمّ إلى هيئة الأُمم المتحدة حيث وجدنا جلالة الملك محمد الخامس يزود يوم 6 نونبر 1956 أول وفد مغربي ـ وكان برئاسة السيد الحاج أحمد بلافريج ـ بالتعليمات التي ظلّت مبادئ ثابتة للمغرب في المنتظم الدولي.

الملك محمد الخامس في الأُمم المتحدة

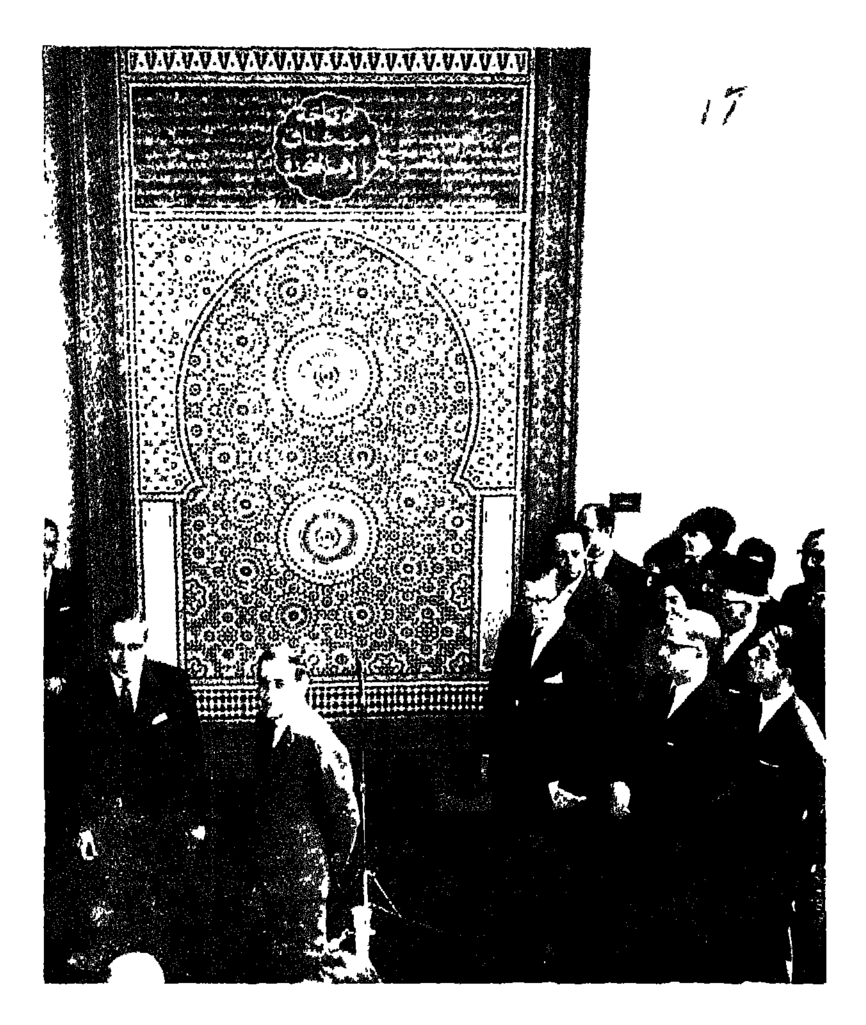
لقد عرفت أروقة الأُمم المتحدة زيارةَ عددٍ من رؤساء الدول ممن قصدوها لهدف معيّن أو وجدتهم ظروفهم في نيويورك فأدوا مراسيم الزيارة وتبادلوا مع الحاضرين الابتسامات، وحياهم الأعضاء بالتصفيقات...

أما زيارة محمد الخامس (9 دجنبر 1957) فقد كانت من نوعٍ آخر جديد، فالكل ينتظر هذا «الإفريقي الذي صحح الأوضاع !»[1] والكل يتوق إلى طلعة هذا الملك الذي زهد في العرش لكي يعيش شعبه عزيز الجانب موفور الكرامة... الكل كان يترقب سماع ذلك الصوت باللسان العربي المبين...

1) د. التازي : محمد الخامس الإفريقي الذي صحح الأوضاع، جريدة «العَلَم» 1957/11/18.

لقد سجل أرشيف الأمم المتحدة أن المملكة المغربية أول دولة فضلت أن تكون تحيتها الأولى (9 دجنبر 1957) للمنتظم الدولي ليس رسماً بشرياً ولا قطعة من البرونز أو زربية مبثوتة ولكنها مصراع من الزليج المغربي الرفيع طوله 30، 4 أمتار وعرضه 42، 2 وزنه حوالي طن، كتب في ناصية إطاره الخشبي بخط مغربي جميل هذه الآية الكريمة : **﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم...﴾.**

وتحت هذه الآية كتبت هذه العبارة : «هدية من صاحب الجلالة ملك المغرب محمد الخامس» وقد توسط المصراع نص ديباجة ميثاق الأمم المتحدة، هدية ما تزال إلى اليوم تستوقف الزوار الذين يترددون على نيويورك في كل مطلع شمس.



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني والسيد يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة، أمام اللوحة التذكارية التي قدمها المغرب إلى الأمم المتحدة، وهي تحمل ديباجة ميثاق المنظمة نيويورك بمناسبة زيارته الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية في 20 مارس 1963م بعد زيارة أولى عام 1960 وهو ما يزال ولياً للعهد...

واستقبل السيد (داكَ همّار شيولد (DAG Hammarskjold) الأمين العام للأمم المتحدة هذا الرجل الذي رجّت القاعات بذكره طوال السنين الماضية.

لقد ورد محمد الخامس ليقدم هذه المملكة المغربية إلى المنتظم الأممي ليس كحشيشة نبتت كما ينبت البقل ![2] وليس كوليدِ أنبوبٍ صنعته الحاجة ! ولكن كأمةٍ عرفت لها ماضياً عريقاً ضارباً في جذور التاريخ...

لقد وجدنا في الخطاب الذي وجهه جلالة الملك محمد الخامس للمنتظم الدولي تعبيراً عن أداء لأمانة الأجيال الغابرة والقرون الخالية التي عاش فيها المغرب سيّداً كريماً...[3]

وبعد أن أعلن جلالة الملك عن تشبث المغرب باستقلاله الكامل وسيادته المطلقة.. لم ينس الدول الإفريقية التي ما تزال محرومة من حريتها... وتعبيراً عن النبل الذي يتحلى به محمد الخامس كملكٍ عظيم وزعيمٍ كبير دعا من أعلى منبر الأمم المتحدة إلى استقلال الجزائر التي نعتها بالشقيقة...[4]

واعتباراً لأهمية المواضيع التي تضمنها جدول أعمال الدورة الخامسة عشرة للأمم المتحدة (اكتوبر 1960) ونظراً لوفرة رؤساء الدول الذين حضروا هذه الدورة، فقد عهد جلالة الملك محمد الخامس إلى وليّ عهده صاحب السمو الملكي مولاي الحسن بمهمة رئاسة الوفد المغربي... حيث ألقى يوم 4 اكتوبر 1960 خطاباً بالغَ الأهمية...

ولم يشُدّ سمو ولي العهد الرحلة إلى مقر هيئة الأمم إلا بعد أن استمع مع أعضاء مجلس الوزراء إلى الرسالة التي وجهها لهم جلالة الملك من (فيرْسْوَا - سويسرا) حيث كان يقضي فترة استجمام...

---

2) تلميح لقول الشاعر العربي :

وما تستوي أخشابُ قومٍ تورثت قديماً وأحسابٌ نبتْن مع البقل !!

3) د. التازي : محمد الخامس في الأمم المتحدة، ندوة جمعية رباط الفتح - نونبر 1987، المجلد الأول من هذا التاريخ.

4) انظر المجلد الأول ص 22/21.

وقد اجتمع سمو وليّ العهد - في نيويورك قبل إلقاء خطابه بعددٍ من رؤساء الدول الذين شاركوا في الدورة : مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفياتي، والجمهورية العربية المتحدة، ويوغوسلافيا، وغانا، والمملكة الأردنية، ورؤساء حكوماتٍ، ووفود عديدةٍ....

«...تتقدم بلادي اليوم إلى هذه الدورة - يقول سمو الأمير - وهي تقدر حق التقدير نصيبها من المسؤولية الموكولة إليها موطدةً العزم على التعاون في العمل المشترك وإننا اليوم لأشد تصميماً من كل وقت مضى، على التمسك المتين بمبادئ ميثاق هيئة الأمم، ولكننا نعلن في نفس الوقت أننا إذ نرى في منظمتنا هذه أجمل الفرص لنصرة السلام فإننا نؤمل من أعماق قلوبنا أن نرى كذلك هيبتها ونفوذها وسلطتها تزداد متانة...».

وبمناسبة تلبيته للدعوة التي توجه بها إليه الرئيس الأمريكي كِينيدي قام جلالة الملك الحسن الثاني في مارس 1963 بزيارة لمقر هيأة الأمم المتحدة حيث وجدناه يجتمع مع الأمين العام السيد يوثانت (U. Thant) حيث استمر المغرب في تواصلٍ مستمر مع الأمم المتحدة حتى لفَتح له مندوبيتين بنيويورك (1957) وجنيڤ (1968) ومن هنا كان المغرب يتابع نشاطه في أعمال الأمم المتحدة وفي اجتماعات الهيئات والمؤتمرات المتفرعة عنها...

وبمناسبة استجابته أيضاً للدعوة التي توجه بها إليه الرئيس الأمريكي جونسون (يبراير 1967) لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية، قام الملك الحسن الثاني بإلقاء، خطابٍ في الأمم المتحدة كان في الواقع جواباً على ترحيب السيد رئيس الكتلة الإفريقية الآسيوية في منظمة الأمم المتحدة يوم الأربعاء 15 يبراير 1967 = 5 ذي القعدة 1386...

وفي إطار الاقتناع بالدور الذي تضطلع به الأمم المتحدة فيما يتصل بالقضايا الستراتيجية رأينا أن المغرب ما انفك يعرب للمنتظم الدولي عن تضامنه اللاّمشروط مع المعتدى عليهم في لبنان (27 يونيه 1972) وفي الأقطار العربية الأخرى (6 يونيه 1973)، وقد أرسل تحذيراً بواسطة الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالد هايم (Curt Waldheim) إلى مناحيم بيكَين على إثر الهجوم الإسرائيلي... وكان هذا بتاريخ 15 مارس 1978...

وقد وجدنا جلالة الملك يبعث برسالته إلى الأمم المتحدة بمناسبة يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني. ولقد كان الخطاب موجها بالذات إلى رئيس وأعضاء لجنة ممارسة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وكانت الرسالة تحمل تاريخ يوم الخميس 30 نونبر 1978 = 19 ذي الحجة 1398.

وحرصاً من جلالته على تزويد المنظمات الدولية والدول الكبرى بالمستجدات وجدناه يبعث بتاريخ 13 اكتوبر 1981 = 14 ذي الحجة 1401 مخبرا بما قبله المغرب بمحض إرادته عن إجراء الاستفتاء في الصحراء الغربية.

ولكي يعبّر بصفةٍ أقوى عن تلك المشاعر إزاء القضية الفلسطينية وجدناه يدعو مجلس الأمن الدولي للانعقاد لدراسة الأحداث الخطيرة التي تجري بفلسطين المحتلة وكانت هذه الدعوة منه ليس فقط بصفته رئيساً لدولةٍ إسلامية عضوٍ في الأمم المتحدة، ولكن كذلك بصفته رئيساً للجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر الإسلامي، والرسالة تحمل تاريخ 12 أبريل 1982 = 17 جمادى الثانية 1402.

وبصفته رئيساً لوفد جامعة الدول العربية الذي عهد إليه من طرف مؤتمر القمة العربي الثاني عشر المنعقد بفاس، بإجراء اتصالات مع الرئيس الأمريكي السيد رونالد ريكَان (R. Reagan) ومع الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، بتلك الصفة قام العاهل المغربي برحلةٍ إلى الولايات المتحدة صحبة لجنة السّبعة حيث قام بأنشطةٍ جد مكثفة لصالح القضية في واشنطون قبل أن ينتقل إلى نيويورك يوم 26 اكتوبر 1982 = 8 محرم 1403 حيث وجد في استقباله الأمين العام السيد جافيبي بيريز دي كويلار (Javier Perez de Cuellar)....

وبعد أن اجتمع بالرئيس الموجود للمنظمة السيد أميرك هولاي توجه إلى القاعة الكبرى حيث ارتجل خطاباً هاماً اعتبر من ألمع المرافعات وأقواها للدفاع عن القضية الفلسطينية على مستوى دولي...

تنصيب وليّ العهد

«... ولا تنس يا ولدي أن المغرب من بلدان الإسلام وأنك واحد من المسلمين، فضعْ نصب عينيك تلك الأخوة السّامية التي بشّر بها الإسلام ودعا إليها وبيّن حقوقها وواجباتها وبذر حبّاتها في قلوب معتنقيه حتى أصبحوا بنعمته إخواناً وإن تباعدت أنسابهم وتناءت ديارهم، ولا تنس ما حاط دينُك هذه الأخوةَ به من سماحة وسجاحة ورحابة صدر وسعة فكر وبرّ وإقساط حتى مع الذين لايعتنقونه، فاحرصْ يابنيّ على تثبيت دعائم هذه الأخوة وتقوية أواصرها، وكنْ والمسلمين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وكنْ شديد الاهتمام بقضاياهم تنصرها في المحافل الدولية وتدافع عنها في المجامع الأممية، واعمل على أن تجعل من المغرب بحكم موقعه الجغرافي صلة وصلٍ بين الشرق والغرب وأداة ربط بين الحضارتين العربية والأوربية...»

من خطاب جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله بمناسبة تنصيب صاحب السمو الملك الأمير مولاي الحسن وليّاً للعهد للمملكة المغربية يوم 10 ذي الحجة 1376 = يوليه 1957، سفارة المغرب ببغداد : عهد المغفور له محمد الخامس لجلالة الملك الحسن الثاني ـ مطبعة العاني، بغداد 1964، ص 17.

وفي سبيل القضية الفلسطينية وعملاً بالتزاماته إزاء لجنة القدس قام جلالته بالسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية (25 شتنبر 1983 = 17 ذي الحجة 1403) حيث ألقى خطاباً هاماً أمام الجمعية العامة لهيأة الأمم المتحدة يوم الثلاثاء 27 شتنبر 1983...

كان الخطاب وثيقةً تاريخيةً رائعة تعرض في جملة ما تعرض له للاتفاقية الإسرائيلية اللبنانية. وقد طالب العاهل بإعادة النظر فيها لسببٍ واحد هو أن تلك الاتفاقية تدخل ضمن ما يسميه الفرنسيون اتفاقية سَبُعِية تلك الاتفاقية التي تفترض التزام السَّبع إزاء الخروف.!![5]

ولابد أن نحيل هنا على القسم الثاني من تدخل العاهل الكريم الذي تناول فيه قضية الصحراء الغربية في وضوحٍ تام على ما نفضله في «الملاحق»...

5) د. التازي : عظمة الميثاق. محاضرة ألقيت أمام جلالة الملك الحسن الثاني يوم 14 رمضان 1406 = 23 مايه 1986. طبعتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالعربية والفرنسية والإنجليزية.

وهنا في نيويورك ترأس الدورة الثامنة للجنة القدس يوم الجمعة 30 شتنبر 1983 = 22 ذي الحجة 1403...

وحول موضوع الصحراء المسترجعة وجّه جلالة الملك خطاباً هاماً إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ألقاه نيابة عنه الوزير الأول السيد محمد كريم العمراني يوم الأربعاء 23 اكتوبر 1985 = 8 صفر 1406 هـ...

ويتجدّد الاتصال مع مجلس الأمن والأمين العام للأمم المتحدة فيما يتعلق بالاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات الإسلامية في القدس الشريف، وفي هذه المرة أيضاً كان يتدخل بوصفه رئيس منظمة المؤتمر الإسلامي ولجنة القدس...

وكانت هذه التدخلات بتاريخ 25 يناير 1986 = 13 جمادى الأولى 1406.

وكان من خطابات العاهل إلى السيد الأمين العام للأمم المتحدة الجواب الذي يحمل تاريخ 26 رجب 1406 = 16 أبريل 1986 حول القرار المتخذ بالتعاون مع الرئيس الحالي لمنظمة الوحدة الإفريقية والقاضي بتقديم المساعي الحميدة إلى أطراف النزاع المتعلق بالصحراء الغربية...

☆ ☆ ☆

وبفضل ما كان يتسم به موقف بلادنا من الجدّية في أعمال المنظمات الدولية والثقة التي يتمتع به من جانب عدة وفود، فقد تهيأت لنا الفرص للارتقاء إلى مناصب ذات مسؤولية داخل هذه المنظمات، وهكذا عين المغرب نائباً لرئيس الجمعية العامة وعضواً في مجلس الأمن... وممثلاً للدول العربية والإفريقية، على نحو ما رأينا المغرب يتبوأ مناصب ممتازة في المؤتمرات المتفرعة عن الأمم المتحدة مثل منظمة اليونيسكو التي انتخب فيها المغرب رئيساً لمجلسها التنفيذي ومثل منظمة التغذية والزراعة... والمنظمة العالمية للشغل والمنظمة العالمية للصحة، والمؤتمر العالمي لتمميط الأعلام الجغرافية...

المنظمات الدولية الأُخرى

ووعياً من المغرب بموقعه الاستراتيجي، وبالدور الذي تقوم به المنظمات الدولية والجهوية التي تعتبر منبراً للدفاع عن قضايانا ومصالحنا لم يدّخر جهداً في المساهمة في ميزانيتها، ومساندة منظمات التحرير ومؤازرة الدول التي هي في حاجة إلى تلك المؤازرة.

وقد بلغ مجموع المنظمات التي انضم إليها المغرب منذ استرجاع الاستقلال زهاء 25 منظمة على ما نفصّله في «الملاحق» إن شاء الله.

ويختلف مبلغ المساهمة من منظمة إلى أخرى حيث تؤخذ بعين الاعتبار أهمية المنظمة وطموحاتها والأغراض التي من أجلها.

☆ ☆ ☆

ونظراً لما تتمتع به بلادنا من مكانة رفيعة وشأن كبير فقد تقرر أن تكون مقرا دائماً لعددٍ من المنظمات المتخصصة التابعة الهيئات الدولية...

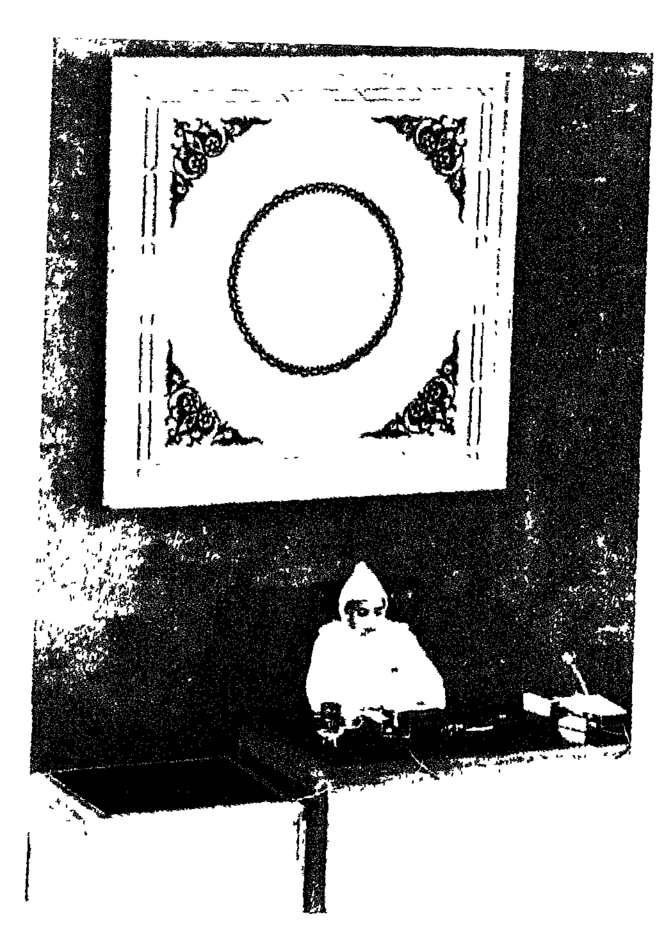
أما المؤتمرات والندوات واللقاءات الدولية التي احتضنها المغرب طوال هذه الفترة من التاريخ فإنها تفوق الحصر وسنأتي على ذكرها في «الملاحق»...

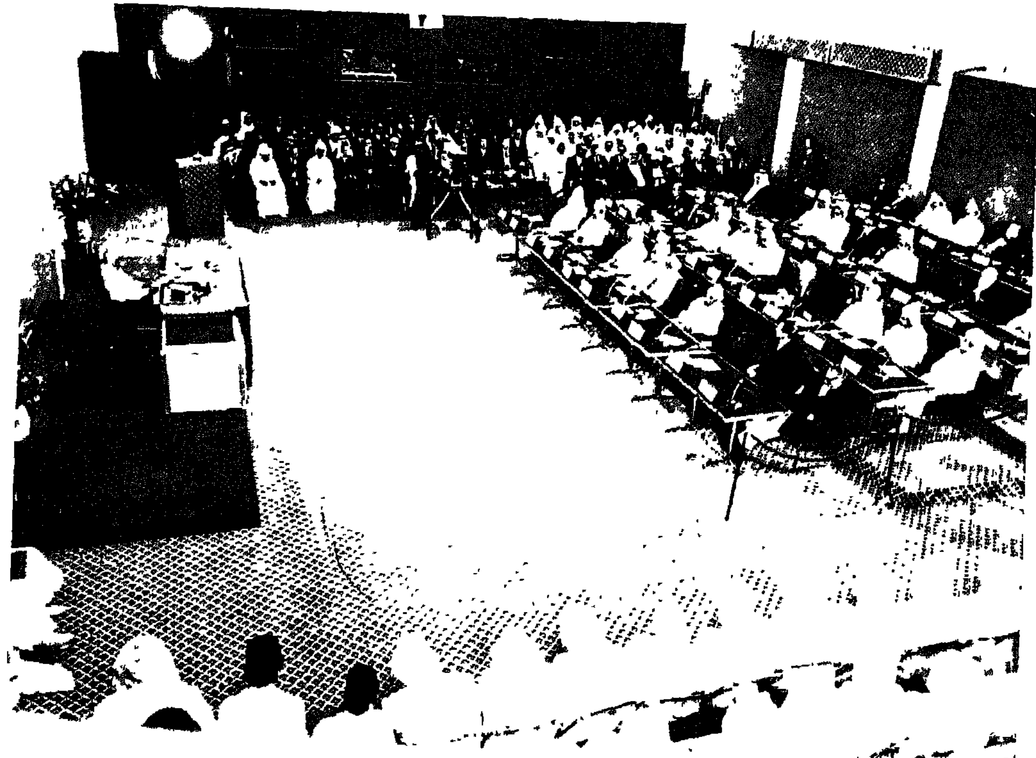
وتعبيراً من المغرب عن الإهتمام بالمنظمة الأُممية وجدناه يفتح له بعثتين دائمتين : إحداهما في نيويورك وثانيتهما في جنيف...

أكاديمية دولية بالمملكة المغربية...

كان يوم الإثنين 5 جمادى الثانية عام 1400 = 21 أبريل 1980 من الأيام المحجّلة في التاريخ الفكري للمغرب الأقصى حيث شهد افتتاح الأكاديمية الأُولى من نوعها في العالم من لدن جلالة الملك الحسن الثاني.

وافتتاح الأكاديمية في مدينة فاس رمزٌ من الرموز في التاريخ، ففاس مهد جامعة القرويين ومفخرة المغرب والعالم الإسلامي والعربي تاريخاً وعلماً وعمارة...





صورة تاريخية لميلاد أكاديمية المملكة المغربية عن أرشيف وزارة الإعلام مع الشكر والتقدير.

وتتكون الأكاديمية من ستين عضواً فيهم الفقيه بالعلوم الإسلامية والأديب والمفكر والطبيب والقانوني والاقتصادي والمؤرخ والفيلسوف والسياسي والدبلوماسي ومنهم المشارك في عدة علوم ومنهم رائد الفضاء... نصف الأعضاء مغاربة ونصفهم ينتمي لمختلف القارات.

«... وقد كان حرصنا شديداً - يقول جلالة الملك - على أن تحتضن الأكاديمية رجالاً يفدون من آفاق متباينة وينتمون إلى أجناس مختلفة، وينتسبون إلى ثقافاتٍ وحضارات متغايرة ويمتازون بالصيت البعيد والشهرة الواسعة والتجربة الوافرة والحكمة البالغة....

لقد انطلقنا في تحديد غايات أكاديميتنا وتشكيلها على نحوٍ غير معهود : من منطلق الموقع الجغرافي، وهو موقع أراد الله أن يكون في مفترق قارات، فَرَسَم وجهة المغرب التاريخية وفَرَض على بلادنا أن تقوم، باستمرار، بدور أداةٍ للرباط والاتصال والتأليف بين الشعوب والحضارات...»

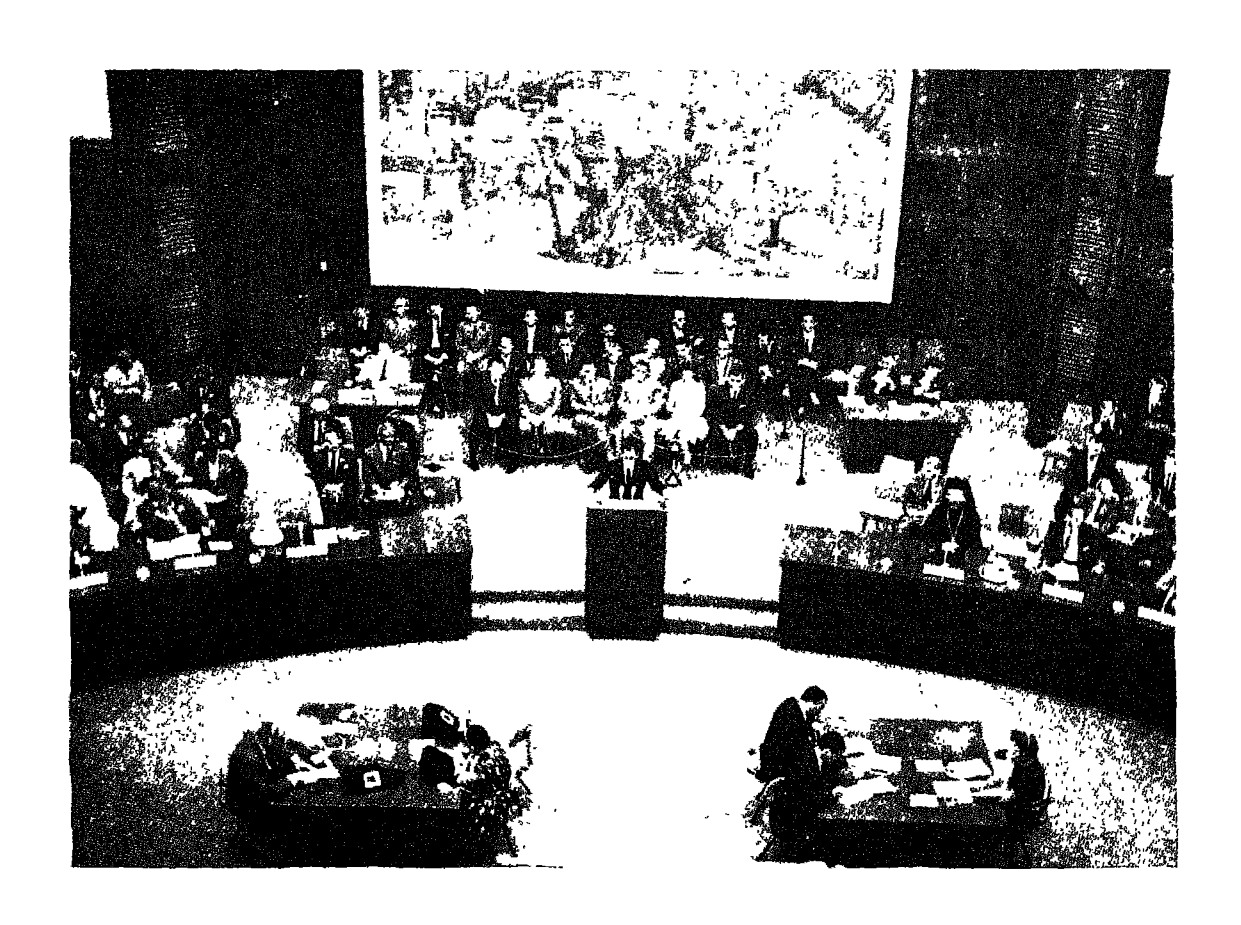
وقد انتخب السيد أحمد الطيبي بنهيمة أمين السر الدائم، وانتخب السيد عبد اللطيف بربيش أمين السر المساعد، وانتخب السيد عبد الهادي التازي مدير الجلسات...

المغرب المستقلّ
وحركة عدم الانحياز

وقد وجدنا المغرب كدولةٍ تطمح لتحقيق أمانيها في إطار مستقل ومحايد، يقوم بدور فعّال من أجل تأسيس حركة عدم الانحياز والمساهمة في سائر مؤتمراتها وأعمالها، كما ينسق نشاطه الخارجي حسب القرارات المتخذة من لدن هذه المؤسسة المعروفة أيضا «بالعالم الثالث» تمييزاً لها عن المعسكرين المتصارعين : الشرقي والغربي....

ومن هنـا كـان حضور المغرب ـ على أعلى مستوى ـ (8 شتنبر 1961 ـ 26 ربيـع الأول 3381) في المـوتمر التـاريخي لحركـة عـدم الانحيـاز الـذي انعقـد ببلغراد إلى جانب سبعة وعشرين من ملوك ورؤساء الدول والحكومات...

وقد ظلت مساهمة الملك الشاب جلالة الملك الحسن الثاني في هـذا المؤتمر الذي لم يكن له نظير على صعيد المجتمعات الـدوليـة، تقيم الـدليل القـاطع على تعلق المغرب بمبادىء العدل وعدم التبعية...



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني وهو يلقي خطابه في مؤتمر بلغراد الـذي التقى فيـه أقطـاب الدول الغير المنحازة

«... على أن هـذا لا يعني أن مبـدأ عـدم الانحيـاز يقتضي نكران جميـع الأفكار الرشيدة المثمرة البنـاءة الآتيـة من أحـد المعسكرين أو يستوجب ـ لكي نكون غير منحـازين ـ أن نجهد أنفسنـا أمـام كل مشكلـة بحثاً عن حل ثـالث لا يوجد عنـد الشرق أو الغرب. إننـا نرى أن الحلول، كيفمـا كـانت، فيهـا مـا يقبل، وفيها ما يرفض، لكن الاختيار ينبغي أن يرتكز على الموضوعية الدائمة...»

إن تجمع الثروات والتقنية بين أيدي ثلث العـالم ليحدث خللاً خطيراً في التوازن العالمي، ولكن هذا الخلل لا ينبغي أن يكون مـدعـاةً لتوتر العلاقـات بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، وإننا نعيد من فوق هذا المنبر ما كنـا صرحنـا بـه من فوق منبر الأمم المتحـدة أثنـاء دورتهـا الأخيرة[6] وهو أن هـذه الإعـانـة ينبغي أن تكون صادرة عن منظمة دولية داخل هيئة الأمم المتحدة...»

وقد ظل المغرب منذ ذلك التاريخ حاضراً في كل مؤتمرات القمـة... بل إنـه كان حريصاً على وجوده حتى في اللقاءات التي تُمهد لتلك المؤتمرات...

ومن هنـا وجدنـاه يشارك في القمـة الثـانيـة لهذه الحركـة التي انعقـدت بالقاهرة عام 1964 حيث ترأس وفـد المغرب فيهـا الأستـاذ أحمـد بلافريج وزير الشؤون الخارجية...

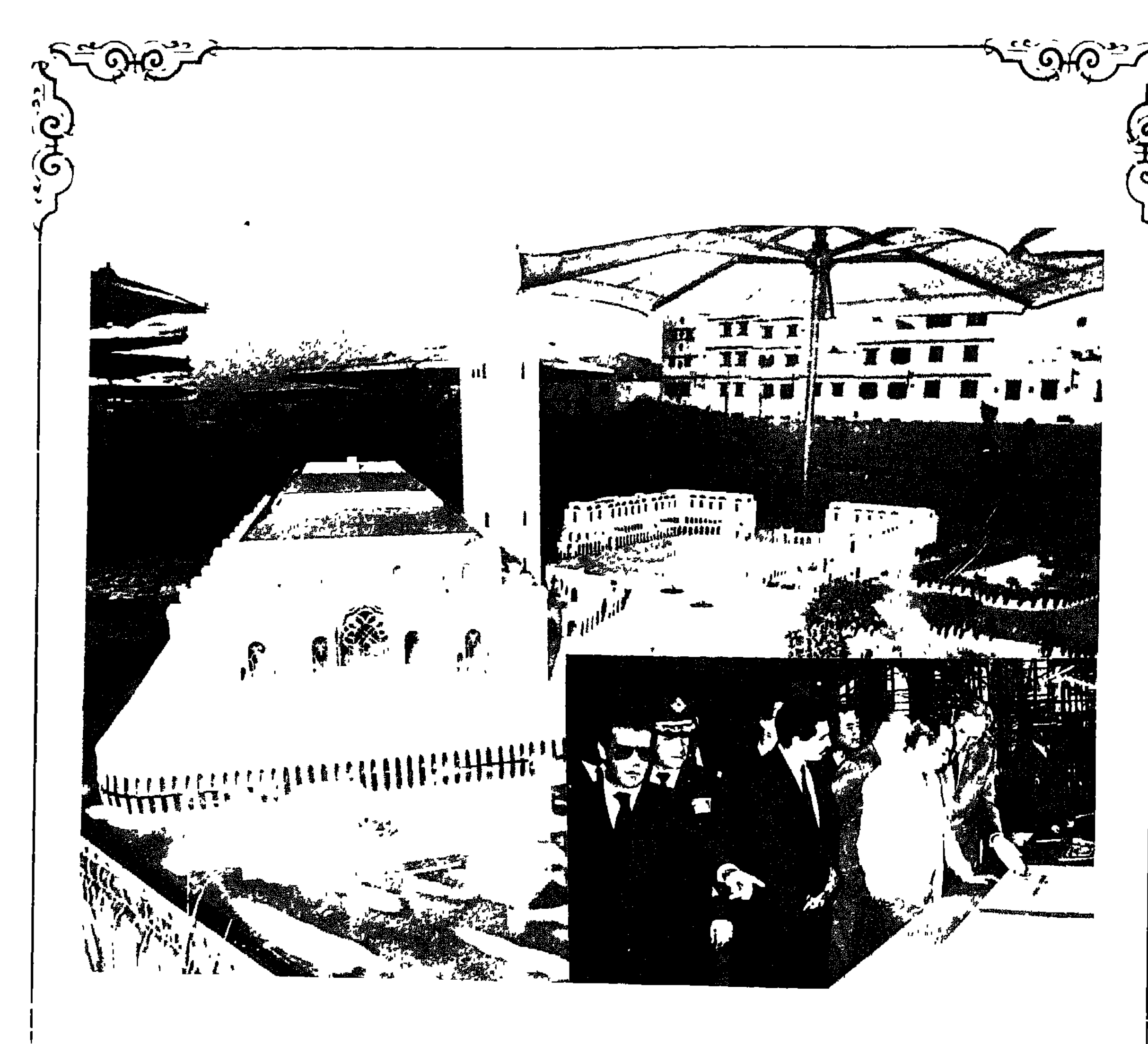
كما شارك في المؤتمر الثالث الـذي انعقـد في لوسـاكـا (زامبيـا) عـام 1970 بوفدٍ يرأسه الأستاذ عبد الهادي بوطالب وزير الشؤون الخارجية آنذاك...

وشارك في المؤتمر الرابع الذي انعقد بعاصمة الجزائر عام 1973، حيث كـان الوفد المغربي برئـاسـة الأستـاذ أحمـد عصمـان الوزير الأول في حكومـة صـاحب الجلالة.

وشارك كـذلـك في المؤتمر الخـامس الـذي انعقـد في كولومبو (سري لانكـا) عام 1976 برئاسة الوزير الأول الأستاذ أحمد عصمان...

---

6) القصد إلى الدورة الـ 15 عام 1960 يوم كان مكلفا ـ نيابة عن والده ـ برئاسة الحكومة، عنـدمـا كـان على رأس الوفد المغربي بالأمم المتحدة حيث اقترح أن تطلب المساعـدة من الهيئـات الـدوليـة لأن مثـل هـذه الهيئـات لم يكن في وسعهـا أن تفرض إرادتهـا... د. أحمـد مفتـاح البقـالي : حركـة عـدم الانحياز ـ مطابع الأنباء ـ الرباط 1980 ص 153.



اختار ملوك المغرب ـ منذ فجر التاريخ الإسلامي بهذه الديار ـ أن يؤدُّوا واجب الشكر لله على ما حققوه من نصرٍ نالته بلادهم عن طريق رفع الجوامع الكبرى في قواعد البلاد، ومن هنا شيدت جامع القرويين بفاس وجامع الكتبية بمراكش والجامع الأعظم باشبيلية، وجامع حسّان بالرباط.

وقد ادّخر الله للمملكة المغربية ـ التي حققت أكثر من نصر في عهد الملك الحسن الثاني أن تعبر عن امتنانها ببناء هذه المعلمة التاريخية الكبرى التي ستبقى ناطقةً بما أسداه المغرب لملة الإسلام عبر تاريخه الطويل...

وشارك في المؤتمر السادس الذي انعقد في هافانا (كوبا) عام 1979 برئاسة الأستاذ المعطي بوعبيد الوزير الأول ووزير العدل...

ولم تغب كذلك المملكة المغربية عن حضور المؤتمر السابع الذي انعقد أخيرا في دلهي الجديدة (الهند) مارس 1983 حيث ترأس الوفد المغربي فيه صاحب السمو الملكي الأمير سيدي محمد ولي عهد المملكة...

وقد حضر المغرب المؤتمر الثامن الذي انعقد في هراري (شتنبر 1986)، وكان الوفد المغربي برئاسة د. عبد اللطيف الفيلالي وزير الشؤون الخارجية...

منظمة مؤتمر القمة الإسلامي...

لقد كان الملك الحسن الثاني على موعد مع التاريخ عندما ادخر له المأثرة الخالدة التي تجلّت في دعوة قادة العالم الإسلامي للاجتماع على أرض المغرب : وتحت رئاسة المغرب من أجل مدارسة قضيةٍ تعتبر قمة قضايا المسلمين في العصر الحاضر...

كانت المناسبةَ الأُولى في التاريخ الإسلامي التي اجتمع فيها المسلمون على مائدة واحدة (رجب 1389 = شتنبر 1969) حيث تم في مدينة الرباط انعقاد المؤتمر الإسلامي في أعقاب المحاولة الصهيونية الآثمة المارقة لإحراق المسجد الأقصى...

ينبغي أن نعيد إلى الذاكرة تلك الصورة الرائعة لذلك اللقاء الذي شدّ المسلمين إليه من سائر القارات وبالتالي شدّهم نحو هذا المغرب الذي جمع الناس على كلمةٍ واحدة...

وحَسِبَ بعضُ الناس أنه مؤتمر دون غد كما يجري في مؤتمرات أُخرى تعقد في جهات من الدنيا[7] لكنهم لم يلبثوا أن سمعوا عن توابعه : في لاهور

---

7) ينبغي أن يعود المؤرخ للكلمات والندوة الصحفية الهامة التي عقدها جلالة الملك الحسن الثاني في نهاية إنعقاد المؤتمر ـ إنبعاث أمة ج 14 ص 211 ـ 1969.

24/22 يبراير 1974 وفي الطائف حيث حضره جلالة الملك الحسن الثاني فيما بين 28/25 يناير 1981 وألقى خطاباً نيّراً في ختام المؤتمر،[8] وفي الكويت على ما سنرى بل سمع الناس وهذا مهم عن لقاءات متعاقبة لوزراء الخارجية الذين وجدناهم يجمعون على إنشاء لجنة القدس وعلى إسناد رئاستها إلى جلالة الملك الحسن الثاني وهو الإجماع الذي باركته قمة الطائف...

ومن هنا كان خطابه للرئيس الفرنسي (2 يونيه 1979) ورسالته إلى الندوة العالمية للقدس.

وقد وجدنا جلالته في حاضرة الفاتكان يقوم لأول مرة في تاريخ الأديان وفي تاريخ العالم كله ماضيه وحاضره - وعلى مستوى القمة - بإجراء حوار متبصر مع قداسة البابا يوحنا بولس الثاني يوم الأربعاء ثاني أبريل 1980 حول القضية التي تشغل بال كل مسلمي العالم الإسلامي : قضية بيت المقْدِس، طهره الله من الرِّجْس !

ولقد تتبع العالم أجمع ذلك اللقاء مستحضراً قضية القدس، وحتى الذين فاتهم - لسبب من الأسباب - أن يهتموا بالحرم الثالث عادوا يبحثون عنه وعن تاريخه وعاد ذكر أيام صلاح الدين ومعه أيام الموحدين الذين أنجدوه ضد الصليبيين. !!

كان يوماً مشهوداً أن نرى فيه قداسة البابا يخاطب جلالة الملك بهذه العبارات : «إنكم ملك لبلدٍ لا ينكر أحد ماضيه الزاخر بالمفاخر وشعبكم بين شعوب الشمال الإفريقي هو وارثٌ لتقاليد مجيدة وراسخة في القدم، وحامل للواء حضارة طبع إشعاعها - وما يزال يطبع - مجالات الثقافة والفن والعرفان...

إنكم في هذا المقام الناطق بلسان البلاد الإسلامية التي عهدت إليكم بالتعريف بمشاعرها نحو مشكلة القدس، لذا أصغيت إليكم بانتباه بالغ وأنتم تعبرون عن آرائها...».

---

8) بهذه المناسبة إقتبس جلالته من الشعر المعروف هذا البيت الذي صاغه هكذا :

فلو كان حسناً واحداً لوصفتُه ولكن حسن وثان وثالث !!

وقد عقد جلالته ندوة صحفية هامة في أعقاب هذا اللقاء - المصدر السابق.



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يستقبل بمطار محمد الخامس بالدار البيضاء يوم الإثنين 19 غشت 1985 البابا يوحنا بولس الثاني.

وهكذا نراه ينصب الجسور بين الديانات لخلق مجتمع إنساني بعيدٍ عن الظلم والسطو والتعنت على نحو ما سمعنا عن والده والعظيم في أول خطاب له أمام لقاء دولي يتم في (توملیلین بالمغرب، بُعَيد استرجاع الاستقلال على ما أسلفنا...

إن أحاديثه في كل تلك اللقاءات المتوالية للجنة القدس سواء منها المرتجلة أو المكتوبة، كل ذلك كان حصيلة تجارب ممعنة في حصافة الرأي وبعد النظر...

وفي إطار العمل على تحرير القدس الشريف بعث جلالته برسالة إلى أعضاء ندوة روما الخاصة بالقدس الشريف المنعقدة بتاريخ 18 صفر 1402 ـ 15 دجنبر 1981[9].

وقد كان مما تفرع عن المؤتمر الإسلامي المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة التي خطب جلالته في جمعها التأسيسي بفاس يوم 5/5 1982.[10]

ولم تكن حاضرة الفاتيكان بداية ونهاية الاتصالات، ولكنها اتبعت بتحركات أخرى، وهكذا نجد العاهل يجمع لجنة القدس بمراكش بتاريخ 21 يناير بحضور (اللجنة السباعية) المنبثقة عن مؤتمر القمة العربي الثاني عشر الذي انعقد بفاس شتنبر 1982. وقد قام العاهل بالواجب الذي تطوع به ـ لصالح القضية الإسلامية ـ وفي هذا الإطار ترأس الدورة الثامنة للجنة القدس في نيويورك شتنبر 1983.

وقد احتضنت المملكة المغربية مؤتمر القمة الإسلامي الرابع بالدار البيضاء، فيما بين 16 و19 يناير 1984 حيث انتخب جلالته رئيسا للمؤتمر وجلس في مكان رئيس الوفد المغربي صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد.

وقد بعث العاهل بتاريخ 12 مارس 1984 ـ 8 جمادي الثانية 1404 إلى الرئيس الأمريكي خطاباً جديداً حول مدينة القدس، وكان ذلك بوصفه رئيساً

---

9) ناب عنه في إلقاء هذه الرسالة عبد الهادي التازي مؤلف هذا الكتاب...

10) يتفرع عن منظمة المؤتمر الإسلامي عدد من الهيئات الأساسية واللجان المتخصصة والأجهزة المتفرغة عن المنظمة التابعة للأمانة والهيئات التي أنشئت مستقلة عن الأمانة العامة مما سننشره مفصلاً ضمن «الملاحق».

للقمة العربية الثانية عشرة، والرئيس الحالي للقمة الإسلامي الرابعة ورئيساً للجنة القدس...

وقد كان مؤتمر القمة الإسلامي السادس (1307 = 1987) من نصيب دولة الكويت حيث وجدنا أن العاهل يَعهد بالنيابة عن جلالته إلى الدكتور عز الدين العراقي الوزير الأول للحكومة المغربية...(11)



د. عز الدين العراقي الوزير الأوّل
في حكومة صاحب الجلالة.

---

11) عبد الوهاب بن منصور : مع وفد المملكة المغربية في مؤتمر القمة الخامس للدول الإسلامية المجتمع بالعاصمة الكويتية 1307 ـ 1987. المطبعة الملكية ـ الرباط 1307 ـ 1987.

بناء وحدة المغرب العربي

يبدو أن أول نواة وضعت لبناء وحدة بلاد المغرب في العصر الحديث[12] هي التي قام بها عام 1947 مكتب المغرب العربي بالقاهرة، لكن الخطوة الفعلية لتحقيق الفكرة هي التي كانت على أرض المغرب بمدينة طنجة حيث انعقد أول مؤتمر في قصر مرشان،[13] خصص لدراسة وسائل تحقيق الوحدة بين هذه الأقطار، وقد تم انعقاده من 27 إلى 30 أبريل سنة 1958.

وهذا المؤتمر ولو أنه انعقد على مستوى الأحزاب الوطنية وشارك فيه مندوبون عن الهيئات النّقابية إلا أن الذين حضروه كانوا يمثلون فعلاً حكومات الأقطار المشاركة : تكلّم فيه عن المغرب علال الفاسي، وعن تونس الباهي الأدغم،[14] وعن الجزائر عبد الحميد مهرى.

وقد وردت الإشارة في كلمة الختام التي ألقاها الرئيس علال الفاسي إلى الخطاب الذي وجهه الملك محمد الخامس يوم 16 أبريل 1958 والذي تحدث فيه عن الاتحاد المنشود إنشاؤه بين أقطار بلاد المغرب...

وقد قدمت مقررات هذا المؤتمر إلى جلالة الملك محمد الخامس الذي قال في تصريح له يوم 6 مارس 1958 لممثلي الصحافة :

---

12) ينبغي أن نذكّر هنا بأن فرنسا شعرت بعد بسط حمايتها على المغرب بضرورة توحيد أقطار المغرب، ومن هنا جاءت الفكرة بإنشاء الجمعية الثلاثية المكلفة بأوقاف الحرمين الشريفين التي شارك فيها القاضي أحمد سكيرج عام 1916 = 1334 ـ 35، وقد رأينا الجنرال ليوطي يطلب إلى رئيس الجمهورية الفرنسية ميّيران Millérand بمناسبة زيارته للمغرب 1922 أن يعمل على تنظيم اجتماعات دورية بين المقيم العام وبين حاكمي الجزائر وتونس لتنسيق العمل فيما يتصل بالشؤون الاقتصادية...

الرشيد ادريس : ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة ـ 1981 ـ محمد بن عبود.

13) تلقيت شاكراً من سعادة السيد زهير الشلى سفير تونس بالمغرب معلومات عن العلاقات الثنائية بين البلدين، ويذكر أن أول سفير لتونس بالمغرب هو السيد الطيب السحباني... وسننشرها ضمن «الملاحق».

14) اسم مرشان بطنجة يأتي من موقع جغرافي باشبيلية (Maréchal) على نحو طريانة بفاس من موقع جغرافي كذلك في اشبيلية، أطلق المهاجرون هذا الاسم عليهما حتى يظل ماثلاً للذكرى...

«...وأملنا أن نرى أقطار الشمال الإفريقي تتوحد، بإنشاء رابطة بينها لها سند من الواقع الجغرافي والثقافي والروحي والاقتصادي».

وقد ظلّت هذه الأُمنية هدفاً سامياً لجلالة الملك الحسن الثاني بعد وفاة والده بالرغم من الأزمة التي عرفتها العلاقات بين المغرب والجزائر عام 1963 بسبب الحوادث المؤسفة للحدود.

وقد دخلت الفكرة دورها العملي عندما عقد أول اجتماع بتونس في شتنبر 1964 شارك فيه مندوبون عن كلّ من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، أسفر عن تكوين ما عرف باسم : «اللجنة الاستشارية الدائمة لمؤتمر وزراء اقتصاد دول المغرب العربي»...

ومن هنا عشنا مع عددٍ من موتمرات وزراء اقتصاد المغرب العربي في طنجة وطرابلس والجزائر... وقد تجاوزت اللقاءات موضوع الاقتصاد إلى ميدان التربية والتعليم...

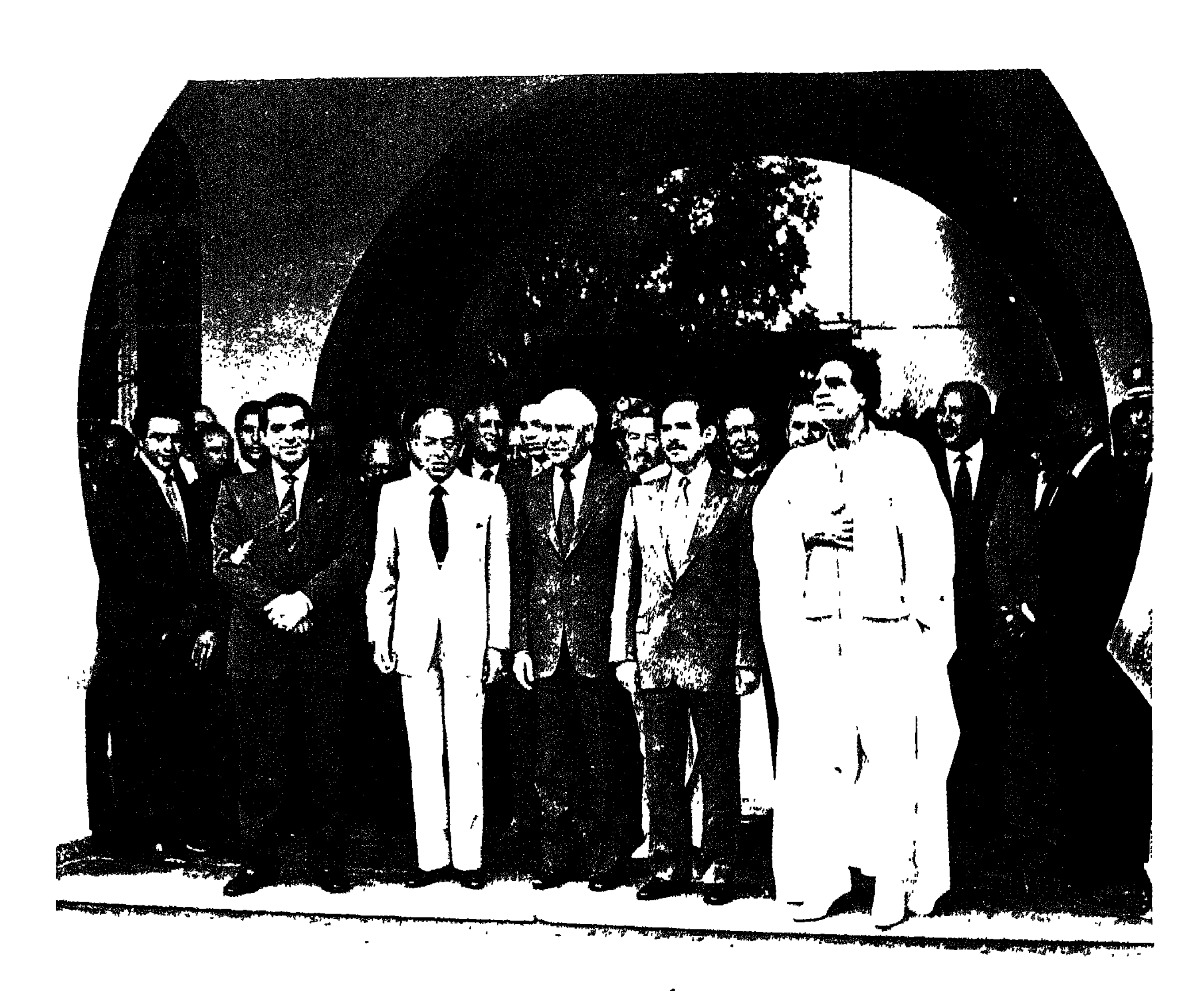
ويمكن أن نشير في هذا الفصل لعددٍ آخر من «المحاولات» التي تدخل في هذا الإطار : محاولاتٍ ثنائية حيناً وثلاثية حينا آخر...

وهكذا فعلاوةً على المحاولة المتمثلة في اللجنة الاستشارية الرباعية سجلنا اتفاقيات وزيارات وخطابات متبادلة بين قادة المغرب وقادة ليبيا...

كما سجلنا فيما يتصل بتونس زيارات متبادلة بين العاهل المغربي والرئيس التونسي وبلاغات مشتركة وتوأماتٍ بين البلدين...

وسجلنا نفس الظاهرة بالنسبة للجزائر ولم يختلف الأمر بالنسبة لموريطانيا بعد انعقاد القمة الإسلامي الأول بالرباط شتنبر 1969... حيث شاهدنا قمة ضمّت المغرب والجزائر وموريطانيا (يوليه 1973) كما شاهدنا اتفاقيةً للحدود بين البلدين وبلاغاً مشتركاً عام 1977، ثم رسائل متبادلة عام 1981 - 1984...

وبالرغم من أن بناء المغرب العربي اجتاز مرحلة فتور عابرة، فإن المغرب الذي آمن منذ استرجاع استقلاله بجدوى إخراج هذه الفكرة إلى حيّز الوجود، ما



انفكّ موطداً العزم على إرساء الأُسس السياسية والاقتصادية، لتحقيق وحدة بلدان المغرب العربي وتشييد صرحها عن طريق الإرادة المشتركة والتعاون المتبادل، إن ذلك من شأنه أن يضمن الأَمن والاستقرار والتكامل والقوة والازدهار لجميع الأَقطار...

☆ ☆ ☆

وإن استئناف العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والجزائر المعلن عنه يوم (29 رمضان 1408 = 16 مايه 1988)[15] وما تبعه من انعقاد القمة الخماسية بين أقطاب المغرب العربي، في أعقاب مؤتمر القمة الطارئ بالجزائر 22 شوال 1408 = 7 يونيه 1988، كل هذا «سيفتح آفاقاً جديدة لبناء مغرب عربي موحد ومتكامل، ومن شأن ذلك أن يفرض العمل من أجل مصلحة البلدان الخمس للمغرب العربي الكبير».

---

15) من المصادفات أن يكون السفير الجديد هو سعادة الأُستاذ السيد عبد الحميد مهري الذي شارك في مؤتمر طنجة سالف الذكر، والذي كان مرشحاً ليكون السفير الأول للجزائر المستقلة...

المغرب والسوق الأوروبية المشتركة

لقد أحدث اتفاق روما 25 مارس 1957 الخاص بإنشاء وحدة اقتصادية أوربية مشكلاً حيوياً بالنسبة لمستقبل الاقتصاد المغربي، ذلك أن بلادنا كانت آنذاك توجّه أكثر من 60 في المائة من صادراتها نحو بعض الدول الأوربية، وهذا ما حمل المغرب على اتخاذ موقف جديد إزاء السوق الأوربية المشتركة وحمله كذلك على التخطيط والعمل الجاد لإيجاد أسواق أخرى للصادرات المغربية...

وهكذا ففي الوقت الذي أخذت فيه المملكة المغربية تبحث عن «البديل» في جهاتٍ أخرى : أوربا الشرقية، العالم العربي وإفريقيا، أمريكا، في ذلك الوقت ظل المغرب يعمل بجد على الاستفادة من المجموعة الأوربية.

وفي هذا الإطار قام جلالة الملك الحسن الثاني يوم الأربعاء 19 اكتوبر 1983 = 12 محرم 1404 بزيارةٍ رسمية لمقر السوق الأوربية في بروكسيل حيث ترأس مع المسؤولين جلسة عمل موسعة...

وخلال هذه الجلسة تحدث جلالته على نوعية العلاقات التي تجمع بين المغرب والسوق الأوربية المشتركة مشيراً إلى أن التاريخ والاقتراب الجغرافي وتحرك الأشخاص والأفكار جعلت المغرب مرتبطاً بأوربا..

«...لقد جئت إلى هنا - يقول صاحب الجلالة - لأطلب إلى أوربا أن تقوم بمجهود فكري حتى تتطور وحدة المصالح بين المغرب والمجموعة الاقتصادية الأوربية بشكلٍ يضمن مصالح الطرفين...»

وذكّر بعد ذلك بأن المغرب داخل العشر سنوات سيرتبط بالقارة الأوربية عن طريق ربط قاري وعبّر عن أمله في إقامة تعاونٍ أفضل بين المغرب والمجموعة الاقتصادية الأوربية... وتوقع اتفاقيةً شاملة بين المجموعة الاقتصادية الأوربية وبين بلدان المغرب العربي تكون مقبولة من لدن الجميع وتعود بالنفع على الحضارتين وعلى القارتين حتى يصبح حوض البحر المتوسط منطقةَ سلام...

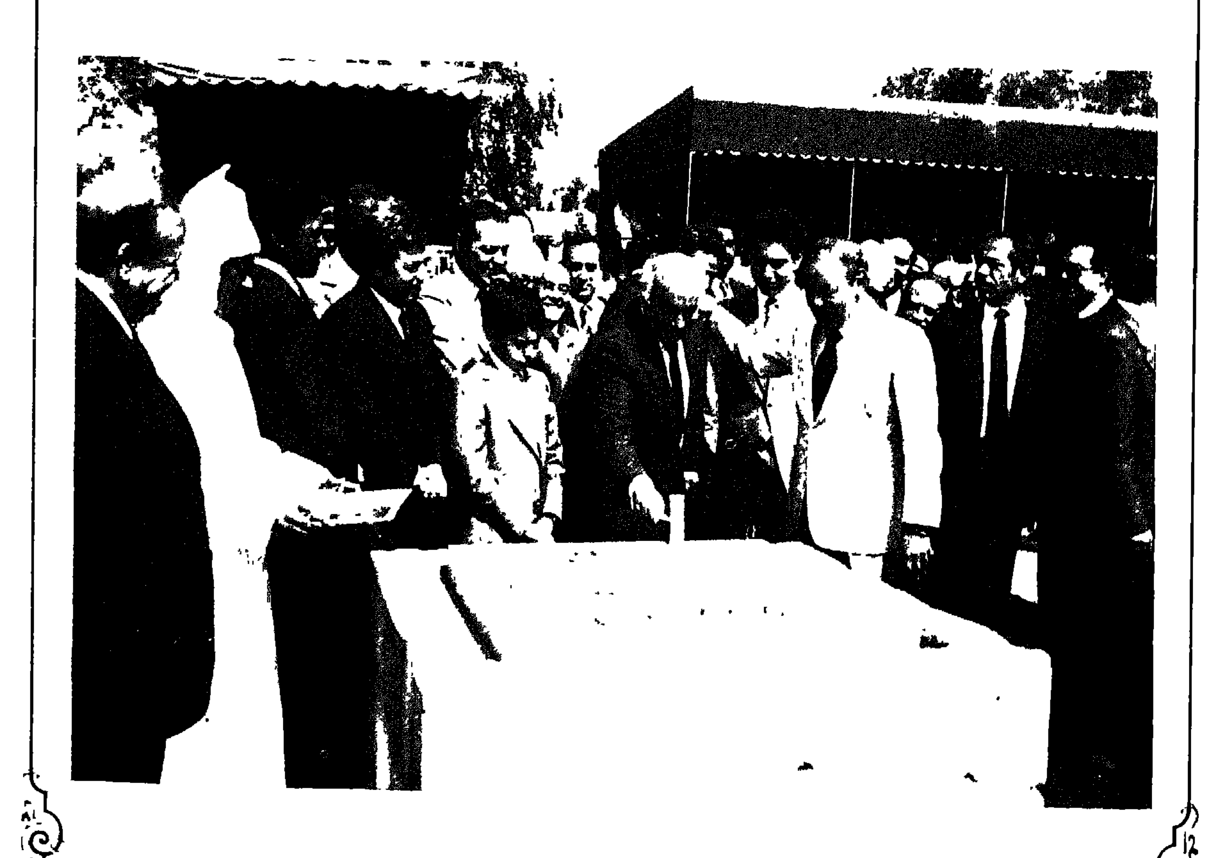
الفوسفاط المغربي
سفير يتمتع بسمعة دولية كبرى !

تمثل الموارد الفوسفاطية التي تحتضنها أراضي المملكة المغربية ثلاثة أرباع الاحتياطي العالمي، وبفضل الاستغلال الأمثل والمتواصل لهذه الثروة الوطنية أصبح المغرب ـ ومنذ عقود ـ أول مصدّر عالمي للفوسفاط...

وقد وظفت لهذه الغاية استثمارات هائلة من قبل «المكتب الشريف للفوسفاط» الذي يستهدف رفع إنتاجه السنوي من الفوسفاط الخام إلى 60 مليون طن في آفاق سنة 2000، على ما يؤكده السيد محمد كريم العمراني المدير العام للمكتب الشريف للفوسفاط.

بيد أن التوسع المتزايد لصادرات المغرب من هذه المادة الأولية ليس إلا أحد محاور السياسة التي رسمها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني لهذا القطاع...ومن هنا تبرز الدلالة العميقة لميلاد قطب جديد للتنمية **بالجرف الأصفر بدكّالة** أسهمت في تمويله المملكة العربية **السعودية** والمجموعة **الأوربية** الاقتصادية والجمهورية **الفرنسية**.

وقد ورد في خطاب لجلالة الملك يوم 25 مارس 1982 : «**...لقد جعلنا بالله في أقلّ من سنتين نرى بأعيننا أكبر ميناء في إفريقيا وأكبر ميناء فوسفاطي في العالم، وأن نضع الحجر الأساسي لمركبات كيماوية...**



وقد استمع جلالته إلى تدخل رئيس اللجنة الأُوروبية الذي أشاد بحضور جلالة الملك قائلاً : «إن هذا الحضور شكل في حد ذاته رمزاً لا تحتاج أهميته إلى تأكيد»...

وقد تحدث جلالة الملك إلى رجال الصحافة في أعقاب هذه المحادثات بما عهد في أحاديثه من بعد نظر وجيِّد تفكير...

وبما عهد في جلالته من عزمٍ صادقٍ على مواصلة السير في كلّ طريق تسعد بلاده وتقوّي شعبه وجدناه يردف هذه المحاولة بأُخرى عندما توجه بخطابه (15 يونيه 1984) إلى فخامة الرئيس فرانسوا ميتيران بصفته رئيساً للمجلس الأُوروبي يعرب فيه عن رغبة المملكة المغربية في الانضمام إلى اتفاقيات المجموعة الأُوروبية...

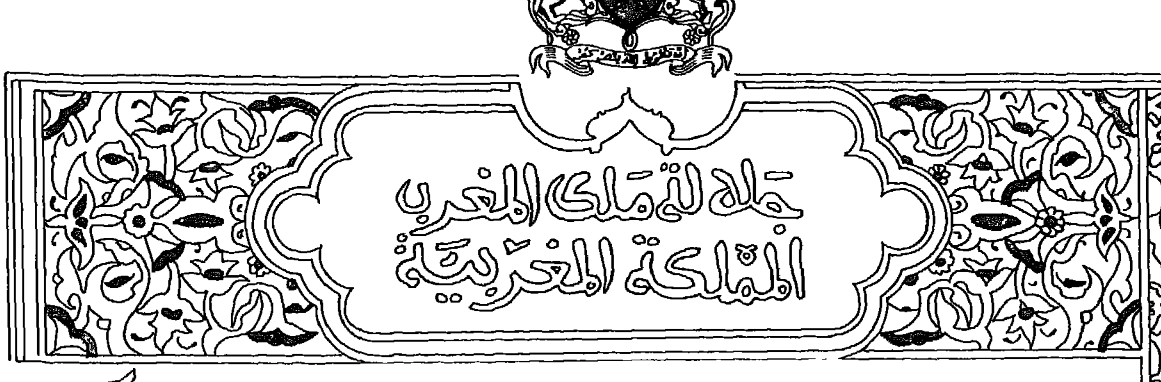
ولم يلبث جلالته ـ وهو المدافع الصادق الأَمين عن مصالح أُمته ـ أن توجه بتاريخ 8 يوليه 1987 بخطابٍ جديدٍ إلى السيد رئيس مجلس المجموعة الأُوروبية يعيد فيه إلى الأذهان التذكير بالرغبة المغربية مذكراً «بأن الوقت حان لنوفر للروابط القديمة المتعددة والممتازة إطاراً مؤسّسيا يضمن استمرار وتعزيز العلاقات الوثيقة القائمة بين بلدنا والمجموعة الأُوربية.

«.. إن المغرب ـ يقول جلالة الملك ـ قريب جغرافياً من أروبا وقد نسج التاريخُ بينه وبينها طوال قرونٍ عديدة صلاتٍ بلغت من العمق درجة جعلت حضارتِهما تتداخل أقوى ما يكون التداخل وأبانت في مناسبات عديدة عن وحدة المصير التي تجمعهما...»[17]

وبعد أن يبرز الخطاب السامي موقع المغرب في ملتقى البحر المتوسط والمحيط الأَطلسي، يتحدث عن تعميق التجربة الديموقراطية المنجزة في المغرب.. ويؤكد اقتناعه بأن مصلحة المغرب وأروبا تجعل من الضروري أن يتحقق اندماج المغرب مع الاثنتي عشرة دولة التي تتألف منها المجموعة...

ويتلخص الخطاب أخيراً إلى قرار جلالته بأن يقدم طلباً رسميّاً بانضمام المملكة المغربية إلى المجموعة الأُوروبية...

17) د. التازي : بداية تاريخ العلاقات بين المغرب والدول الأُوروبية التي تنتظمْ اليوم فيما يسمى : المجموعة الأُوروبية ـ مجلة أكاديمية المملكة المغربية عدد 1988.



الحمد لله وحده — ولا يدوم إلا ملكه

من الحسن الثاني ملك المملكة المغربية
إلى السيد رئيس مجلس المجموعات الأوربية

سيادة الرئيس

سبق لنا أن وجهنا في 15 يونيو 1984 إلى فخامة الرئيس فرانسوا متيران بصفة كونه حينئذ رئيس المجلس الأوربي، رسالة نشعره فيها بعزم المملكة المغربية على الانضمام إلى المعاهدات المؤسسة بموجبها المجموعات الأوربية.

وقد كان هذا المسعى صادراً عن اقتناعنا بأن الوقت قد حان لنوفر للروابط القديمة والمتعددة والممتازة - التي تصل المجموعة الأوربية والدول المشاركة فيها بالمملكة المغربية - إطاراً مؤسسياً يضمن، من خلال اختيار لا رجعة فيه، استمرار وتعزيز العلاقات الوثيقة القائمة بين بلدنا والمجموعة الأوربية.

وهذا الاختيار الذي أقدم عليه المغرب بسعيه إلى تعزيز صلته بالمجموعة الاقتصادية الأوربية تبرره اعتبارات شتى كلها وجيهة وقائمة على أساس متين.

../..



ذلك أنّ المغرب قريبٌ جغرافياً من أوربا ، وقد نسج التاريخ بينه وبينها طوال قرون عديدة صِلاتٍ بلغتْ من العُمق درجةً جعلتْ حضاراتهما تتداخل أقوى ما يكون التّداخل، وأبانتْ في مناسبات عديدة عن وحدة المصير التي تجمعهما.

وقد برهنتْ حربان عالميتان خلال هذا القرن على أنّ المغربَ الذي يوجد في ملتقى البحر الأبيض المتوسّط والمحيط الأطلسي وعلى أبواب افريقيا والعالم العربي، مندمج أكملَ ما يكون الاندماج مع بُلدان أوربا الغربية في نفس الرّقعة الجغرافية التي تحرص على حمايتها واستتباب السّلام فيها.

ولم تفتأ المملكةُ المغربيّة تسعى ، مُعتمدةً على اختياراتها الأساسيّة ، إلى تعزيز وتعميق تجربتها الدّيمقراطيّة المتحرّرة التي لا تجعلها قريبة من أوربا فقط ، بل تُتيح لها أن تندمج فيها لما يُوجد بين نُظُم الحكم الأوربية والنّظام المغربي من وجوه الشّبه .

وهذا الاختيار السياسي الذي أخذنا به قبل أن يُصبح مُدَوَّناً في قوانين بلادنا المكتوبة هو في الواقع اختيارٌ لِنَمَطٍ مُجتمعي وحضاري وقَع عليه اجماعُ الأمّة المغربيّة بأسْرها .

إن انضمامَ إسبانيا والبرتغال إلى المجموعات الأوربية، الذي حيّيناه باعتباره حدثاً سياسيًا عظيما ، سيقوّي الإحساسَ المتوسطي للمجموعة الأوربية ويجعلُ حدودَها أقرب من ذي قبل إلى سواحلنا الشّمالية .

../..



ونحن اليومَ أشدُّ اقتناعاً بأن مصلحةَ المغرب وأوربا تجعل من الضروري أن يتحقق على نحو أفضلَ اندماجُ بلدِنا اقتصادياً وسياسياً مع الإثنتي عشرة دولة التي تتألف منها المجموعة الأوربية .

لذا قررنا أن نتقدم إليكم رسميًا طلبَ انضمام المملكة المغربية إلى المجموعات الأوربية .

وتفضلوا ، سيادة الرئيس ، بقبول كامل تقديرنا .

وحرر بالقصر الملكي بالدار البيضاء في يوم الأربعاء 11 ذي القعدة 1407، الموافق 8 يوليوز 1987.

صديقكم

[signature]

واعتباراً لكون هذه الرسالة تعد من الوثـائق التـاريخية الهـامة التي تترجم عن ذكـاء وعبقريـة نضـال جلالـة العـاهل الواصـل في سبيـل رفعـة شعبـه ومجـد بلاده، فإننا نتيمّن بنشرها هنا...

وهكذا سجل المغرب يوم 26 مايه 1988 توقيع ثلاث اتفـاقيات هـامة في مدينة الرباط «تجسّم آمال وطموحاتِ المغرب بما ترمي وتهدف إليه من اندماجٍ اقتصادي متميّز مع المجموعة الاقتصاديـة الأُروبيـة» على حدّ تعبير البلاغ الـذي صـدر في أعقـاب اجتمـاع مجلس الـوزراء تحت رئـاسـة جـلالـة الملـك يـوم 1988/6/28.



استقبال جلالة الملك لوفد المجموعة الأُوربيـة : السيـد كَينشير وزير الخارجيـة الألمانيـة ـ السيد دولور ـ السيد كلود شيسون ـ السيد كونها.

18) تم التوقيع بوزارة الشؤون الخارجيـة وحضرها عن المغرب الدكتور عبد اللطيف الفيلالي وزير الخارجيـة، وعن المجموعـة السيـد هـ.د. جينشير (H. D. Genscher) وزير الخارجيـة لألمـانيـا الفيـدرالية، والرئيس الحالي للمجلس الأروبي، ورئيس اللجنـة ج. دولـور (J. Delors) والسيـد ك. شيصون (C. Cheysson) المسؤول عن العلاقـات مـع البلـدان المتـوسطيـة، والسيـد ك. أكـونهـا (C. E. Cunha) المسؤول عن الصيد.

Revue Communante Europeenne N° 55 Juin 1988 – Rabat – Maroc

ينبغي أن نعود إلى «الفهارس» الطويلة العريضة للمعاهدات والاتفاقيات الثنائية التي يزخر بها أرشيف وزارة الشؤون الخارجية ابتداء من ألبانيا إلى زايير، كما نعود كذلك إلى الاتفاقيات المتعددة الأطراف، إلى المواثيق الدولية الجماعية التي وقعها المغرب أو صدقها أو انضم إليها ابتداء من الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى الاتحاد البريدي العالمي...

إن عدد الالتزامات التي كانت لنا مع دول العالم في الثلاثين سنة الماضية منذ استرجاع الاستقلال، كانت تفوق بكثير عدد الالتزامات التي كانت للمغرب خلال القرون الثلاثة التي دشن العلويون بها حكمهم الأمر الذي يدل على أنهم - أي العلويين - كانوا - دبلوماسياً - من أنشط الدول التي تعاقبت على الحكم بالمغرب طوال أربعة عشر قرناً كانت جميعها أمثولةً رائعةً بالنسبة لتاريخ الأمم الأخرى....

وإن كلّ هذه المؤشرات لمن شأنها أن تعطينا فكرة عن المسيرة الظافرة التي تخطوها البلاد اليوم بقيادة جلالة الملك الحسن الثاني...

لقد اخترنا - يقول جلالة الملك بمناسبة عيد العرش (3 مارس 1988) أن نعيش في صميم العصر الحديث معتمدين في اختيارنا على موقع بلادنا الجغرافي وعلى ما لنا من استعدادٍ فطري للتعارف وربط العلاقات والصلات وحرصٍ شديد على أن نفيد الكثير من محاسن هذا العصر، ونبادل أقطار الدنيا أخذاً وعطاءً مصممين العزم على أن تظل خطانا متنقلة على جادّة الصحة والسلامة والاستقامة... وما طوق نجاتنا ووسيلة دفاعنا التي تؤمن لنا اختراق لجج العصر الحديث - بقلبٍ مطمئنٍّ وقدم ثابث وبصيرة وهداية - إلا كتاب الله...

وقد ورد في خطاب جلالته بمناسبة عيد الشباب 9 يوليه أن سنة 1988 هي سنة مكنت المغرب من أن يجدد شبابه بفضل صبره ومصابرته وثقته الغالية في مليكه منذ أن قلده الله أمور البلاد، «وان كل. ذلك مكننا - يقول العاهل الكريم - من أن نطل اليوم - وبارتياح - على غدٍ باسم... ففي ظرف ستة

19) يصل عدد الاتفاقيات الثنائية اليوم إلى زهاء 1500 اتفاقية كما يلغ عدد المعاهدات المتعددة الأطراف والمواثيق الدولية الجماعية إلى ما يقارب هذا العدد...

وزراء الخارجية في الحكومات السّابقة

الإسم	من سنة	إلى سنة
الحاج أحمد بلافريج	1956/04/26	1958/12/13
عبد الله ابراهيم	1958/12/24	1960/05/21
ادريس المحمدي	1960/05/24	1961/12/20
الحاج أحمد بلافريج	1961/12/20	1963/11/13
أحمد رضا اكَديرة	1963/11/13	1964/08/18
أحمد الطيبي بنهيمة	1964/08/18	1966/02/23
محمد الشرقاوي	1966/02/23	أبريل 1967
د. أحمد العراقي	أبريل 1967	اكتوبر 1969
عبد الهادي بوطالب	1969/10/15	اكتوبر 1970
د. يوسف بلعباس	1970/10/15	غشت 1971
د. عبد اللطيف الفيلالي	1971/08/04	مايه 1972
أحمد الطيبي بنهيمة	مايه 1972	أبريل 1974
د. أحمد العراقي	أبريل 1974	اكتوبر 1977
مّحمد بوستة	1977/10/10	1983/11/20
عبد الواحد بلقزيز	1983/11/30	1985/02/17
د. عبد اللطيف الفيلالي	1985/02/18	

كتاب الدولة في الشؤون الخارجية

الإسم	من سنة	إلى سنة
نائب كاتب الدولة مّحمد بوستة	1958/07/03	1958/12/13
نائب كاتب الدولة بلعربي العلمي	1960/06/06	1961/12/20
نائب كاتب الدولة عبد الله الشرقي	1964/10/01	
كاتب الدولة أحمد الشرقاوي	1971	1977
كاتب الدولة عبد الرحمن بادو	1977	1981
كاتب الدولة عبد الحق التازي	1981	1983
كاتب الدولة أحمد الشرقاوي	1985/10/11	

رؤساء الحكومات والوزراء الأولين
منذ استرجاع الاستقلال إلى اليوم....

الاسم	الصفة	التاريخ
السيد البكّاي امبارك الهبيل	رئيس الحكومة	7 دجنبر 1955 وبتاريخ 28 اكتوبر 1956
السيد الحاج أحمد بلافريج	رئيس الحكومة ووزير للخارجية	12 ماي 1958
السيد عبد الله ابراهيم	رئيس الحكومة ووزير للخارجية	24 دجنبر 1958
صاحب الجلالة الملك محمد الخامس	رئيس للحكومة	27 ماي 1960
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني	رئيس للحكومة	26 يبراير 1961، ثم بتاريخ 2 يونيه 1961 رئيس للحكومة ووزير للخارجية
السيد أحمد باحنيني	رئيس للحكومة	13 نونبر 1963 وبتاريخ 5 يناير 1963 رئيس للحكومة
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني	رئيس للحكومة	8 يونيه 1965
الدكتور محمد بنهيمة	وزير أول	6 يوليوز 1967
الدكتور أحمد العراقي	وزير أول	7 اكتوبر 1969
السيد محمد كريم العمراني	وزير أول	6 غشت 1971 وبتاريخ 12 أبريل 1972
السيد أحمد عصمان	وزير أول	20 نونبر 1972 وبتاريخ 24 أبريل 1974 وبتاريخ 10 اكتوبر 1977
السيد المعطي بوعبيد	وزير أول ووزير للعدل	29 مارس 1979 وبتاريخ 5 نونبر 1981 وزير أول
السيد محمد كريم العمراني	وزير أول	13 نونبر 1983 وبتاريخ 11 أبريل 1985
الدكتور عز الدين العراقي	وزير أول	30 شتنبر 1986...

أشهر تمكّنـا من أن نحقق ثـلاثـة أهـداف : الأول، هـدف السيـادة، والثـاني هـدف الأمن، والثالث هدف الآباء...

فبخصوص هدف السيادة تمكنا من أن نضبط شؤوننا المالية والاقتصادية وقد خرجنا من النفق وأصبحنا نرى النور...

وبخصوص الأمن حققنا الطمأنينة والاطمئنان... قاسينا ـ جارُنا ونحن ـ من مشاكل ومتاعب الخصام والقطيعة... واليوم بمناسبة زيارتنا للقطر الشقيق الجار الجزائر كان الرئيس بنجديد مرآةً لما أحسستُ به من دفء وحرارةٍ وشوق....

أما الحديث الثالث فله وجهان عمودي وأُفقي... الأوّل أنّ المغرب بفضل جدّيته وبفضل الذكاء الذي بسط به مطالبه، وبفضل عزمه الذي لم يكن يُقرأ فقط في رسالاته بل يُقرأ في مؤسساته المحلية والعامة، كل ذلك جعل طلبنا للاهتمام للسوق الأُروبية المشتركة يتوفر على معالم تدل على أن المستقبل بسّام ويدعو للتفاؤل حدّاً...

أما الوجه الأُفقي فيتمثل في القمة المغربية الكبرى التي ضمت في عاصمة الجزائر كلاً من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريطانيا... لقد حقق الله آمالنا كلنا... وربما جعلتنا وسائل الإعلام المسموعة والمرئية نأخذ بعين الاعتبار خطورة المصافحات وجسامة المسؤوليات...

☆ ☆ ☆

وبعد، فعلى نحو ما قلته في مقدمة المجلد الأوّل : إن هذه الموسوعة لاتُؤرخ فقط للتاريخ الدولي للمغرب ولكنها تقدم جانباً مهمّاً من تاريخ العلاقات التي كانت للعالم المسيحي مع العالم الإسلامي الذي يُكوِّن المغرب جزءاً بارزاً وكبيراً منه، فالكتاب إذن حجة ناطقة على أن الدبلوماسية المغربية ظلت وستظلّ دبلوماسية سداها الإسلام والسلام وقوامها لغة القرآن...

وقد كان الحديث عن التاريخ الدبلوماسي للمغرب يعني فعلاً الحديث عن العلاقات الدولية بعضها، ببعض، لأن المغرب ظل بالفعل يعيش مع سائر الأُمم وفي سائر حقب التاريخ، ظل إلى اليوم يسهم في صنع تاريخ البشرية، لقد كان موجوداً وجود الأزل نفسه هو مع الغابرين والحاضرين والسابقين واللاّحقين...

ومهما حاولت في هذه المجلدات العشر، أن أقرب الصورة، فإنني لم أصل إلى شيء أكثر من أنني أَلْفتُ النظر إلى هذا النوع من التاريخ، أما هو فسيبقى ديناً ـ كما أسلفت ـ في طوق الناشئة الصاعدة : عليها أن تستخرجه وتستكشفه، وعليها أن تمعن في درسه وتمحيصه..

إن الموضوع أُوقْيانوس من الأُوقيانوسات ! إنه تاريخ أُمم وأَجيال، ومن ثمت فإنني بالرغم من العُمر الذي عكفته على الكتاب إنما حاولت ـ كما أكرر القول ـ أن أملأ الفراغ الذي كنت أشعر به وأَنا أقرأ عن «مقاطعة» أمثال ابن خلدون لتاريخ علاقاتنا مع الأُمم الأُخرى بالرغم من أنه عاش مع تلك العلاقات ردْحاً من الزمان...

وأخيراً فعلى نحو ما رددته أيضاً بين يدي الكتاب فإن الشعار الذي أرفعه وأَنا أودع قراء هذا المجلد العاشر هو الذي رفعه الأُدباء والفقهاء والعلماء القدامى قبلي من أمثال الأَديب ياقوت الحموي الرومي اليوناني عندما سأل الناظر في معجمه أن لايقصد قصد من إذا رأى حسناً ستره وإذا رأى عيباً أظهره...! فإنا وإن أخطأنا في مواضيع يسيرة فقد أصبنا في مواضع كثيرة...

ومن أمثال الفقيه الشيخ خليل الذي توسل إلى قرائه «أن يكملوا النقص ويصلحوا الخطأ، فقلّما يخلو مصنّفٌ من الهفوات وينجو مؤلّف من العثرات.

ومن أمثال العالم ابن خلدون وما أدراك ما ابن خلدون الذي أعترف في نهاية مقدمته بالعجز وأَهاب بمن يأتي بعده ممن يزوّده الله بعلم صحيح أن يكمل ما نقص، ويفصل ما أَجمل، ويلحق ما أهمل، ويصلح ما أُغفل، والله يعلم وأَنتم لاتعلمون.

د. عبد الهادي التازي

وحرر بڤيلا بغداد ـ الرباط

يوم الأَحد 23 جمادى الأولى 1409 هـ

موافق 1989/1/1 م

تم بعون الله المجلد العاشر والأخير، وبمشيئته ـ تعالى ـ يتبعه مجلدان : الأول خاص بالفهارس ويتناول الأعلام البشرية والجغرافية والأمم والشعوب والجماعات والقبائل والمصطلحات والتوقيعات والأيام والوقائع والأحداث والظهائر والوثائق والاتفاقيات مرتبة ترتيباً زمنياً والخطب والرسائل والفتاوي مرتبة ترتيباً زمنياً كذلك، والكتب والمخطوطات والرحلات والمحاضرات والمقالات والبحوث والندوات والمجلات والجرائد والأمثال والحكم والأقوال وفهرس القوافي وفهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وفهارس الصور والرسوم والرسائل والتصويبات...

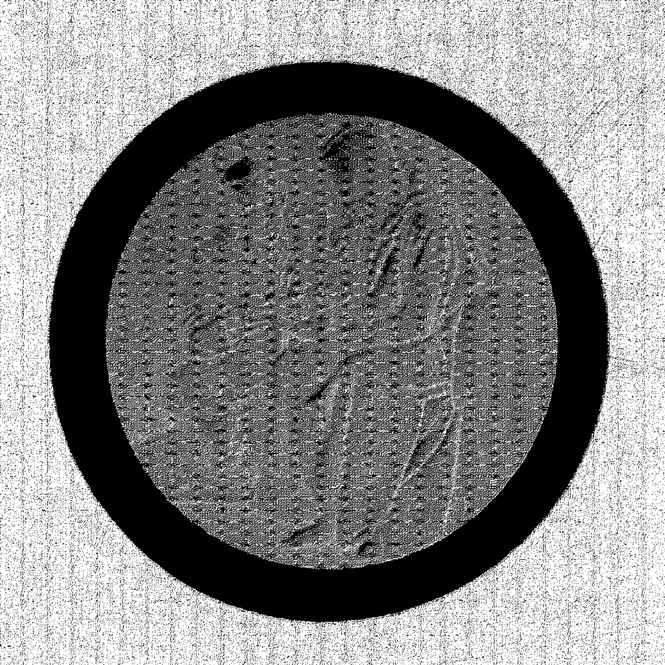
والمجلد الثاني خاص «بالملاحق» التي نثبت فيها ما لم نتمكّن من سرده في صلب الكتاب من نصوص الاتفاقيات والخطابات والرسوم، وبعض المعلومات التي تتصل بعلاقاتنا مع الأمم الأُخرى، وطائفة من التعليقات والتّوضيحات...

فهرس الصور والوثائق

فهرس الموضوعات

HISTOIRE DIPLOMATIQUE DU MAROC

(DES ORIGINES A NOS JOURS)



2